الصَّحِيحُ مِنَ الأَثَرِ فِي

خطب المنبر



اسم الكتاب: الصحيح من الأثر في خطب المنبر جـ ٣

إعداد الشيخ : فيصل الحاشدي

رقم الإيداع: ٢٠١٩/١٦١٥٥.

نوع الطباعة: لون واحد.

عدد الصفحات: ٣٢٠.

القياس: ١٧×٢٤.

تجهيزات فنية:

مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية

أعمال فنية وتصميم الغلاف أ/ يسري حسن.

٢٠١٩

الجزء الثالث

الإدارة

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع

١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

المبيعات

دار القمة لتوزيع الكتاب والشريط والسي دي

١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢

dar_aleman@hotmail.com

دار الإيمان المتحدة

أمام مستشفى الصوفي - أسفل مدارس اليمن الحديثة
مقابل بنك سبأ - شارع رداع - محافظة ذمار

جوال: ٧٧٥٣٠٩٩٣٥

الصَّحِيحُ مِنَ الأَثَرِ فِي

خُطَبِ المِنْبَرِ

الجزء الثالث

تأليف

أبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي

عفا الله عنه

دار القمة

فاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٢٢٢٠٠٢

دار الإيمان

اسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العالمينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على قُدْوَةِ الدَّاعينَ، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ الهُداةِ والمُهْتَدِينَ، وعلى مَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعدْ، فإنَّه لمَّا خَرَجَ الجُزْءُ الأَوَّلُ مِنْ كتابِي «**الصَّحيحُ مِنَ الأَثَرِ**» وتلاه الثَّاني نالا إعجابَ بَعْضِ أَهْلِ العِلْمِ واستحسانَهُمْ، وَرَغِبَ إليَّ بَعْضُهُمْ أنْ أستمَّر في إخراجِ مثلِ هذِهِ الخُطَبِ، فلمْ أختلقِ العِلَلَ، فحسبي أنْ أكتبَ ما أعتقدُ أنَّهُ يُقَرِّبُنِي إلى اللهِ، ثُمَّ أَعْرِضَهُ على أَهْلِ العِلْمِ؛ لينظروا هَلْ فيه ما يُخالِفُ الكتابَ والسُّنَّة فأطَّرِحَهُ، وما يُوافقُ الكتابَ والسُّنَّةَ فأَنْشُرَهُ.

وإنِّي وإنْ كُنْتُ قليلَ البِضَاعةِ، لكنِّي ـ بِحَمْدِ الله ـ لا أتكلَّفُ ما لا أُحْسِنُهُ، واللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ لا يُكلِّفُ نَفْسًا إلَّا ما آتاهَا.

قال جلَّ في عُلَاهُ: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ (الطلاق: 7).

وهذِهِ السِّلْسِلَةُ إنَّما هي امْتِدَادٌ لسابقتِهَا مِنْ حَيْثُ اعْتِمَادُهَا عَلى الكِتَابِ والسُّنَّةِ، فَلَا تَصْلحُ التَّزكِيَةُ الحقَّةُ إلَّا بِهِمَا بإذْنِ اللهِ.

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (البقرة: 129).

قَالَ ابْنُ كثيرٍ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: « ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ يَعْنِي: القُرْآنَ، ﴿ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ يَعْنِي: السُّنَّةَ، قالَهُ الحَسَنُ»[1].

---

(1) تَفْسِيرُ ابْن كَثِير (1/ 444).

وَقَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة : 231).

وَقَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ﴾ (البقرة : 232).

فالمُوفَّقُ مَنْ وفَّقَهُ اللهُ إلى سُلُوكِ طريقةِ الرُّسُلِ ـ صَلَواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهم ـ في دَعْوتِهِمْ.

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة : 151).

فموعظةُ النَّاسِ بالكتابِ والسُّنَّة مِنَ المطالبِ العاليةِ، والمقاصِدِ السَّاميةِ، وكُلَّما عَظُمَ المَطْلُوبُ وشَرُفَ، كَثُرَتَ العوارِضُ والموانعُ دُونَهُ، كما قيلَ: «كُلَّما كان الفِعْلُ أَنْفَعَ لِلْعَبْدِ، وأَحبَّ إلى اللهِ ـ تعالى ـ، كان اعتراضُ الشَّيطانِ لَهُ أَكْثَرَ».

فحَرِيٌّ بطالبِ الْعِلْمِ أَنْ يَعِظَ النَّاسَ بالكتابِ والسُّنَّةِ، فإِنَّهُ لا يَعْدِلُ عنهما إلى الحكاياتِ والقصصِ إلَّا مَنْ قلَّ حظُّهُ مِنَ التَّوفيقِ.

اللَّهمَّ: «يا وليَّ الإسلامِ وأَهْلِهِ، ثَبِّتْني به حتَّى أَلْقَاكَ»[1].

وصلَّى اللهُ على نبيِّنا مُحمَّدٍ وآلِهِ، وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا.

كتبهُ
أبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي

(1) دُعَاءٌ نَبويٌّ صحيحٌ، أخرجه الطَّبرانيُّ في «الأوسط» (653)، وصحَّحه الألْبانيُّ في «الصَّحيحة» (4 / 438) مِنْ حديثِ أَنَسٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ.

1 عَظَمَةُ اللهِ

الخُطْبَةُ الأُولى :

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران : 102).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء : 1).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب :70 - 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ـ ﷺ ـ ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ ـ حَدِيثي مَعَكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ **«عَظَمَةِ اللهِ»**.

الْعَظَمَةُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ ثَابِتَةٌ للهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالْعَظِيمُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَائِهِ.

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ (البقرة : 255).

وَقَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ (الواقعة : 96 ، الحاقة : 52).

وَقَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (الحاقة : 33).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[1] مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي الشَّفَاعَةِ، وَفِيهِ: **«فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قال: لَيْسَ ذَاكَ لَكَ، ولكنْ وَعِزَّتِي، وكِبْرِيائي، وَعَظَمَتِي، وجِبْرِيائي، لَأُخْرِجَنَّ مَنْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»**[2].

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[3] مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فِي دُعَاءِ الْكَرْبِ: **«لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَظِيمُ الْحَكِيمُ ...»**.

قَالَ قوَّامُ السُّنَّةِ أَبُو الْقَاسِمِ الْأَصْبَهَانِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي كِتَابِهِ «الْحُجَّةُ فِي بَيَانِ الْمَحَجَّةِ»[4]:

«الْعَظَمَةُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللهِ - تَعَالَى - ، لَا يَقُومُ لَهَا خَلْقٌ، وَاللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - خَلَقَ بَيْنَ الْخَلْقِ عَظَمَةً يُعَظِّمُ بِهَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعَظَّمُ الْمَالِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعَظَّمُ لِفَضْلٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعَظَّمُ لِعِلْمٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعَظَّمُ لِسُلْطَانٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعَظَّمُ لِجَاهٍ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَلْقِ إِنَّمَا يُعَظَّمُ لِمَعْنَى دُونَ مَعْنَى، وَاللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يُعَظَّمُ فِي الْأَحْوَالِ كُلِّهَا».

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ تَعْظِيمَ اللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - مِنْ أَجَلِّ الْعِبَادَاتِ الْقَلْبِيَّةِ، وَأَهَمِّ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ مَبْنِيٌّ عَلَى الْإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ، وَقَدْ ذَمَّ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - مَنْ لَا يُعَظِّمُ اللهَ حَقَّ تَعْظِيمٍ، فَقَالَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ (نُوحٍ : 13). أَيْ: مَا لَكُمْ لَا تُعَظِّمُونَ اللهَ حَقَّ عَظَمتِهِ.

(1) رواه البُخاريُّ (7510)، ومسلم (326/ 193).
(2) أَيْ: لأتفضَّلَنَّ عليهم بإخراجهم من النَّارِ مِنْ غَيْرِ شفاعةٍ.
(3) رواه البُخاريُّ (7431)، ومسلم (2730).
(4) (1/ 41).

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ كَانَ نَبِيُّنَا -ﷺ- يُرَبِّي أُمَّتَهُ عَلَى وُجُوبِ تَعْظِيمِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[1] مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ إِلَى النَّبِيِّ - ﷺ - ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ - أَوْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ - إِنَّ اللهَ - تَعَالَى - يُمْسِكُ السَّماوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ. فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - تَعَجُّبًا مِمَّا قَالَ الْحَبْرُ، تَصْدِيقًا لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الزمر: 67).

وَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»[2] مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : أَنَّ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - ، قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمِنْبَرِ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ، وَرَسُولُ اللهِ - ﷺ - يَقُولُ هَكَذَا بِيَدِهِ وَيُحَرِّكُهَا، يُقْبِلُ بِهَا وَيُدْبِرُ، يُمَجِّدُ الرَّبُّ نَفْسَهُ: **أَنَا الْجَبَّارُ، أَنَا الْمُتَكَبِّرُ، أَنَا الْعَزِيزُ، أَنَا الْكَرِيمُ،** فَرَجَفَ بِرَسُولِ اللهِ - ﷺ - الْمِنْبَرُ، حَتَّى قُلْنَا: لَيَخِرَّنَّ بِهِ».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[3] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: **«يَقْبِضُ اللهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟»**.

---

(1) رواه البُخاريُّ (7451)، ومسلم (2786)، واللَّفْظُ لَهُ.

(2) **«صحيح»** أخرجه أحمدُ (2/ 72)، وابْنُ أبي عاصمٍ في «السُّنَّة» (1/ 240/ 546)، وصحَّحه الأَلْبَانيُّ في «الصَّحيحة» (12/ 29).

(3) رواه البُخاريُّ (7382)، ومسلم (2787).

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ تَأَمَّلَ أَعْظَمَ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ وَهِيَ «آيَةُ الْكُرْسِيِّ»، عَلِمَ أَنَّهَا قَدْ جَمَعَتْ أَوْجُهَ الْعَظَمَةِ لِلْخَالِقِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ؛ فَاسْتَحَقَّتْ أَنْ تكُونَ أَعْظَمَ آيَةٍ.

فَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ»(1) مِنْ حَدِيثِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : **«أَبَا الْمُنْذِرِ، أَيُّ آيَةٍ مَعَكَ مِنْ كِتَابِ اللهِ أَعْظَمُ؟»**، قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: **«أَبَا الْمُنْذِرِ، أَيُّ آيَةٍ مَعَكَ مِنْ كِتَابِ اللهِ أَعْظَمُ؟»**، قَالَ: قُلْتُ: «اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ». قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: **« لِيَهْنَ لَكَ - يَا أَبَا الْمُنْذِرِ - الْعِلْمُ»**.

وَالْكُرْسِيُّ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَعْظَمُ مَخْلُوقَاتِ اللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بَعْدَ الْعَرْشِ.

فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «كِتابِ الْعَرْشِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»(2) مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: **«مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعَةُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ تِلْكَ الْفَلَاةِ عَلَى تِلْكَ الْحَلْقَةِ»**. أَتَدْرُونَ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا الحَلْقَةُ؟ إِنَّهَا الشَّيْءُ المُسْتديرُ: كَحَلْقَةِ الْخَاتَمِ وَنَحْوِهِ.

وَالْكُرْسِيُّ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيِ الْعَرْشِ.

فَقَدْ أَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي كِتَابِهِ «مُخْتَصَرُ الْعُلُوِّ»(3) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ قَالَ: «الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ، والْعَرْشُ لَا يَقْدِرُ قَدْرَهُ إِلَّا اللهُ».

---

(1) **«صحيح»** أخرجه أبو داوُدَ (1460)، وصحَّحه الأَلْبَانيُّ في «صحيح أبي داوُدَ» (2/ 460).

(2) **«صحيح»** أخرجه ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «كتاب العرش» (1/ 114)، وصحَّحه الأَلْبَانيُّ في «الصَّحيحة» (109).

(3) **«صحيح»** أخرجه الحاكم فِي «مستدركه» (2/ 282)، وابن خزيمة في التوحيد (1/ 249) وقال الذهبي في «العلو» رجاله ثقات. انظر «مختصر العلو» للأَلْبَانيُّ (102).

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ عَظَمَةَ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ تَتَجَلَّى فِي خَلْقِهِ؛ لِأَنَّ عَظَمَةَ المخلوقِ تَدُلُّ علَى كمالِ الخالقِ وعَظَمتِهِ.

فَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ»، و«سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ»، واللَّفْظُ لَهُ بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»[1] مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : **«إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، إِنَّ السَّمَاءَ أَطَّتْ** [أَيْ: أَنَّ كَثْرَةَ مَا فِيهَا مِنَ الْمَلائِكَةِ قَدْ أَثْقَلَهَا حَتَّى أَطَّتْ] **وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ ساجِدًا للهِ»**.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[2] مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ «أَنَّ مُحَمَّدًا ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[3] عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ فَأَيْنَ قَوْلُهُ: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾».

قَالَتْ: «ذَاكَ جِبْرِيلُ كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ، وَأَنَّهُ أَتَاهُ هَذِهِ الْمَرَّةَ فِي صُورَتِهِ فَسَدَّ الْأُفُقَ».

وَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»[4] مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : **«أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعُمِائَةِ عَامٍ»**.

---

(1) **«صحيح»** أخرجه أحمدُ (5/ 173)، وابْنُ ماجهْ (2312) واللفظ له وصحَّحه الأَلْبَانيُّ في «الصَّحيحة» (2169).

(2) رواه البُخاريُّ (4857)، ومسلم (174).

(3) رواه البُخاريُّ (3235)، ومسلم (177).

(4) **«صحيح»** أخرجه أبو داوُدَ (4727)، وصحَّحه الأَلْبَانيُّ في «صحيح الجامع» (854).

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْعَبَّادُ - حَفِظَهُ اللهُ - فِي «شَرْحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ»: أَيْ: فَإِذَا كَانَ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذْنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ سَبْعُمِائَةِ عَامٍ فَكَيْفَ بِبَقِيَّةِ جِسْمِهِ؟ أَيْ فَهُوَ عَلَى ضَخَامَةٍ عَظِيمَةٍ لَا يَعْلَمُ كُنْهَهَا وَقَدْرَهَا إِلَّا اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - »[1].

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»[2] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : **«إِنَّ اللهَ أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ دِيكٍ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ، وَعُنُقُهُ مُنْثَنٍ تَحْتَ الْعَرْشِ وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَكَ رَبَّنَا، فَيَرُدُّ عَلَيْهِ: مَا يَعْلَمُ ذَلِكَ مَنْ حَلَفَ بِي كَاذِبًا»**.

قَالَ الْمَنَاوِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي كِتَابِهِ «التَّيْسِيرُ بِشَرْحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ»[3]: **«إِنَّ اللهَ أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ دِيكٍ»** أَيْ عَنْ عِظَمِ جُثَّةِ مَلَكٍ فِي صُورَةِ دِيكٍ. **«قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ»** أَيْ وَصَلَتَا إِلَيْهَا وَخَرَقَتَاهَا وَخَرَجَتَا مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ. **«وَعُنُقُهُ مُنْثَنِيَةٌ تَحْتَ الْعَرْشِ وَهُوَ يَقُولُ: «سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ شَأْنَكَ»** زَادَ فِي رِوَايَةٍ **«رَبَّنَا» «فَيَرُدُّ عَلَيْهِ»** أَيْ: فَيُجِيبُهُ اللهُ الَّذِي خَلَقَهُ بِقَوْلِهِ: **«لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ»** أَيْ عَظَمَةَ سُلْطَانِي وَسَطْوَةَ انْتِقَامِي **«مَنْ حَلَفَ بِي كَاذِبًا»** فَإِنَّهُ لَوْ نَظَرَ إِلَى كَمَالِ الْجَلَالِ وَتَأَمَّلَ فِي عِظَمِ الْمَخْلُوقَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى عِظَمِ خَالِقِهَا لَمْ يَتَجَرَّأْ عَلَى ذَلِكَ فَالْجَرَاءَةُ عَلَى الْيَمِينِ الْكَاذِبَةِ مَنْشَؤُهَا كَمَالُ الْجَهْلِ بِاللهِ».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[4] مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ وَفِيهِ: **«ثُمَّ عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ جِبْرِيلُ، قِيلَ:**

---

(1) شرح سنن أبي داود للعباد (27/ 195).

(2) **«صحيح»** أخرجه الطبراني في «الأوسط» (6503)، وصحَّحه الأَلْبَانيُّ في «الصَّحيحة» (1/ 231).

(3) (1/ 493).

(4) رواه البُخاريُّ (7515) عن أبي هريرة، ومسلم (162) عن أنس واللفظ له.

وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ـ ﷺ ـ قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ـ ﷺ ـ مُسْنِدٌ ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ».

قَوْلُهُ: لَا يَعُودُونَ أَيْ يَأْتِي مَلَائِكَةٌ غَيْرُهُمْ. قَالَ النَّوَوِيُّ ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ : «وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى كَثْرَةِ الْمَلَائِكَةِ ـ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ ـ»[1].

تِلْكَ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ بَعْضُ الآيات التي تدل على عظمة الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ مِمَّا تَتَحَمَّلُهُ الْعُقُولُ، وَإِلَّا فَعَظَمَةُ اللهِ أَجَلُّ مِنْ أَنْ يُحِيطَ بِهَا عَقْلٌ.

أَيُّهَا النَّاسُ أَمَامَكُمْ نَافِذَةٌ وَاسِعَةٌ سِعَةَ الْكَوْنِ كُلِّهِ، إِعْجَازٌ بَاهِرٌ، وَآيَاتٌ كَرِيمَةٌ قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾ (ق: 6-11).

أَيُّهَا النَّاسُ، انْظُرُوا إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ يَدُورَانِ، وَاللَّيلِ وَالنَّهَارَ يَتَقَلَّبَانِ قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (لقمان: 29).

وَقَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (القصص: 71، 72).

---

(1) شرح النووي على مسلم (2/ 225).

أَيُّهَا النَّاسُ، مَاذَا نَفْعَلُ لَوْ لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ؟ ماذَا نَفْعَلُ إذَا لم يغب الْقَمَر؟ أو ماذَا نَفْعَلُ إذَا لم يطلع الْقَمَر؟ كَيْفَ نَعِيشُ؟ قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (يُونُس : 5).

أَيُّهَا النَّاسُ، انْظُرُوا إِلَى تَكْوِينِ أَنْفُسِكُمْ، وَتَرَاكِيبِ أَجْسَامِكِمْ، مَنْ ذَا الَّذِي جَعَلَهُ فِي هَذَا التَّرْكِيبِ الدَّقِيقِ، وَهَذَا النِّظَامِ الْعَجِيبِ قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (الذَّارِيَات : 21).

أَيُّهَا النَّاسُ، عَظَمَةُ اللهِ تَتَجَلَّى فِي النَّبَاتِ وَالشَّجَرِ، فِي الْفَاكِهَةِ وَالثَّمَرِ، فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَمَنْ تَأَمَّلَ عَظَمَةَ اللهِ حَقَّ التَّأَمُّلِ قَدَرَ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَعَظَّمَهُ حَقَّ تَعْظِيمِهِ، وَامْتَلأَ قَلْبُهُ بِالْإِيمَانِ باللهِ وَانْطَلَقَ لِسَانَهُ بِـ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهَ، وَخَضَعَتْ مَشَاعِرُهُ لِسُلْطَانِ اللهِ».

وَاَسْتَغْفِرُ اللهَ.

الخُطْبَةُ الثانية ـ ثِمَارُ تَعْظِيمِ اللهِ :

الْحَمْدُ للهِ ربِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أَمَّا بَعدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ تَعْظِيمِ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ ثِمَارِ تَعْظِيمِ اللهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، ثِمَارِ تَعْظِيمِ اللهِ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، وَسَأَذْكُرُ طَرَفًا مِنْهَا:

فَمِنْ ثِمَارِ تَعْظِيمِ اللهِ؛ الْإِقْرَارُ بِرُبُوبِيَّتِهِ وَالْخُضُوعُ لِأُلُوهِيَّتِهِ، وَالْإِخْلَاصُ فِي عِبَادَتِهِ، وَعَدَمُ الْإِشْرَاكِ مَعَهُ غَيْرَهُ.

وَمِنْ ثِمَارِ تَعْظِيمِ اللهِ زِيَادَةُ الْإِيمَانِ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ مَبْنِيٌّ عَلَى الْإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ، وَمَنْزِلَةُ التَّعْظِيمِ معهَ تَابع لِلْمَعْرِفَةِ، وَعَلَى قَدْرِ الْمَعْرِفَةِ يَكُونُ تَعْظِيمُ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ فِي الْقَلْبِ وَأَعْرَفُ النَّاسِ بِهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ أَشَدُّهُمْ لَهُ تَعْظِيمًا وَإِجْلَالًا.

فَالْمَلَائِكَةُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ لَمَّا كَانُوا مِنْ أَعْلَمِ الْخَلْقِ باللهِ عَظَّمُوهُ حَقَّ تَعْظِيمِهِ فَعَبَدُوهُ سُبْحَانَهُ حَقَّ عِبَادَتِهِ وَلَمْ يَسْتَنْكِفُوا عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَمْ يَسْتَكْبِرُوا.

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (الأنبياء : 19، 20).

وَقَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ فِي وَصْفِهِمْ: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ (الأنبياء : 27، 28).

وَقَالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (النحل : 50).

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»[1] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: إِنَّ نَبِيَّ اللهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: «**إِذَا قَضَى اللهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاء أيْ إذَا تكَلَّمَ بِالْوَحْيِ أَخَذَتِ السَّمَاءُ رَجْفَةً مِنْ خَوْفِ اللهِ ـ ضَرَبَتَ الْمَلَائِكَةِ بِأَجْنِحَتِهَا خضعانًا ـ أَيْ خَاضِعِينَ ـ لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ ـ أَيْ الْقَوْلُ الْمَسْمُوعُ كَلَامُ اللهِ ـ سِلْسَلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**».

وَمِنْ تِلْكَ الثِّمَارِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّهُ مَتَى امْتَلَأَ الْقَلْبُ بِعَظَمَةِ اللهِ يَجْعَلُ الْمُسْلِمَ هَادِئَ الْبالِ سَاكِنَ النَّفْسِ، فَلَا يَحْزُنُهُ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ؛ فَإِنَّهُ لِكُلِّ ظَالِمٍ نِهَايَةً فَمَهْمَا طَفَوْا وَبَغَوْا فَاللَّهُ هُوَ الْقَوِيُّ الَّذِي لَا يُغْلَبُ.

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ﴾ (القصص : 4).

فَمَاذَا كَانَتِ النَّتِيجَةُ؟

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ (الذاريات : 40).

وَمِنْ تِلْكَ الثِّمَارِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّ مَعْرِفَتَنَا بِعَظَمَةِ اللهِ تُورِثُ الْقَلْبَ الشُّعُورَ الْحَيَّ بِمَعِيَّتِهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ وَالَّتِي تَفِيضُ السَّكِينَةَ فِي الْمِحَنِ وَالْبَصِيرَةَ فِي الْفِتَنِ.

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ (الشعراء : 61).

أَيْ: أَنَّ الْبَحْرَ أَمَامَهُمْ وَالْعَدُوَّ خَلْفَهُمْ فَأَيْنَ الْمَفَرُّ؟

فَيَرُدُّ عَلَيْهِمْ مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ بِاسْتِشْعَارٍ لِعَظَمَةِ اللهِ وَثِقَةٍ كَامِلَةٍ بِمَوْعُودِهِ وَإِيمَانٍ بِمَعِيَّتِهِ لَهُ: ﴿ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ (الشعراء : 62).

(1) رواه البُخاريُّ (4424).

فَمَاذَا كَانَتِ النَّتِيجَةُ؟

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴾ (الشُّعَرَاءِ : 63-66).

وَلَـمَّا لَجَأَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَصَاحِبُهُ إِلَى الْغَارِ وَاقْتَرَبَ الأَعْدَاءُ حَتَّى كَانُوا قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى شَاهِرِينَ سُيُوفَهُمْ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»[1]: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فَرَدَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بِكُلِّ ثِقَةٍ: **«مَا ظَنُّكَ ـ يَا أَبَا بَكْرٍ بِإِثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا»**!

وَمِنْ تِلْكَ الثِّمَارِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّ مَنْ شَهِدَ قَلْبُهُ عَظَمَةَ اللهِ وَكِبْرِيَاءَهُ عَلِمَ شَأْنَ تَحْذِيرِهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ فَلَا يَتَعَرَّضُ لِسَخَطِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ (آلِ عِمْرَانَ : 30).

قَالَ ابْنُ سَعْدِي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ فِي تَفْسِيرِهِ: «أَيْ: فَلَا تَتَعَرَّضُوا لِسَخَطِهِ بِارْتِكَابِ مَعَاصِيهِ فَيُعَاقِبَكُمْ عَلَى ذَلِكَ»[2].

وَمِنْ ثِمَارِ تَعْظِيمِ اللهِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ فَرَحُ الْقَلْبِ وَسُرُورُهُ، وَطُمَأْنِينَتُهُ؛ لِأَنَّهُ صَرَفَ التَّعْظِيمَ لِمَنْ يَسْتَحِقُّ التَّعْظِيمَ، وَتِلْكَ هِيَ جَنَّةُ الدُّنْيَا وَالَّتِي مَنْ دَخَلَهَا دَخَلَ جَنَّةَ الْآخِرَةَ.

وَمِنْ ثِمَارِ تَعْظِيمِ اللهِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ الْوُقُوفُ عِنْدَ حُدُودِهِ، وَامْتِثَالُ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابُ نَوَاهِيهِ، وَتَعْظِيمُ شَعَائِرِهِ.

---

(1) رواه البُخاريُّ (3653)، ومسلم (2381).

(2) تفسير ابْنُ سَعْدِي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ (128).

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ (الحج : 30).

وَقَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ (الحج : 32).

وَمِنْ تِلْكَ الثِّمَارِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّ مَنْ عَظَّمَ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ وَصَفَهُ بِمَا يَسْتَحِقُّ مِنَ الْأَوْصَافِ، وَأَقَرَّ بِأَفْعَالِهِ، وَنَسَبَ النِّعَمَ إِلَيْهِ دُونَ سِوَاهُ.

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ (النحل : 53).

وَمِنْ تِلْكَ الثِّمَارِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّ مَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللهِ خَافَ مِنْهُ لَا مَحَالَةَ لِأَنَّ الْمَعْرِفَةَ تُوقِعُهُ عَلَى صِفَاتِ جَلَالِ اللهِ وَكِبْرِيَائِهِ، فَهُوَ ـ سُبْحَانَهُ ـ الَّذِي قَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ وَغَلَبَهُ، وَالَّذِي لَا يُطَاقُ انْتِقَامُهُ، مُذِلُّ الْجَبَابِرَةِ قَاصِمُ ظُهُورِ الْمُلُوكِ وَالْأَكَاسِرَةِ وَهُوَ ـ سُبْحَانَهُ ـ الْقَوِيُّ الَّذِي تَتَصَاغَرُ كُلُّ قُوَّةٍ أَمَامَ قُوَّتِهِ، وَيَتَضَاءَلُ كُلُّ عَظِيمٍ أَمَامَ ذِكْرِ عَظَمَتِهِ.

وَلِأَجْلِ شُهُودِ صَفَاتِ عَظَمَتِهِ وَجِلَتْ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ لِمُجَرَّدِ ذِكْرِهِ قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (الأنفال : 2).

وَقَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (الحج : 34، 35).

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الْانْقِيَادَ لِحُكْمِكَ وَالتَّعْظِيمَ لِشَأْنِكَ.

اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ.

اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ.

2 الخوف من اللهِ

الخُطْبةُ الأُولى :

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ (آل عمران : 102).

ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءًۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا﴾ (النساء : 1).

ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب :70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ـ ﷺ ـ ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ ـ حَدِيثي مَعَكُمْ الْيَوْمَ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ **«الْخَوْفُ مِنَ اللهِ»** وَمَا أَدْرَاكُمْ مَا الْخَوْفُ؟ إِنَّهُ مَقَامَاتٌ عُلْيَا مِنْ مَقَامَاتِ الدِّيْنِ وَلَازِمٌ مِنْ لَوَازِمِهِ[1] إِنَّهُ سَوْطُ اللهِ يَسُوقُ بِهِ عِبَادَهُ إِلَى الْمُوَاظَبَةِ عَلَى الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ لِيَنَالُوا بِهِمَا رُتْبَةَ الْقُرْبِ مِنْهُ ـ سُبۡحَٰنَهُۥ ـ وَسِرَاجُ الْقُلُوبِ بِهِ يُبْصِرُ مَا فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

(1) انظر «فتح الباري» (11/ 313).

وَكُلُّ أَحَدٍ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ إِذَا خَافَهُ الْعَبْدُ هَرَبَ مِنْهُ إِلَّا اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ فَإِنَّهُ إِذَا خَافَهُ هَرَبَ إِلَيْهِ. وَمَا فَارَقَ الْخَوْفُ قَلْبًا إِلَّا خَرِبَ[1].

وَحُكْمُ الْخَوْفِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّهُ وَاجِبٌ، وَمَنْ لَا يَخَافُ اللهَ فَهُوَ آثِمٌ.

وَقَدْ دَلَّ عَلَى وُجُوبِ الْخَوْفِ مِنَ اللهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ.

فَمِنْ تِلْكَ الْأَدِلَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى وُجُوبِ الْخَوْفِ مِنَ اللهِ:

قَوْلُ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران: 175).

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ سَعْدِي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ فِي تَفْسِيرِهِ: «وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ وُجُوبُ الْخَوْفِ مِنَ اللهِ وَحْدَهُ، وَأَنَّهُ مِنْ لَوَازِمِ الْإِيمَانِ، فَعَلَى قَدْرِ إِيمَانِ الْعَبْدِ يَكُونُ خَوْفُهُ مِنَ اللهِ»[2].

وَقَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ (المائدة: 44).

قَالَ ابْنُ سَعْدِي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ فِي تَفْسِيرِهِ: «أَمَرَ اللهُ بِخَشْيَتِهِ الَّتِي هِيَ رَأْسُ كُلِّ خَيْرٍ، فَمَنْ لَمْ يَخْشَ اللهَ لَمْ يَنْكَفَّ عَنْ مَعْصِيَتِهِ وَلَمْ يَمْتَثِلْ أَمْرَهُ»[3].

وَالْخَشْيَةُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ خَوْفٌ مَبْنِيٌّ عَلَى عِلْمٍ، فَهِيَ أَخَصُّ مِنَ الْخَوْفِ وَلَا تَكُونُ إِلَّا لِلْعُلَمَاءِ بِاللهِ يقوْلُ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ (فاطر: 28). فَهَذَا خَوْفٌ مَقْرُونٌ بِمَعْرِفَةٍ.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : «... **أَمَا واللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ**».

---

(1) انظر «بصائر ذوي التمييز» (2/ 577).

(2) تفسير ابْنُ سَعْدِي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ (ص 157).

(3) المرجع السابق (ص 233).

فَخَوْفُ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ خَوْفًا مَقْرُونًا بِمَعْرِفَةٍ؛ لِأَنَّهُ أَعْلَمُ النَّاسِ بِاللهِ.

فَعَلَيْهِ نَقُولُ: الْخَوْفُ لِعَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْخَشْيَةُ لِلْعُلَمَاءِ الْعَارِفِينَ، وَعَلَى قَدْرِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ يَكُونُ الْخَوْفُ وَالْخَشْيَةُ. فَصَاحِبُ الْخَوْفِ يَلْتَجِىءُ إِلَى الْهَرَبِ وَصَاحِبُ الْخَشْيَةِ يَلْتَجِىءُ إِلَى الْإِعْتِصَامِ بِالْعِلْمِ.

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عُثَيْمِين ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ : «الْخَشْيَةُ خَوْفٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الْعِلْمِ بِعَظَمَةِ مَنْ يُخْشَى وَكَمَالِ سُلْطَانِهِ، فَإِذَا خِفْتَ مِنْ شَخْصٍ لَا تَدْرِي هَلْ هُوَ يَقْدِرُ عَلَيْكَ أَمْ لَا، فَهَذَا خَوْفٌ. وَإِذَا خِفْتَ مِنْ شَخْصٍ تَعْلَمُ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَيْكَ، فَهَذِهِ خَشْيَةٌ».

وَلِلْخَوْفِ مِنَ اللهِ مَنَافِعُ وَمَسَارٌّ وَفَوَائِدُ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَسَوْفَ أَذْكُرُ طَرَفًا مِنْ ذَلِكَ.

فَمِنَ الْفَوَائِد الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْخَوْفِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ جَعَلَهُ شَرْطًا لِحُصُولِ الْإِيمَانِ فَقَالَ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: 175).

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: «لَا تَخَافُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْمُشْرِكِينَ، وَلَا يَعْظُمَنْ عَلَيْكُمْ أَمْرُهُمْ، وَلَا تَرْهَبُوا جَمْعَهُمْ مَعَ طَاعَتِكِمْ إِيَّايَ، مَا أَطَعْتُمُونِي وَاتَّبَعْتُمْ أَمْرِي، وَإِنِّي مُتَكَفِّلٌ لَكُمْ بِالنَّصْرِ وَالظَّفْرِ، وَلَكِنْ خَافُونِي وَاتَّقُونِي أَنْ تَعْصُونِي، وَتُخَالِفُوا أَمْرِي فَتَهْلَكُوا، إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»(1).

وَمِنْ فَوَائِدِ الْخَوْفِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّهُ مِنْ أَسْبَابِ التَّمْكِينِ فِي الْأَرْضِ قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾ (إبراهيم: 13، 14).

(1) تفسير الطبريُّ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ (4/ 184).

وَمِنْ فَوَائِدِ الْخَوْفِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّهُ يَبْعَثُ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالْإِخْلَاصِ فِيهِ.

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ (الإنسان: 9، 10).

فَمِنْ أَجَلِ الْخَوْفِ مِنَ اللهِ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ لِوَجْهِ اللهِ ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ أَيْ أَنَّهُ يومٌ طَوِيلٌ عَبُوسٌ شَدِيدٌ هَوْلُهُ عَظِيمٌ أَمْرُهُ، تَعْبِسُ فِيهِ الْوُجُوهُ مِنْ شِدَّةِ الْمَكْرُوهَاتِ الَّتِي تَرَاهَا وَيَطُولُ بَلَاءُ أَهْلِهِ وَيَشْتَدُّ؛ إِنَّهُ يَوْمٌ عَصِيبٌ ..!

وَقَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ (النور: 36، 37).

فَالْخَوْفُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ هُوَ الَّذِي دَفَعَهُمْ إِلَى الْعَمَلِ فَلَمْ تَشْغَلْهُمُ التِّجَارَةُ وَلَا الْمَالُ وَلَا الْمَادَّةُ وَلَا الْإِغْرَاءَاتُ الدُّنْيَوِيَّةُ عَنِ الذَّهَابِ إِلَى الْمَسَاجِدِ وَعِمَارَتِهَا بِالصَّلَاةِ وَذِكْرِ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ ؛ لِأَنَّهُمْ ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أَيْ: تَضْطَرِبُ، وَتَتَقَلَّبُ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَفَظَاعَتِهِ فَهُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ يُرِيدُونَ النَّجَاةَ وَيَحْذَرُونَ الْهَلَاكَ، وَيَخَافُونَ أَنْ يُؤْخَذَ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، يَخَافُونَ أَنْ يُؤْتَوْا كُتُبَهُمْ بِشِمَالِهِم، كذَلِكَ يَعْمَلُونَ.

فَمِنْ فَوَائِدِ الْخَوْفِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّهُ يَقْمَعُ الشَّهَواتِ وَيُكَدِّرُ اللَّذَّاتِ، فَتَصِيرُ الْمَعَاصِي الْمَحْبُوبَةُ عِنْدَهُ مَكْرُوهَةٌ مُكَدَّرَةً.

كَمَا قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ وَلَيْسَ الْمَقْصُودَ تَكْدِيرَ اللَّذَائِذِ الْمُبَاحَةِ، فَالرَّسُولُ ـ ﷺ ـ «اسْتَمْتَعَ بِمُبَاحَاتِ الدُّنْيَا، وَهُوَ إِمَامُ الْخَائِفِينِ وَهُوَ الْقَائِلُ كَمَا فِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيح الْجَامِعِ» مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ

ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : **«حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»**[1].

وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ أَنَّ الْخَوْفَ مِنَ اللهِ يُكَدِّرُ اللَّذَاتِ الْمُحَرَّمَةَ بِتَذَكُّرِ عَذَابِ اللهِ وَوَعِيدِهِ لِمَنْ وَقَعَ فِيهَا فَالزَّانِي ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ لَوْ تَذَكَّرَ عَذَابَ اللهِ وَوَعْدَهُ وَوَعِيدَهُ تَكَدَّرَتْ لَذَّتُهُ بَلْ لَوْ تَذَكَّرَ ـ فَقَطْ ـ مَا يَنْتَظِرُهُ فِي قَبْرِهِ لَتَكَدَّرَتْ تِلْكَ اللَّذَّةُ الْمُحَرَّمَةُ، وَكَذَلِكَ قَاتِلُ النَّفْسِ وَشَارِبُ الْخَمْرِ وَالسَّارِقُ وَمَنْ يَأْكُلُ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، وَمَنْ يَظْلِمُ النَّاسَ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ وأَنْفُسِهِمْ لَوْ عَلِمَ هَؤُلَاءِ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الظَّالِمِينَ لِأَنْفُسِهِمْ وَغَيْرِهِمْ مَا يَنْتَظِرُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ فِي قَبْرِهِمْ وَيَوْمِ حَشْرِهِمْ لَذَاقُوا مَرَارَةَ أَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِلْخَائِفِ مِنَ اللهِ فِي الدُّنْيَا لَهُ مَنْزِلَةٌ عِنْدَ رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَيُّ مَنْزِلَةٍ.

فَمِنْ مَنْزِلَةِ الْخَائِفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ يَرْضَى عَنْهُ، قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ (البينة : 8).

أَيْ أَنَّ الرِّضَا مِنَ اللهِ لَا تَكُونَ إِلَّا لِمَنْ خَافَ اللهَ، فَأَحْجَمَ عَنْ مَعَاصِيهِ، وَقَامَ بِمَا أَوْجَبَهُ اللهُ عَلَيْهِ.

وَمِنْ مَنْزِلَةِ الْخَائِفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّ لَهُ جَنَّتَانِ.

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ (الرحمن : 46).

أَيْ أَنَّ الَّذِي خَافَ رَبَّهُ فَتَرَكَ مَا نَهَى عَنْهُ وَفَعَلَ مَا أَمَرَهُ بِهِ، لَهُ جَنَّتَانِ.

أَتَدْرُونَ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ مَا الْجَنَّتَانِ؟ إِنَّهَا جَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَحِلْيَتُهُمَا وَبُنْيَانُهُمَا وَمَا فِيهَا. وَقَدْ وَصَفَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ تِلْكَ الْجَنَّتَانِ بِقَوْلِهِ: ﴿ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ﴾ (الرحمن : 48).

(1) **«صحيح»** أخرجه أحمدُ (11884)، والنسائي في «عشرة النساء» (3939)، وصحَّحه الألْبَانيُّ في «صحيح الجامع» (3124).

أَيْ ذَوَاتَا أَنْوَاعٍ وَأَصْنَافٍ مِنْ جَمِيعِ أَصْنَافِ النَّعِيمِ وَأَنْوَاعِهِ.

وَوَصَفَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ تِلْكَ الْجَنَّتَانِ بِأَوْصَافٍ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ (الرحمن: 50-60).

وَمِنْ مَنْزِلَةِ الْخَائِفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ الْكَثِيرِ وَالنَّعِيمِ الْعَظِيمِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة: 15-17).

وَمِنْ مَنْزِلَةِ الْخَائِفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنْ يَكُونَ آمِنًا فَلَا يَخَافُ أَبَدًا.

فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِه» وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَان» وَابْنُ الْمُبَارَكِ فِي «الزُّهْدِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ **قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ، إِذَا هُوَ خَافَنِي فِي الدُّنْيَا؛ أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذا أَمَّنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخفتهُ فِي الآخرة»**[1].

---

(1) **«حسن»** أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (1/ 51) من حديث الحسن مرسل، وأخرجه ابن حِبان (2/ 406) والبيهقي في «شعب الإيمان» (1/ 483)، من حديث أبي هريرة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ.

قال الدارقطني في «العلل» (8/ 38): إنما يعرف من حديث الحسن مرسلًا، وأخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (1/ 266)، وأبو نعيم في «الحلية» (1/ 270) من حديث شداد بن أوس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (4332).

وَمِنْ مَنْزِلَةِ الْخَائِفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّهُ يَسْتَظِلُّ فِي ظِلِّ اللهِ كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»[1] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : **«سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**، ... وَذَكَرَ مِنْهُمْ «**وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ**».

تِلْكَ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ بَعْضُ مَنْزِلَةِ الْخَائِفِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نبشره بِهِ.

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (الزمر : 17، 18).

وَاسْتَغْفِرُ اللهَ.

(1) أخرجه البُخاريُّ (1423)، ومسلم (1031).

الخُطْبَةُ الثانية ـ أَسْبَابُ الْخَوْفِ مِنَ اللهِ :

الْحَمْدُ للهِ ربِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أَمَّا بَعدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ الْخَوْفِ مِنَ اللهِ، وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ «أَسْبَابِ الْخَوْفِ مِنَ اللهِ».

فَمِنْ أَسْبَابِ الْخَوْفِ مِنَ اللهِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ طَلَبُ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ.

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ (فاطر : 28).

«لِأَنَّ الْعَبْدَ إِذَا عَرَفَ اللهَ خَافَ مِنْ عِقَابِهِ، وإِذَا لَمْ يَعْرِفْهُ لَمْ يَخَفْ مِنْهُ، فَلِذَلِكَ خَصَّ الْعُلَمَاءَ بِالْخَشْيَةِ»[1].

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ ـ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ ـ هُمْ وَأَصْحَابُهُمْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِاللهِ وَأَعْرَفُهُمْ بِحُقُوقِهِ وَصِفَاتِهِ وَمَا يَسْتَحِقُّ مِنَ التَّعْظِيمِ وَكَانُوا مَعَ ذَلِكَ أَكْثَرَ النَّاسِ عِبَادَةً للهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ وَأَشَدَّهُمْ خَوْفًا مِنْهُ وَطَمَعًا فِي رَحْمَتِهِ[2]، وَكَذَلِكَ أَهْلَ الْعِلْمِ.

وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةَ لِلْخَوفِ مِنَ اللهِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ إِجْلَالُ اللهِ وَتَعْظِيمُهُ فَإِنَّ ذَلِكَ يَقْتَضِي الْخَوْفَ والْهَيْبَةَ مِنْهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ وَهَذَا فَائِدَةُ مَعْرِفَةِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ. فَمَنْ عَلِمَ أَنَّ رَبَّهُ مُنْتَقِمٌ شَدِيدُ الْعِقَابِ، مُتَكبِرٌ، مُهَيْمنٌ، عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ خَافَهُ وَلَاذَ بِجَنَابِهِ.

لِهَذَا كَانَ أَعْظَمُهُمْ لَهُ خَوْفًا وَخَشْيَةً أَشَدُّهُمْ لَهُ تَعْظِيمًا.

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (1/ 1637).

(2) أضواء البيان (16/ 144).

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ عَنِ الْمَلَائِكَةِ: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (النحل: 50).

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»[1] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: **«إِذَا قَضَى اللهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ـ أَيْ: إِذَا تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ أَخَذَتِ السَّمَاءُ رَجْفَةً مِنْ خَوْفِ اللهِ ـ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خَضَعَانًا ـ أَيْ خَاضِعِينَ ـ لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ ـ أَيِ الْقَوْلُ الْمَسْمُوعُ كَلَامُ اللهِ ـ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ»**.

وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِلْخَوفِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ التَّفَكُّرُ فِي عَظَمَةِ اللهِ.

وَقَدْ كَانَ نَبِيُّنَا ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يُرَبِّي أُمَّتَهُ عَلَى وُجُوبِ تَعْظِيمِ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[2] مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ إِلَى النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! ـ أَوْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ! ـ إِنَّ اللهَ ـ تَعَالَى ـ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ تَعَجُّبًا مِمَّا قَالَ الْحَبْرُ، تَصْدِيقًا لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (الزمر: 67).

وَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»[3] مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: **«أُذِنَ لِي أَنْ**

---

(1) رواه البُخاريُّ (4424).

(2) رواه البُخاريُّ (7451)، ومسلم (2786)، واللَّفْظُ لَهُ.

(3) **«صحيح»** أخرجه أبو داوُدَ (4727)، وصحَّحه الأَلْبَانيُّ في «صحيح الجامع» (854).

أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعُمِائَةِ عَامٍ».

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»[1] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : **«إِنَّ اللهَ أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ دِيكٍ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ، وَعُنُقُهُ مُثْنٍ تَحْتَ الْعَرْشِ وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَكَ رَبَّنَا، فَيَرُدُّ عَلَيْهِ: مَا يَعْلَمُ ذَلِكَ مَنْ حَلَفَ بِي كَاذِبًا»**.

قَالَ الْمَنَاوِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ - فِي كِتَابِهِ «التَيْسِيرُ بِشَرْحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ»[2]: **«إِنَّ اللهَ أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ دِيكٍ»** أَيْ عَنْ عِظَمِ جُثَّةِ مَلَكٍ فِي صُورَةِ دِيكٍ. **«قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ»** أَيْ وَصَلَتَا إِلَيْهَا وَخَرَقَتَاهَا وَخَرَجَتَا مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ. **«وَعُنُقُهُ مُثْنِيَةٌ تَحْتَ الْعَرْشِ وَهُوَ يَقُولُ: «سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ شَأْنَكَ»** زَادَ فِي رِوَايَةٍ **«رَبَّنَا»** **«فَيَرُدُّ عَلَيْهِ»** أَيْ: فَيُجِيبُهُ اللهُ الَّذِي خَلَقَهُ بِقَوْلِهِ: **«لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ»** أَيْ عَظَمَةَ سُلْطَانِي وَسَطْوَةَ انْتِقَامِي **«مَنْ حَلَفَ بِي كَاذِبًا»** فَإِنَّهُ لَوْ نَظَرَ إِلَى كَمَالِ الْجَلَالِ وَتَأَمَّلَ فِي عِظَمِ الْمَخْلُوقَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى عِظَمِ خَالِقِهَا لَمْ يَتَجَرَّأْ عَلَى ذَلِكَ فَالْجَرَاءَةُ عَلَى الْيَمِينِ الْكَاذِبَةِ مَنْشَؤُهَا كَمَالُ الْجَهْلِ بِاللهِ».

وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِلْخَوفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - التَّفَكُّرُ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ.

فَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَسُنَنِ ابْنِ مَاجَّهْ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»[3] مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي جَنَازَةٍ، فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ فَبَكَى حَتَّى بَلَّ الثَّرَى، ثُمَّ قَالَ: **«يَا إِخْوَانِي لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا»**.

---

(1) **«صحيح»** أخرجه الطبراني في «الأوسط» (6503)، وصحَّحه الأَلْبَانيُّ في «الصَّحيحة» (1/ 231).

(2) (1/ 493).

(3) **«صحيح»** أخرجه أحمد (5/ 173)، والترمذي (2312) وقال حديث حسن غريب، وابن ماجه (14190) واللفظ له، وصحَّحه الأَلْبَانيُّ في «الصحيحة» (2169).

وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةَ لِلْخَوفِ مِنَ اللهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - التَّفَكُّرُ فِي أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ (لقمان : 33).

وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةَ لِلْخَوفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - التَّفَكُّرُ فِي النَّارِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْأَهْوَالِ الْعِظَامِ. قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾ (المدثر : 35).

فَهَذَا أَعْظَمُ إِنْذَارٍ كَبُرَتْ مُنْذِرَةً دَاهِيَةً عَظِيمَةً أَعْظَمُ الدَّوَاهِي.

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «مَا أُنْذِرَتِ الْخَلَائِقُ بِشَيْءٍ قَطُّ أَخْضَعَ مِنْهَا».

وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةَ لِلْخَوفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مُجَالَسَةُ الصَّالِحِينَ.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ (الكهف : 28).

وَمِنَ الْأُمُورِ الْجَالِبَةَ لِلْخَوفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - قِرَاءَةُ سِيَرِ الْخَائِفِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِي التَّابِعِينَ كَعَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ، وَالشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ، وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَالْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ الَّذِينَ عَنَهُمْ ابْنُ الْمُبَارَكِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - بِقَوْلِهِ:

إِذَا مَا اللَّيْلُ أَظْلَمَ كَابَدُوهُ ○●○ فَيُسْفِرُ عَنْهُمُ وُهُمْ رُكُوعُ
أَطَارَ الْخَوْفُ نَوْمَهُمُ فَقَامُوا ○●○ وَأَهْلُ الْأَمْنِ فِي الدُّنْيَا هُجُوعُ
لَهُمْ تَحْتَ الظَّلَامِ وُهُمْ سُجُودٌ ○●○ أَنِينٌ مِنْهُ تَنْفَرِجُ الضُّلَوعُ
وَخَرسٌ بِالنَّهَارِ لِطُولِ صَمْتٍ ○●○ عَلَيهِمْ مِنْ سَكِينَتِهِمْ خُشُوعُ

وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِلْخَوفِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ الدُّعَاءُ.

فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ يَسْأَلُ اللهَ الْخَشْيَةَ، وَالْخَشْيَةُ هِيَ خَوْفٌ مَقْرُونٌ بِعِلْمٍ ـ كَمَا تَقَدَّمَ ـ فَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»[1] مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُو بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ لِأَصْحَابِهِ: **«اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقوَّاتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا»**.

وَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ، وَسُنَنِ النَّسَائِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صححه الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»[2] عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ أَنَّ النَّبِيَّ ـ ﷺ ـ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: **«... اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ»**.

فَاللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ بِهِ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ، وَنَسْتَعِيذُكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَكَ بِهِ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ، اللَّهمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، اللَّهمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ.

---

(1) **«حسن»** رواه الترمذي (3502)، وحسنه الأَلْبَانِيُّ في «صحيح الجامع» (1268).

(2) **«صحيح»** رواه أحمد (17861)، والنسائي (1306)، وصحَّحه الأَلْبَانِيُّ في «صحيح الجامع» (1301).

3 الرجاء

الخُطْبَةُ الأُولى :

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ (آل عمران : 102).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ (النساء : 1).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب :70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ـ ﷺ ـ ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ ـ حَدِيثي مَعَكُمْ الْيَوْمَ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ **«الرَّجَاءِ»**.

أَيُّهَا النَّاسُ إِذَا كَانَ الْخَوْفُ مِنَ اللهِ هَوَ سَوْطُ اللهِ يَسُوقُ بِهِ عِبَادَهُ إِلَى الْمُواظَبَةِ عَلَى الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ فإِنَّ «الرَّجَاءِ» كَمَا يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ : «حَادٍ يَحْدُو بِهِ فِي سَيْرِهِ إِلَى اللهِ، وَيَطِيِّبُ لَهُ الْمَسِيرَ، وَيَحُثُّهُ عَلَيْهِ، وَيَبْعَثُهُ عَلَى مُلَازَمَتِهِ. فَلَوْلَا الرَّجَاءُ لَمَا سَارَ أَحَدٌ. فَإِنَّ الْخَوْفَ وَحْدَهُ لَا يُحَرِّكُ الْعَبْدَ، وَإِنَّمَا يُحَرِكُهُ الْحُبُّ، وَيُزْعِجُهُ الْخَوْفُ وَيَحْدُوهُ الرَّجَاءُ»[1].

---

(1) «مدارج السالكين» (2/ 241).

فَالْقَلْبُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ فِي سَيْرِهِ إِلَى اللهِ ـ كَمَا يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ : «بِمَنْزِلَةِ الطَّائِرِ، فَالْمَحَبَّةُ رَأْسُهُ، وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ جَنَاحَاهُ، فَمَتَى سَلِمَ الرَّأْسُ وَالْجَنَاحَانِ فَالطَّيْرُ جَيِّدُ الطَّيَرَانِ، وَمَتَى قُطِعَ الرَّأْسُ مَاتَ الطَّائِرُ وَمَتَى فُقِدَ الْجَنَاحَانِ فَهُوَ عُرْضَةٌ لِكُلِّ صَائِدَ وَكَاسِرٍ، لَكِنَّ السَّلَفَ اسْتَحَبُّوا أَنْ يَقْوَى فِي الصِّحَّةِ جَنَاحُ الْخَوْفِ عَلَى جَنَاحِ الرَّجَاءِ، وَعِنْدَ الْخُروجِ مِنَ الدُّنْيَا يُقَوِّي جَنَاحَ الرَّجَاءِ عَلَى جَنَاحِ الْخَوْفِ»[1].

وَالْفَرْقُ بَيْنَ «الرَّجَاءِ وَالتَّمَنِّي» ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّ «التَّمَنِّي» يَكُونُ مَعَ الْكَسَلِ، وَلَا يَسْلُكُ بِصَاحِبِهِ طَرِيق الْجِدِّ وَالإِجْتِهَادِ، وَ«الرَّجَاءَ» يَكُونُ مَعَ بَذْلِ الْجُهْدِ وَحُسْنِ التَّوَكُّلِ.

فَالْأَوَّلُ ـ «كَحَالِ مَنْ يَتَمَنَّى أَنْ تَكُونُ لَهُ أَرْضٌ يَبْذُرُهَا وَيَأْخُذُ زَرْعَهَا.

وَالثَّانِي ـ كَحَالِ مَنَ يَشُقُّ أَرْضَهُ ويُفْلِحُهَا وَيَبْذُرُهَا، وَيَرْجُو طُلُوعَ الزَّرْعِ.

لِهَذَا أَجْمَعَ الْعَارِضُونَ أَنَّ الرَّجَاءَ لَا يَصلِحُّ إِلَّا مَعَ الْعَمَلِ»[2].

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ وَرَدَ الرَّجَاءُ فِي كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ وَسَأَذْكُرُ طَرَفًا مِنْ ذَلِكَ. فَمِنْهَا:

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ (الإسراء: 57).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ : «فَابْتِغَاءُ الْوَسِيلَةِ إِلَيْهِ: طَلَبُ الْقُرْبِ مِنْهُ بِالْعُبُودِيَّةِ وَالْمَحَبَّةِ، فَذَكَرَ مَقَامَاتِ الْإِيمَانِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي عَلَيْهَا بِنَاؤُهُ: الْحُبُّ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ»[3].

(1) المرجع السابق (1/ 517).
(2) المرجع السابق (2/ 217 – 218).
(3) «مدارج السالكين» (2/ 35).

وَقَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ مُخْبِرًا عَنْ مُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ۝٤٤ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ﴾ (غَافِر: 44، 45).

فَمُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ لَمَّا حَسَّنَ ظَنَّهُ بِاللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ وَقَالَ: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ أَيْ أُسَلِّمُهُ إِلَى اللهِ لِيَعْصِمَنِي مِنْ كُلِّ سُوءٍ كَانَ الْجَوَابُ مِنَ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ﴾. وَقَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الزُّمَر: 53).

قَالَ ابْنُ سَعْدِي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «اعْرِفُوا رَبَّكُمْ بِأَسْمَائِهِ الدَّالَّةِ عَلَى كَرَمِهِ وَجُودِهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، مِنَ الشِّرْكِ وَالْقَتْلِ، وَالزِّنَا، وَالرِّبَا، وَالظُّلْمِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الذُّنُوبِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ»[1].

أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَيْأَسُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ كُلَّهَا، وَلَيْسَ الْخِطَابُ لِمَنْ عِنْدَهُمْ مَعَاصٍ قَلِيلَةٌ بَلْ لِمَنْ أَسْرَفُوا وَكَثُرَتْ مَعَاصِيهِمِ.

فَفِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَمْرٌ مِنَ اللهِ بِالرَّجَاءِ، وَالكَرِيمُ إِذَا اَمَرَ بِالرَّجَاءِ لَا يَلِيقُ بِهِ إِلَّا الكَرَمُ.

فَفِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الجَامِعِ»[2] مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فِمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ أَنَّهُ قَالَ: **«يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ! لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يَا**

---

(1) تفسير ابن سعدي (736).

(2) **«حسن»** أخرجه الترمذي (2/ 270)، وحسنه الأَلْبَانِيُّ في «صحيح الجامع» (4338).

ابْنَ آدَمَ! لَوْ أَنَّكَ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرابِها مَغْفِرةً».

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ قَدْ فَتَحَ لَنَا بَابًا عَظِيمًا أَلَا وَهُوَ بَابُ الرَّجَاءِ.

فَفِي الْحَدِيثِ ـ بِشَارَةٌ عَظِيمَةٌ، وَحِلْمٌ وَكَرَمٌ عَظِيمٌ، وَمَالَا يُخْفَى مِنْ أَنْوَاعِ الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ، وَالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالِامْتِنَانِ.

وَالرَّجَاءُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَسَاسُهُ حُسْنُ الظَّنِّ بِاللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[1] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : **«يَقُولُ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي إِذَا ذَكَرَنِي فَلْيَظُنَّ بِي عَبْدِي مَا شَاءَ».**

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ قَوْلُهُ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي أَيْ قَادِرٌ عَلى أَنْ أَعْمَلَ بِهِ مَا ظَنّ أَنِّي عَامِلٌ بِهِ»[2].

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ مَتَى عَظُمَ الرَّجَاءُ بِاللهِ وَأَيْقَنَ أَنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ سَيَغْفِرُ لَه وَعظُمَ ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ فَقَدْ حَصَل لَهَ مَطْلُوبُهُ؛ لِأَنَّهُ قَامَ فِي قَلْبِهِ إِحْسَانُ الظَّنْ بِهِ وِإِعْظَامُ الرَّغْبَةِ إِلَيْهِ، وَالْمُرَادُ بِالظَّنِّ هُنَا الْعِلْمُ لِقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ كَمَا نَبَّه عَلَى ذَلِكَ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ[3].

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَحَادِيثَ الرَّجَاءِ أَضْعَافُ أَحَادِيثِ الْخَوْفِ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِعظَمِ أَهَمِّيَتِهِ؛ وَلِأَنَّ الْيَأْسَ مِنْ رَوْحِ اللهِ وَالْقُنُوطَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ كُفْرٌ بِاللهِ الْعَظِيمِ.

(1) **«صحيح»** رواه أحمد في المسند (3/ 491)، وابن حبان (633/ 634)، والحاكم في المستدرك (4/ 340) من حديث واثلة بن الأسقع ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ.
وأخرجه ـ أيضًا ـ أحمد (2/ 315، 445)، والبخاري (7505)، ومسلم (7675)، والبغويَّ في شرح السَّنةِ (1225) وابن حبان (639) من حديث أبي هريرة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ.

(2) الفتْحُ (13/ 385).

(3) فيضُ القديرِ (4/ 642).

قَالَ الطَّيْبِيّ قَالَ النَّوَوِيُّ ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ : «قَدْ تَتَبَّعْتُ الْأَحَادِيثَ الصَّحِيحَةَ فِي الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ فَوَجَدْتُ أَحَادِيثَ الرَّجَاءِ أَضْعَافَ أَحَادِيثِ الْخَوْفِ مَعَ ظُهُورِ الرَّجَاءِ فِيهَا قُلْتُ لَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا حَدِيثٌ وَاحِدٌ وَهُوَ سبقتْ أوْ غلبتْ رحمتِي على غضبِي لكفى دليلًا على ترجيح الرجاءِ ويعضدُهُ آيةُ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: 156). بلْ هوَ أمرٌ مشاهَدٌ في عالِمِ الوجودِ في غلبةِ آثارِ الرجاءِ على آثارِ الخوفِ»[1].

وها أنَا ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَذكرُ بعضَ أَحاديثِ الرجاءِ ترغيبًا للسائرينَ ففي «صحيح البخاريِّ»[2] من حديثِ عبد اللهِ بن عمروٍ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: قالَ رسولُ اللهِ ـ ﷺ ـ : **«أربعون خصلةً ـ أعلاهنَّ منحةُ العنزِ ـ مَا منْ عاملٍ يعملُ بخصلةٍ منَها رجاءَ ثوابِها وتصديقِ موعودِهَا إِلَّا أدخلَهُ اللهُ بهَا الجنَّةَ»**[3].

والمنيحةُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ هِيَ أَنَّ الإنسانَ يكونُ عنده غنمٌ وفيها حليبٌ فيمنحُهَا لفقيرٍ يحلبُها ويستفيدُ منْهَا فإذا انتهَى الحليبُ منَها أرجعَها لصاحِبَها.

وفي «الصَّحيحَيْنِ»[4] مِنْ حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عنِ النَّبيِّ ﷺ فيما يرويهِ عنْ رَبِّه عزَّ وجَلَّ قالَ: **«أذنَبَ عبدٌ ذنبًا فقالَ: اللَّهمَّ اغفرْ لي ذنبي، فقالَ تباركَ وتعالى: أذنبَ عبدي ذنبًا فعلِمَ أنَّ لَهُ ربًّا يغفرُ الذنبَ ويأخذُ بالذنبِ، ثُمَّ عاد فأذنبَ، فقالَ: أي ربِّ اغفرْ لي ذنبي. فقالَ تباركَ وتعالى: عبدي أذنبَ ذنبًا فعلمَ أنَّ لهَ ربًّا يغفرُ الذنبَ ويأخذُ بالذنبِ ـ ثم عادَ فأذنبَ. فقالَ: أيْ ربِّ اغفرْ لي ذنبي، فقالَ تباركَ وتعالى: أذنبَ عبدي ذنبًا فعلمَ أنَّ له ربًّا يغفرُ الذنبَ ويأخذُ بالذَّنبِ. اعملْ ما شئْتَ فقدْ غفرْتَ لكَ»**.

---

(1) مرتاةُ المفاتيحِ (5/ 317).

(2) رواه البخاري (2631).

(3) رواه البخاري (2631).

(4) رواه البُخاريُّ (7 – 750)، ومسلم (2758) واللفظ له.

فهذا العبدُ ـ أيُّها الناسُ ـ علمَ بذنبِهِ وعلمَ أنَّه معاقبٌ عليه من اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ إنْ شَاء وعَلمَ أنْ اللهَ غفارُ الذنبِ وقابلِ التّوبِ من عبادِهِ رجعَ إلى اللهِ رجاءَ رحمتِهِ وخوفًا من عقابِه كانَ ذلكَ سببًا في قبولِ توبتِهِ بخلافِ منْ ظنَّ أنَّ اللهَ تَخفى عليه خافيةٌ فإنَّه كافرٌ بلا شكٍ فلله ما أعظمَ الرجاء! وما أعظمَ نفعَه! وما أحوَجَ العبدَ إليْهِ وإلى تعلُمِه وفهمِه!

وفي «الصَّحيحَيْنِ»[1] مِنْ حديثِ أبي سعيدٍ الخدرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ ناسًا في زمنِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالوا: يا رسولَ الله. هَلْ نرَى ربنَا يومَ القيامَةِ؟. قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نَعمْ**». الحديثُ..

وفيه: «**فَوالذي نفسي بيدِهِ مَا منكُمْ مِنْ أَحدٍ بأشَدَّ مُنَاشَدةً للهِ في استقْصَاء الحق من المؤْمنين للهِ يومَ القيامةِ لإخوانِهمُ الذينَ في النَّارِ يقولونَ: ربَّنا كانُوا يصومونَ معنَا ويُصلونَ ويَحجُّونَ فيُقالُ لهم: أَخرجُوا منْ عرفتُم فتحرَّمُ صُورُهُم على النَّار فيُخرِجونَ خلقًا كثيرًا ..... الحديثُ**».

أيُّها الناس أبْشروا فَرحمةُ اللهِ واسعةٌ كلَّ شيءٍ.

قالَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: 156).

وفي «الصَّحيحَيْنِ»[2] مِنْ حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**إن للهِ مائةَ رحمةٍ أنزلَ منْها رحمةً واحدةً بين الجنِّ والإنسِ والبهائِم والهوامِ، فبها يتعاطون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحشُ على ولدِها وأَخرَ اللهَ تسعًا وتسعين رحمةً يرحمُ اللهُ بها عبادَهُ يومَ القِيامَةِ**».

---

(1) رواه البُخاريُّ (7439)، ومسلم (183) واللفظ له.

(2) رواه البُخاريُّ (6000)، ومسلم (2752) واللفظ له.

وفي «الصَّحيحَيْنِ»[1] مِنْ حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قال رسول اللهِ ﷺ: «**لما قضى الله الخلقَ كتبَ في كتابِه، فهو عندهُ فوقَ العرشِ: إنَ رحمتي غَلَبَتْ غضبي**».

وفي «صحيحِ مسلمٍ»[2] مِنْ حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**لوْ يعلمُ المؤمنَ ما عندَ اللهِ من العقوبةِ ما طمعَ بجنتِه أحدٌ، ولوْ يعلمُ الكافرُ ما عندَ اللهِ من الرحمةِ ما قنَطَ منْ جنتِه أحدٌ**».

وفي «صحيحِ مسلم»[3] مِنْ حديثِ أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنْ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**لا يموتُ رجلٌ مسلمٌ إلا أدخلَ اللهُ مكانَه يهودِيًا أو نصرانِيًا**».

وفي لفظٍ: «**إذا كانَ يومُ القيامةِ دفعَ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ إلى كلِّ مسلمٍ يهوديًا أو نصرانيًا فيقولُ: هذا فكاكُكَ من النّارِ**».

وفي «صحيحِ مسلمٍ»[4] مِنْ حديثِ عثمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسول اللهِ ﷺ: «**منْ ماتَ وهو يعلمُ أَنّهُ لا إلهَ إلَّا اللهُ دخلَ الجنَّةَ**».

وفي «صحيحِ مسلمٍ»[5] مِنْ حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قال رسول اللهِ ﷺ: «**والْذِي نفسي بيدِهِ لوْ لمْ تذنبُوا لذهبَ اللهُ بكُمْ ولجاءَ بقومٍ يذنِبون فيستغفرونَ اللهَ فيغفرُ لهُمْ**».

وأَسْتَغْفِر اللهَ.

---

(1) رواه البُخاريُّ (2194) واللفظ له، ومسلمٌ (2751).

(2) رواه مسلمٌ (2755).

(3) رواه مسلمٌ (2767).

(4) رواه مسلمٌ (26).

(5) رواه مسلمٌ (2749).

الخُطْبَةُ الثانية ـ وَصِيَّةُ رسولُ اللهِ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ :

الْحَمْدُ للهِ ربِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أَمَّـا بَعدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ الرجاءِ والآنَ حديثِي معكمْ عنْ وصيْةِ الرسولِ ﷺ وقبلَ أنْ أذكرَ لكمْ وصيَّة رسولِ اللهِ ﷺ أذكرُ لكمْ نقطةً مهمةً وهيَ أَنْ الرجاءَ لا يصحُّ إلا معَ الطاعةِ كما قال شاهُ الكرمانيَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «علامةُ صحةِ الرجاء حُسْن الطاعة»(1).

ففي «الصحيحين»(2) مِنْ حديثِ عائشةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذا صلى قامَ حتَّى تتفطرَ رجلاهُ. قالتْ عائشةُ: يا رسولَ اللهِ! أتصنعُ هذا وقد غفرَ لكَ مما تقدمَ منْ ذنبِكَ وما تأخْرَ؟. فقال: «**يا عائشةُ! أفلَا أكونُ عبدًا شكورًا؟**».

فهَا هوَ رسولُ اللهِ ﷺ ـ أيُّها الناسُ ـ لم يزددْ إلْا اجتهادًا في العمل وقدْ غفرَ الله لهُ ما تقدَّمَ من ذنبِه وما تأخّرَ.

وفي «الصَّحيحَيْنِ»(3) مِنْ حديثِ معاذٍ بنِ جبلٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ:كنتُ رِدْفَ النبي ﷺ عَلى حمارٍ يُقالُ لهُ عُفيرٌ. فَقالَ: «**يا معاذُ، هل تدري ما حقُّ اللهِ على عِبادِه وما حقُّ العبادِ عَلى اللهِ؟**». قلتُ: اللهُ ورسولهُ أعلمُ. قال: «**فإنّ حقّ اللهِ على العبادِ أن يعبدُوهُ ولا يُشركُوا بِهِ شيئًا، وحقُّ العِبادِ على اللهِ أن لا يعذِّبَ مَنْ لا يشركُ بِهِ شيْئًا**». قلتُ: يا رسولَ الله أَفَلا أُبشِّرُ بِهِ الناسَ؛ قال: «**لا تبشرْهمْ فيتكلُوا**».

(1) «مدارج السالكين» (2/ 218).

(2) رواه البخاريُّ (19)، ومسلمٌ (81).

(3) رواه البُخاريُّ (2856) واللفظ له، ومسلمٌ (30).

قالَ ابن رجبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قالَ العلماءُ: «يُؤخَذُ منْ منعِ معاذَ منْ تبشيرِ الناسِ لِئلَّا يتكلُوا أَنَ أحاديثَ الرُّخصِ لا تُشاعُ في عمومِ الناسِ؛ لئلا يَقْصرَ فهمهمْ عَنِ الْمرادِ بهَا».

وقالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد سمعهَا معاذٌ فلمْ يزددْ إلّا اجتهادًا في العملِ، وخشيَةً للهِ ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ فأمّا مَنْ لم يبلغْ منزلتَهُ فلَا يأمَنُ أَنْ يقصِّر اتكالًا على ظاهرِ الخبرِ».

أَيُّهَا الناسُ قبلَ أَنْ أَودِّعَ مقامي هذَا أذكِّركُمْ بوصيةِ رسولِ اللهِ ﷺ قبْلَ موْتِهِ.

ففي «صحيحِ مسلمٍ»[1] مِنْ حديثِ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سمعَ رسولَ اللهِ ﷺ قبلَ موتِه بثلاثةِ أيّامٍ يقُولُ: «**لَا يموتن أحدُكُمْ إلَّا وهوَ يحسنُ الظنَّ باللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ**».

قالَ الحافظُ المناويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أيْ لَا يموتنَّ في حالِ منَ الأحوالِ إلّا في هذهِ الحالةِ وهُوَ حسنُ الظنِّ باللهِ ـ تعالَى ـ بأنْ يظنَّ أنّهُ يرحمُهُ ويعفوَ عنْهُ لأنّهُ إذا احتضرَ لم يبقَ لخوفِهِ معنًا بل يؤدِّي للقنوطِ»[2].

فهذَا ـ أَيُّهَا الناسُ ـ الذي يجبُ أنْ يكونَ عليهِ العبدُ إذَا جاءَهُ الموتُ وانقطعَ العملُ.

ففي سننِ الترمذيِّ بسندٍ حسنٍ حسنَهُ الألبانيُّ في «الصحيحة»[3] منْ حديثِ أنسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ ﷺ دخلَ على شابٍ وهوَ في الموتِ فقال: «**كيفَ تجدُكَ؟**». قالَ: «واللهِ يا رسولَ اللهِ إني أَرجُو اللهَ وإني أخافُ ذنوبِي». فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**لا يجتمعانِ في قلبِ عبدٍ مثلِ في هذا الموطنِ إلّا أعطاهُ اللهُ ما يرجُو وأَمَّنه ممَّا يخَافُ**».

---

(1) رواه مسلمٌ (2877)، وأبُو داود (3113).

(2) التيسيرُ بشرحِ الجامعِ الصغيرِ (2/ 977).

(3) «**حسن**» أخرجه الترمذي (983) وقالَ حديثٌ حسنٌ غريبٌ وحسنهُ الألبانيُّ في «الصحيحة» (3/ 41).

أَيُّها الناسُ هكذَا كان حالُ السَّلفِ عندَ المْوتِ فكانَ أحدهُمْ يأمرُ بنِيهِ عندَ الموتِ أن تقرأَ عليْهِ آياتُ الرحمةِ[1] حتَّى تخرج روحُهُ وهوَ محسنٌ الظنْ باللهِ أنَّه يغفرُ لهُ ويرحمهُ ويستقبلُهُ بالإِنعَامِ فما ظنكُمْ بربِّ العالمينَ أكرم الأكرمينَ وأَرحمِ الراحمينَ؟!

إذا أمسى فراشي منْ ترابٍ ○●○ وصرتُ مجاورَ الربِ الرحيم
فهنُّوني أحبائي وقولوا ○●○ لكَ البشرى قَدِمْتَ على كريمِ

ها هنا وقفة مع الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فعنْ فقيرِ بْنِ مسكينٍ قالَ: دخلتُ على الشافعيِّ أعودُهُ في مرضِ موتِه فقلتُ لهُ: كيفَ أصبحتَ يا أبا عبدِ الله؟ قال: أصبحتُ من الدنيا راحلًا ولإخواني مفارقًا، ولكأسِ المنيّةِ شاربًا، ولا أدري أروحي تصيرُ إلى الجنةِ فأهنيهَا أمْ إلى النارِ فأعزِّيها؟ وأنشأَ يقولُ:

ولما قسا قلبي وضَاقتْ مذاهبي ○●○ جعلتُ الرجا منّي لِعفوِكَ سُلَّمًا
تعاظمني ذنبي فلمَّا قَرَنْتُهُ ○●○ بِعَفْوِكَ رَبِّي كان عَفْوُكَ أعْظَمَا[2]

«ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار».

---

(1) رويَ ذلك عن سليمانَ التيميُّ كما في السيَّرِ (6/ 199)، وتهذيبِ الكمالِ (12/ 12).
(2) «دليلُ الفالحينَ» لابْنِ علانَ (2/ 361).

4 شَطْرُ الإيمانِ

الخُطْبةُ الأُولى :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ (آل عمران : 102).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ (النساء : 1).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب :70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ـ ﷺ ـ ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ ـ حَدِيثي مَعَكُمُ الْيَوْمَ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ **«الوُضُوءِ»**.

والوضوءُ ـ أَيُّهَا الناسُ ـ أمرُهُ عظيمٌ وفضلُهُ جليلٌ.

فمِنْ فضائلِ الوضُوءِ ـ أَيُّهَا الناسُ ـ أنَّهُ شطرُ الإيمانِ.

ففي «صحيحِ مسلمٍ»[1] مِنْ حديثِ أبي مالكٍ الأشعريِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسول اللهِ ﷺ : «**الطُّهورُ شطرُ الإيمانِ**».

---

(1) رواه مسلمٌ (223).

ومِنْ فضائلِ الوضُوءِ - أَيُّهَا الناسُ - أنَّهُ سببٌ لرفْعِ الدرجاتِ.

ففي «صحيحِ مسلمٍ»[1] مِنْ حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**أَلَا أدلكُم علَى ما يمحُو اللهُ بهِ الخطَايَا ويرفعُ بِهِ الدرجاتِ؟**». قالُوا: بلى يا رسولَ اللهِ، قالَ: «**إسباغُ الوضوءِ علَى المكارهِ، وكثرةُ الخطَا إلى المساجدِ وانتظارُ الصلاةِ بعْدَ الصلاةِ فذلكُمَ الرباطُ فذلكُمُ الرباطُ**».

ومِنْ فضائلِ الوضُوءِ - أيُّها الناسُ - أَنَّه سببٌ لمغفرةِ الذُّنوبِ.

ففي «صحيحِ مسلمٍ»[2] مِنْ حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**إذَا توضأَ العبدُ المسلمُ - أَو المْؤمنُ - فغسَلَ وجْهَهُ خرجَ مِنْ وجهِهِ كلُّ خطيئةٍ نظرَ إليْهَا بعينيهِ معَ المْاءِ - أوَ معَ آخرِ قطرة الماءِ - فإذَا غَسَلَ يدَيْهِ خرجَ مِنْ يديْهِ كلُّ خطيئةٍ كانَ بطشتْهَا يداهُ مع الماءِ - أو معَ آخرِ قَطْرِ الماءِ - فإذَا غسلَ رجليْهِ خرجَتْ كلُّ خطيئةٍ مشتْهَا رجلَاهُ معَ المْاءِ - أو معَ آخِرِ قطْرِ الماءِ - حتَّى يخرُجَ نقيًا منَ الذُّنوب**».

وفي «صحيحِ مسلمٍ»[3] مِنْ حديثِ عُثمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ توضَّأَ فأحسْنَ الوُضوءَ خرجَتْ خَطايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تخرجَ مِنْ تحْتِ أظْفَارِهِ**».

ومِنْ فضائلِ الوضُوءِ - أَيُّهَا الناسُ - أنَّهُ سببٌ لدخُولِ الجنَّةِ.

ففي «صحيحِ مسلمٍ»[4] مِنْ حديثِ عُقبةَ بْنِ عامرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: سمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**مَنْ توضَّأَ فأحسنَ الوُضوءَ ثمّ صلَّى ركعتَيْن يُقبلُ عليهِمَا بقلْبِهِ وَوَجْهِهِ وَجبتْ لهُ الجْنَّةُ**».

---

(1) رواه مسلمٌ (251).

(2) رواه مسلمٌ (244).

(3) رواه مسلمٌ (245).

(4) رواه مسلمٌ (234).

ومِنْ فضائلِ الوضُوءِ ـ أَيُّهَا الناسُ ـ أنَّهُ نورٌ للعبدِ يومَ القِيَامَةِ.

ففي «صحيح مسلم»[1] مِنْ حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: سمعْتُ خليلي ﷺ يقولُ: «**تَبلغُ الحِلْيَةُ، مِنَ المُؤْمنينَ حَيثُ يبلغُ الوُضوءُ**».

والحِلْيَةُ ـ أَيُّهَا الناسُ ـ هِي النُّورُ يَومَ القِيامَةِ، وَأَرادَ بالحِلْيَة هَا هُنَا التَّحْجِيلُ يَومَ القِيامَةِ مِنْ أَثَرِ الوُضوءِ كَما قَالَ ابْنُ الأَثِيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ في «النِهَايةِ»[2].

ومِنْ فضائلِ الوضُوءِ ـ أَيُّهَا الناسُ ـ أنَّهُ علامةٌ تميِّزُ هَذِهِ الأمةَ عندَ ورودِ الحَوْضِ.

ففي «الصحيحين»[3] مِنْ حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: سمعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**إِنَّ أُمتِّي يُدعوْنَ يومَ القِيامةِ غُرًّا محجَّلِين مِنْ آثارِ الْوُضوءِ**».

تِلكَ ـ أَيُّهَا الناسُ ـ بعضُ فضائِلِ الوضوءِ لكنَّ الوُضوءَ الّذي جَاءتْ فيه تلْكَ الفضائلُ هو الوُضوءُ الحَسَنُ كمَا تقدّمَ في حديثِ عُثمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَوْلُه ﷺ: «**مَنْ توضّأَ فأحسْنَ الوُضوءَ**». وتقدَّمَ ـ أَيْضًا ـ في حديثِ عُقبةَ قولُه ﷺ: «**مَنْ توضَّأَ فأحسنَ الوُضوءَ**».

وهَا أَنَا ـ أَيُّهَا الناسُ ـ أَذْكرُ لكُمْ صفاتِ وُضُوءِ النّبيِّ ﷺ فَلَا هَدْيَ أَحْسَنُ مِنْ هَدْيهِ ﷺ.

فأولُ مَا نبدأُ بِهِ ـ أَيُّهَا الناسُ ـ النِّيَّةُ وهِيَ أَنْ ينْوِي الْوُضوءَ بقلبِهِ لِما في «الصحيحين»[4] مِنْ حديثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّمَا الْأعمالُ بالنِّيَّاتِ**».

---

(1) رواه مسلمٌ (250).

(2) النهايةُ (1/ 345).

(3) رواه البخاريُّ (1)، ومسلمٌ (1907).

(4) رواه البخاريُّ (136)، ومسلمٌ (246).

وَلَا ينطقُ بالنِّيَّةِ؛ لأَنَّ النَّبيِّ ﷺ لَمْ ينطقْ بِهَا، وَلِأَنّ اللهَ يَعلمُ ما في الْقلبِ، فَلَا حاجةَ إِلْى الْإخبارِ بمَا فِيهِ.

ثُمَّ التسْمِيةُ بعدَهَا يَقولُ: باسْمِ الله لما في سنن أَبي داودَ وابْنِ مَاجَةَ والترمذيِّ بسنَدٍ حسنٍ حسنه الألبانيُّ في «الْإِرْواءِ»[1] مِنْ حَديث أَبِي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «**لا صلاةَ لَمَنْ لا وُضُوءَ لَهُ، وَلَا وُضُوءَ لِمَنْ لمْ يذكرِ اسْمَ الله عليْهِ**».

ثُمَّ غَسلُ الوجْهِ كلِّهِ ثَلاثًا مِنَ الْأُذُنِ إلى الأُذُنِ عَرْضًا ومِنْ مَنَابتِ شَعْرِ الرأْسِ إِلى أَسْفَلِ اللِّحْيَةِ طُولًا.

ومِنَ الْوَجْهِ المضمضةُ وَهِيَ غَسْلُ الْفَمِ وتَحْرِيكُ الماءِ فِيهِ، والاسْتِنشاقُ وَهُوَ إِيصالُ الماءِ إِلى داخلِ الْأَنفِ وجَذْبهُ بالنَّفَسِ إِلَى أَقْصَاهُ.

وَالاسْتنْثارُ وَهُوَ إِخراجُ الماءِ مِنَ الأَنفِ بَعد الاسْتِنشاقِ.

وَلَا يَجوزُ أن يفرِّط في شيءٍ مِنْ ذَلِكَ لأنَّ الْوجهَ بمَا فيه رُكنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْوضوءِ يَقول الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ (المَائِدَة: 6).

فهَذَا أمرٌ منَ اللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بِغسلِ الْوجهِ مُطلقًا وفَسّرهُ النَّبيُّ ﷺ بفعْلِهِ وتعليمِه فمضمض واستنشقَ في كلِّ وُضوءٍ تَوضّأهُ كما في «الصحيحين»[2] مِنْ حَديث عبدِ اللّهِ بْنِ زيدِ بْنِ عَاصِمِ الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (وكانتْ لَهُ صُحْبَةٌ) قالَ: قِيلَ لَهُ: تَوْضَأْ لَنا وُضوءَ رَسولِ اللهِ ﷺ، فَدعَا بِإِنَاءٍ، فَأَكْفأَ منهَا عَلى يَدَيْهِ، فغسلَهُمَا ثلاثًا ثُمَّ أَدخلَ يَدَهُ فاسْتَخرجَهَ، فمضْمَضَ واستَنْشَقَ مِنْ كفٍّ واحِدةٍ، ففَعَلَ ذلكَ ثَلَاثًا، ثُمّ أدخلَ يدَهُ فاسْتخرجها فغسلَ وجْهَهُ ثلاثًا، ثم أَدْخَلَ يَدَهُ واستَخْرجَها فغسلَ يَديْهِ

(1) «**حسن**» أخرجه أَبُو داودَ (101)، وابْن ماجهَ (398)، والتِّرمِذِّيُ (25) وحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ في «الإروْاء» (81).
(2) رواهُ البخاريَّ (185)، ومسلمٌ (235).

إِلى المرفِقَيْن، مرَّتَيْنِ مرَّتَيْنِ، ثُمَّ أَدْخَلَ يدَهُ فاسْتَخرجَها فمسح رَأْسَهُ، فأَقْبَلَ بيدَيْهِ وأَدْبَرَ، ثُمَّ غَسَلَ رجليْهِ إِلى الكعْبَيْنِ، ثُمّ قَالَ: هَكذا كَانَ وُضُوءَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ غَسْلُ اليَدينِ إِلى المْرفَقَيْنِ ثلاثًا الْيُمْنى ثُمَّ الْيُسْرَى لِقَولِ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾ (المَائِدَة : 6).

و﴿إِلَى﴾ هُنَا ـ أَيُّهَا النّاسُ ـ بِمْعنَى «مَعَ» فَيَجِبُ إِدْخَالُ الْمِرْفَقَيْنِ في الْغُسْلِ وَيَجِبُ ـ أَيْضًا ـ إِدْخَالُ الكَفَّيْنِ فَإِنَّ بعضَ الناسِ يغْفَلُ عَنْ ذَلِكَ.

وَلَا يجوزُ أَنْ يفرّطَ بِشَيءٍ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ أَمَرَ بِغَسْلِ الْيَدَينِ إِلى المرفقَيْنِ وَفَسَّرهُ النَّبيُّ ﷺ بفعْلِهِ كَما في «صحيح مسلم»[1] مِنْ حَديث أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ توَضَّأَ فغسلَ يَديْهِ حتَّى أَشْرَعَ في العَضُدَينِ، وَغَسلَ رِجْلَيْهِ حَتَّى أَشْرَعَ في السَّاقَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: «هَكَذا رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَتوَضّأ».

ثم يأتي بعدَ ذَلِكَ مَسْحُ الرأْسِ كلِّهِ مِنْ مَقْدَمِهِ إِلى قَفَاهُ، ومِنْهُ الأُذُنانِ فيُدْخِلُ سَبَّاحَتَّيْهِ فِي صِماخَيْهِما، ويَمْسَحُ بِإِبْهَامَيْهِ ظاهرَهُما.

يَقوْل الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ (المَائِدَة : 6).

والبَاء هُنَا ـ أَيُّهَا الناسُ ـ لِلْإِلْصَاق فيكونُ التَّقْدِيرُ «امْسَحُوا رُءُوسَكُمْ».

وَيُؤَيدَ مَا جَاءَ في «الصَّحِيحَيْن»[2] مِنْ حَديث عَبْدِ الله بْنِ زَيْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَخْرَجنا لَهُ مَاءً في تَوْرٍ مِنْ صُفْرٍ (أي قَدَحٍ مِنْ جيِّدِ النحَّاسِ) فَتوضَّأَ فغسَلَ وجْهَهُ ثَلَاثًا ويَديْهِ مَرَّتينِ إِلى الْمِرفقَيْن، ومَسحَ برأسِهِ فأقبلَ بِه وأدبرَ بَدَأَ بمُقَدَّمِ رأسِهِ، ثمَّ ذهبَ بِهِمَ إلى قَفاهُ، ثم ردَّهُما إِلَى المكانِ الَّذي بدأ منْهُ وغَسلَ رِجْلَيْهِ».

(1) رواهُ مسلمٌ (246).

(2) رواهُ البخاريُّ (185)، ومسلمٌ (235).

وَلَا يعزُبُ عنَّا ـ أَيُّهَا الناسُ ـ أَنَّ الْأُذُنَيْنِ منَ الرَّأْسِ لأَنَّهُمَا منْهُ. ففي سننِ ابْنِ ماجة بسندٍ صحيحٍ صحّحهُ الألبانيُّ فِي «الْإِرْواءِ»[1] مِنْ حَديث عبْد اللهِ بنِ زيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**الأذنانِ منَ الرأْسِ**».

ثم بَعْدَ ذَلكَ يأتي غسلُ الرجلَيْنِ مع الكَعْبينِ ثَلَاثَ مرّاتٍ مع العنَايةِ بالعَقِبيَنْ.

يقول الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ (المائدة: 6).

بنَصْبِ «أَرْجلَكُمَ» عَطفًا على الْـمَغْسُولَاتِ.

و﴿**إِلَى**﴾ هُنَا ـ أَيُّهَا الناسُ ـ بِمْعنَى «مَعَ» فَيَجِبُ إِدْخَالُ الكَعْبَينِ في الْغُسلِ ولَا يجوزُ أَنْ يُفَرِّط في شيءٍ مِنْ ذلِكَ؛ لأنَّ اللهَ أَمَر بِغَسْلِ الرِّجْلينِ إِلَى الكَعْبيْنِ وفسّرهُ النَّبيُّ ﷺ كما في حَديثِ أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المتقدم وفيه قَوْلُهُ: «وَغَسلَ رِجْلَيْهِ حَتَّى أَشْرَعَ في السَّاقَيْنِ».

فهَذا ـ أَيُّهَا الناسُ ـ وُضوءُ النَّبيِّ ﷺ فَمن توَضّأَ نَحْوَ هَذَا الْوُضوءِ ثُمَّ صَلى ركعتينِ بخُشُوعٍ وحُضورِ قلبٍ غُفرَ لَهُ مَا تقدمَ مِنْ ذَنبهِ.

ففِي «الصحيحين»[2] من حديثِ حُمرانَ مولى عُثمانَ أَنّهُ رَأَى عُثمانَ دَعَا بِإِنَاءٍ فأَفْرغَ على كفَّيْهِ ثَلاثَ مِرارٍ، فغسَلهُما، ثُمَّ أَدْخَلَ يَمينَهُ في الْإِناءِ فمضمْضَ، واسْتَنْشَقَ (واسْتَنْثَرَ)، ثُمَّ غَسلَ وَجْهَهُ ثلَاثًا ويدَيْهِ إِلى الْمِرْفَقَيْنِ ثَلاثَ مرَّاتٍ، ثم مسحَ برأْسهِ، ثم غَسلَ رِجليْهِ ثَلاثَ مِرَارٍ إلى الْكَعْبَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُول اللهِ ﷺ: «**مَنْ تَوَضَّأَ نحْوَ وُضُوئِي هَذَا ثُمَّ صَلّى رَكعتيْنِ لَا يُحدِّثُ فيهما نفْسَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا تقدّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**».

وأَسْتغْفِرُ اللهَ.

---

(1) «**صحيحٌ**» أَخْرجَهُ ابْنُ ماجَه (443)، وصححه الأَلْبَانِيُّ في «الإرْوَاء» (84).

(2) رواه البخاريَّ (158)، ومسلمٌ (226).

الخُطْبَةُ الثانية ـ ما يَنْقُضُ الطَّهُورَ:

الْحَمْدُ للهِ ربِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أَمَّـا بَعدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ «**الوضوءِ**» والآنَ حديثِي مَعَكُمْ عَنْ نواقِضِه.

أَيُّها الناسُ قبلَ أنْ أذكرَ نواقضَ الوضوءِ أُذَكِّركُمْ بسُنَنِهِ.

فمِنْ سننِ الوضوءِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ السواكُ فقدْ أخرجَ البخاريَّ في صحيحهِ معلقًا مجزومًا بِهِ وصحَّحَهُ الألبانيِّ في «صحيح الجامع»[1] مِنْ حَديث أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**لَولَا أنْ أشُقَّ على أُمتِي لأمرتُهُمْ بالسِّواكِ عندَ كلِّ وُضوءٍ**».

ومِنْ سننِ الْوضوءِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ غَسلُ الكفينِ في أولِ الْوضوءِ.

ففي «الصحيحَينِ»[2] مِنْ حَديث عثمانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في صفةِ وُضوءِ النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «فأَفْرغَ على كفَّيْهِ ثَلاثَ مِرارٍ فغسَلهُما».

إِلَّا إِذَا كانَ مستيقظًا فإِنَّهُ يجبُ غَسلهُمَا على الصَّحيح لِمَا في «الصَّحيحيْنِ»[3] مِنْ حَديث أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إذا استيقظَ أَحدُكُمْ مِنْ نومِهِ فَلَا يغمسْ يدَهُ فِي الْإِناءِ حتَّى يغسَهَا ثَلاثًا، فَإِنَّهُ لَا يدرِي أَيْنَ باتتْ يَدُهُ**».

وَمِنْ سنَنِ الْوُضوءِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ غَسْلُ الْأَعضاءِ ثَلَاثًا عَدَا الرأسِ فَيمسَحُ مرةً واحدةً فقَطْ.

---

(1) أخرجَهُ البخاريُّ معلَّقًا مجزُومًا به (4/ 158)، وصحَّحهُ الألْبانيُّ في «صَحيحِ الجَامِعَ» (5316).

(2) رواهُ البخاريُّ (159)، ومسلمٌ (226).

(3) رواه البخاريُّ (162)، ومسلمٌ (278).

لِحديثِ حُمرانَ مولى عُثمانَ المتقدِّمِ وفيهِ أَنَّهُ غَسلَ وجهَهُ ثَلاثًا ويَدَيْهِ إِلى المِرْفَقيْن ثلاثَ مِرَارٍ، ثُمَّ مسحَ برأسِهِ، ثمَّ غسَلَ رجلَيْهِ ثَلاثَ مِرارٍ إلى الكعْبَينِ[1].

وثبتَ عَنْ رَسولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ تَوَضأَ مَرةً مرةً كَمَا فِي «صحيحِ البخاريِّ»[2] مِنْ حَديث ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عنِ النَّبيِّ ﷺ: «**أَنَّهُ تَوضأَ مرةً مرةً**».

وثَبتَ عنْهُ أَنَّهُ توَضّأ مرتيْنِ مرَّتَيْنِ كما في «صَحيحِ البخاريِّ»[3] مِنْ حَديث عبد الله بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه ﷺ: «توَضّأ مرتيْنِ مرَّتَيْنِ».

ويجوزُ أَنْ يكونَ البعضُ مرّتَيْن والبعضُ ثلَاثًا لما في «الصحيحينِ»[4] مِنْ حَديثِ عبد الله بن مَسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسولَ اللهِ ﷺ غسلَ بعضَ أعضائِهِ مرتيْنِ وبعضَها ثَلَاثًا.

وَمِنْ سُنَنِ الْوضوءِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ تخليلُ أصابعِ اليديْنِ والرِّجليْنِ لِمَا في سُنَنِ أبي دَاودَ بسندٍ صَحيحٍ صححَهُ الألبانيُّ في «صَحيحِ سُننِ أَبي داوُدَ»[5] مِنْ حَديث لَقيطِ بْنِ صَبرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**أَسْبغِ الْوُضوءَ وخللْ بيْنَ الأصابع وبَالغْ في الْاسْتِنشَاقِ إِلَّا أَنْ تكونَ صَائِمًا**».

وَمِنْ سُنَنِ الْوضوءِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ الدُّعاءُ بعدَ الوُضوءِ لِمَا في «صَحيحِ مسْلمٍ»[6] مِنْ حَديث عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَا منكُمْ مِنْ أَحَدٍ يتوضأُ**

---

(1) تقدمَ تخريجُه.

(2) رواه البخاريُّ (156).

(3) رواه البخاريُّ (157).

(4) رواه البخاريُّ (185)، ومسلمٌ (191).

(5) «**صحيحٌ**» أخرجَهُ أبو داوُدَ (142)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صَحيحِ أبي داوُد» (129).

(6) رواه البخاريُّ (6433)، ومسلمٌ (226).

فيسبغُ، ثمَّ يقولُ: أَشهدُ أنْ لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُه إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أبوابُ الجنَّةِ الثّمانيةِ يَدخُلَ مِنْ أَيِّهَا شاءِ».

وَمِنْ سُنَنِ الْوضوءِ صلاةُ ركعتَيْنِ بعدَ الْوضُوءِ.

لِمَا في «الصحيحينِ» مِنْ حَديث عُثمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: رأيْتُ رسولَ اللهِ ﷺ تَوَضْأَ نحوَ وضوئِي هذَا، ثم قامَ فركعَ ركعتيْنِ لَا يُحَدِّثُ فيهما نفسَهُ غُفِرَ له ما تقدْمَ مِنْ ذَنْبِهِ.

أَيُّهَا النَاسُ بَعْدَ أَنْ ذكَرتُ بعضَ سُنَنِ الوْضوءِ ها أَنَا أَذكرُ لكُمْ نواقِضَ الْوُضُوءِ.

فَمِنْ نَواقضِ الْوُضوءِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ الخارجُ مِنَ السّبيلَيْنِ كالبَوْلِ والغَائِطِ والرِّيحِ.

لِقولِ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآيِطِ ﴾ (المائدة : 6).

ولِمَا في «صَحيحِ مسْلمٍ»[1] مِنْ حَديث أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**لَا يَقبلُ اللهُ صلاةَ أحدِكُمْ إذَا أَحدثَ حتَّى يتوضأَ**». فقالَ رجلُ من حضرموْتَ: ما الحدثُ يا أبا هريرةَ؟ قال: فساء أو ضُراطٌ.

ومِنْ نَواقضِ الْوُضوءِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ المنيُّ والودْيُ والمذيُ.

فقد أخرجَ «البيهقيُّ»[2] بسندٍ صحيحٍ إلى ابنِ عبّاسٍ أنَّهُ قالَ: «المنيُّ، والودْيُ، والمذْيُ: أَمّا المَنِيُّ فيهِ الغسلُ، وأمّا المذْيُ والوَدْيُ ففيهِمَا إِسْبَاغ الوضُوءِ».

ومِنْ نَواقضِ الْوُضوءِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ النَّومُ المستغرقُ الّذِي ليْسَ معَهُ إِدراكٌ ولا سيَّمَا إذا شكَّ أنَّ ريحًا خرجَ منْهُ.

وكذا الجنونُ والإغماءُ وما أشبَه ذلكَ مِنَ الأدويةِ المزِيلةِ للعقْلِ.

---

(1) رواه البخاريُّ (135) واللفظ لَهُ، ومسلمٌ (225).

(2) «**صَحيحٌ**» أخرَجهُ البيهقِيُّ (1/ 115).

ومِنْ نَواقضِ الْوُضوءِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ مسُّ الفرجِ بلا حائلٍ.

لِمَا في سُنَنِ أَبِي داودَ بسنَدٍ صحيح صحَّحَهُ الألبانيُّ في «الإِرْواءِ»[1] مِنْ حديثِ بُسرةَ بنتِ صفوانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ مَسَّ ذكَرَهُ فلْيتَوضَّأْ**».

ومِنْ نَواقضِ الْوُضوءِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَكلُ لُحومِ الْإِبِلِ.

لِمَا في «صَحيحِ مسْلمٍ»[2] مِنْ حَديث جابرِ بنِ سمْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رجلًا سأَلَ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَأَتوضأُ مِنْ لحومِ الْغَنمِ؟ قالَ: «**إِنْ شِئْتَ فتوضَّأْ، وإنْ شئتَ فَلا تتوضأ**». قال: أَتَوضأُ مِنْ لُحومِ الْإِبلِ؟ قال: «**نَعَمْ، فَتوضَّأْ مِنْ لُحومِ الْإِبلِ**».

اللَّهمَّ فَقهْنَا في الدينِ واجْعَلْنَا مِنَ الّذين يَعْبدُونَكَ عَلى بَصِيرةٍ.

اللَّهمَّ وَفِّقْنَا للقَوْلِ والْعَملِ في السِّرِّ والْعلَنِ.

---

(1) «**صَحيحٌ**» أخرَجهُ أبو دوُد (181)، وصحَّحَهُ الألباني في «الْإِرواءِ» (116).

(2) رواه مسلمٌ (360).

5 الإسراءُ والمِعْراجُ

الخُطْبةُ الأُولى :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران : 102).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء : 1).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب :70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ـ ﷺ ـ ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ ـ حَدِيثي مَعَكُمْ الْيَوْمَ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ **«الإِسْرَاءِ والْمِعْراجِ»**.

أَيُّهَا النَّاسُ إنّ الإِسْراءَ والمعرَاجَ حادثتانِ مُتَلازِمَتانِ ومترادِفتَان ثَابِتتان بنصِّ القُرآنِ الكريمِ، والسُّنّةِ النَّبويَّةِ الصَّحيحَة فلقدْ نَصَّ القرآنُ الكريمُ علَى أنّ معجزةَ الْإِسراءِ قَدْ تَمّت ليلًا حينَ تَمَّ انتقالُ الرَّسولِ ﷺ منَ المسجِدِ الحرامِ فِي مكةَ المكرمةِ إلى المسجِدِ الأَقْصَى في القدسِ الشَّريفِ بأرضِ فلسطينَ[1].

(1) انظُرْ «نظرةَ النَّعِيمِ» (1/ 247).

قالَ اللهُ ـ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ ـ : ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ (الإسراء : 1).

وَممَّا جَاءَ فِي تفسيرِ الآيةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾.

السَبحُ في اللغةِ التَباعُدُ والمعنى ينزه اللهُ نفسَهُ المقدسةَ ويعظمُهَا عمَّا لَا ينبَغِي وقولُهُ: ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾ أيْ بمحمدٍ ﷺ.

ونسبةَ النَّبيِّ إِلى ربِّه بوصفِ العُبُوديَّةِ غَايةُ الشرفِ للرسولِ ﷺ لأنَّ عبادَ اللهِ كثيرٌ فلِمَ خَصّهُ فِي هذِهِ الآيةِ بالذِكْرِ؟ ذلكَ لتخصِيصِهِ بالشَّرَّفِ العظيمِ.

وقولُهُ تَعَالَى ﴿لَيْلًا﴾ إنمَّا قالَ ﴿لَيْلًا﴾ مَعَ أَنَّ الْإِسْرَاءَ لَا يَكونُ إِلَّا فِي اللَّيْلِ؛ لِأَنَّه أَرادَ بِهِ تأكيدَ تَقْلِيلِ مُدَّةِ الْإِسْرَاءِ؛ فَإِنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ في بعْضِ اللَّيْلِ مِنْ مكَّةَ إِلَى الشامِ.

وقولهُ تعَالَى: ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ إِنَّمَا سُمِّيَ المسجدُ الحرامُ لحرمَتِهِ أيْ لشرفِهِ عَلَى سائِرِ المساجِدِ؛ لِأَنَّهُ خُصَّ بأحكامٍ ليستْ لِغَيْرِهِ.

وَالمسجدُ الأَقْصى إِنما سُمِّيَ بذلكَ لبُعْدِ المسافةِ بَيْنَهُ وبَينَ المسجِدِ الحرامِ.

وقولُهُ تعَالَى: ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ قِيلَ؛ لِأَنَّهُ مقرُّ الأَنبياءِ وَمهبَطُ الملائِكَةِ، لِذَلِكَ قَالَ إِبْراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾.

أَيْ إِلَى حَيْثُ وَجَّهنِي رَبِّي أَيْ إِلَى بَرِّ الشَّامِ؛ لِأَنَّهُ عَرفَ بِتَعْرِيفِ اللهِ إِيَّاهُ أَنَّ الشَّامَ مَهْبَطُ الرَّحمَاتِ وَأَنَّ أكثرَ الْوَحِيْ يكونُ بالشَّامِ وَأَنَّ أكثرَ الْأَنْبِيَاءِ كَانُوا بِهَا.

وَقَالَ ـ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ ـ : ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ أَيْ مَا رَأَى تِلْكَ اللَّيْلَة مِنْ الْعجَائِب والْآيَاتِ الَّتي تَدلُّ عَلَى قُدرةِ اللهِ.

وَأَما المعْرَاجُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ فَهوَ الانتْقَالُ بالرسُول ﷺ إِلَى السَّماوَاتِ، لِتَصِلَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَلِيطَّلع بِحَوَاسِهِ وَدُونَ شَكٍّ عَلى آيَاتِ اللهِ الكبْرَى.

قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ (النجم : 13-18).

ومما جاءَ في تفسيرِ الآياتِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾. أي رأَي رسولُ اللهِ ﷺ جبريلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مرةً أُخْرَى نازِلًا إِليْهِ.

ففي «صَحيحِ مسْلمٍ»[1] عَنْ أَبِي هُرَيْرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ في قَولِهِ تَعالَى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾. قَالَ: رأَى جبريلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وفي «الصَّحيحيْن»[2] مِنْ حَديث ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ محمدًا ﷺ رَأَى جبريلَ لَهُ سِتُّمائَةِ جَناحٍ.

وفي «الصَّحيحيْن»[3] عَنْ مَسروقٍ قَالَ: قُلْتُ لعائشةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا : فأَيْنَ قَولُهُ: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ ﴾. قَالَتْ: ذَاكَ جبريلُ، كَانَ يأْتِيهِ في صُورةِ الرجُلِ، وإِنَّه أَتَاهُ هَذهِ المرةَ في صُورَتِهِ فَسَدَّ الأُفُقَ.

وقَولُهُ تَعالَى: ﴿ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ .

هِيَ شجرةٌ عظيمةٌ فَوقَ السَّماءِ السَّابعَةِ سُمِّيتْ سِدْرَةُ المنْتَهَى؛ لِأَنَّهُ يَنْتهي إِلَيْهَا مَا يَعْرُجُ مِنَ الأَرْضِ، وَيَنْزِلُ إِلَيْهَا مَا يَنْزِلُ مِنَ اللهِ ـ فرأَى رسولُ اللهِ ﷺ ـ جِبْرِيلَ فِي ذَلِكَ المكَانِ.

وقَولُهُ تَعالَى: ﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴾ .

أَيْ الجَنَّةُ الجامِعَةُ لِكُلِّ نَعيمٍ، وَهَذا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الجَنَّةَ فَوقَ السَّماءِ السَّابِعَةِ.

(1) رواه مسلمٌ (175).
(2) رواه البخاريُّ (4857)، ومسلمٌ (174).
(3) رواه البخاريُّ (3235)، وَمسلمٌ (177).

وقَولُهُ تَعالَى: ﴿ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴾ .

أَيْ يَغْشَاهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ شَيءٌ عَظيمٌ لَا يَعْلَمُ وَصْفَهُ إِلَّا اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ .

وقَولُهُ تَعالَى: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ . أَيْ: مَا زَاغَ يَمْنَةً وَلَا يَسْرةً عَنْ مقصُودِهِ. و ﴿وَمَا طَغَىٰ ﴾ أَيْ: مَا تجاوزَ البصرُ. وَهُوَ كَمالُ الْأَدَبِ مِنْهُ ﷺ .

وقَولُهُ تَعالَى: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ .

أَيْ مِنَ الجَنَّةِ والنَّارِ وَغيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الْتِي رَآهَا ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ[1].

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ أَدَّعَى بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ الإِسْرَاءَ كَانتْ رُؤْيَا مناميَّةً والَّذي دلَّ عليهَا الكتابُ والسُّنَّةَ وَإِجْمَاعُ الْأُمَّةِ أَنَّ الْإِسْرَاءِ حَصلَتْ بِالرُّوحِ والجَسَدِ.

قَالَ ابْنُ عَبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّها كانَتْ رُؤْيَا عَيْنٍ بالرُّوحِ وَالجَسَدِ يَقَظةً لَا مَنَامًا».

وَقَالَ ابنْ حَجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ الْإِسْرَاءَ والْمِعْراجَ وَقَعَا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الْيَقَظَةِ بِجَسَدِ النَّبيِّ ﷺ ورُوحِهِ بَعْدَ الْبَعْثِ، وَإِلَى هذَا ذهبَ الْجمهُورُ مِنْ عُلَماءِ المحدِّثِينَ والْفُقَهاءِ والمتكلِّمينَ، وتوارَدَتْ عَلَيْهِ ظَوَاهِرُ الْأَخْبَارِ الصَّحِيحَةِ، وَلَا يَنْبغي الْعدُولُ عنْ ذَلِكَ، إذ لَيْسَ في الْعَقْلِ ما يُحِيلُهُ حتَّى يحتاجَ إِلى تَأْوِيلٍ»[2].

أَيُّهَا النَّاسُ ذَلكَ ما أَجملَهُ القرآنُ في الإسراءِ والمعراجِ! وقدْ فَصَّلتْهُ السُّنَّةُ أعظمَ التفصيلِ وبيَّنتْهُ أَحْسَنَ البيانِ.

ففي «الصَّحيحيْن»[3] مِنْ حَديث أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: **«فرجَ سقفُ بَيتِي وأَنَا بمكةَ فنزلَ جبريلُ، ففرجَ صدرِي، ثم غسَلَهُ بماءِ زمْزمَ ثم جَاءَ**

(1) انظر «تفسيرَ السَّعدي» (819) بتصرُّفٍ يسيرٍ.

(2) انظر «الفتحَ» (15/ 44) وزادَ المعادن (1/ 99) حيث نصَّ علَى أَنَّ الْإِسْرَاء والمعراج كانا في لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ.

(3) رواه البخاريُّ (3342،1636،349)، ومسلمٌ (163).

بطسْتٍ منْ ذَهَبٍ مُمتلِيءٍ حِكْمَةً وَإِيمانًا فأفْرَغَهُ في صَدْرِي ثُمَّ أَطبَقَهُ ثُمَّ أخذَ بِيَدي فعَرَجَ بِي إلى السَّمَاءِ الدُّنيَا ....».

وَفِي «صَحيح مسلم»[1] مِنْ حَديث أَنَسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**أتيت بالْبُرَاقِ** (وهُوَ دَابَّةٌ أبْيَضُ طويلٌ فوقَ الحْمارِ ودونَ البغلِ يضعُ حافرَهُ عندَ منتهى طرفِه) **قالَ، فركبْتُهُ حتَّى أتيتُ بيتَ المقدِسِ، قَالَ: فربطْتُهُ بالحِلْقَة الَّتي يَرْبطُ بِهِ الأنبياءُ.** قَالَ: **ثُمَّ دخلتُ المسجدَ فصلَّيتُ فيهِ ركعتيْنِ ثُمَّ خرجْتُ. فجاءَني جبريلُ** عَلَيْهِٱلسَّلَامُ **بإناءٍ مِنْ خمرٍ وإناءٍ مِنْ لَبنٍ فَاخْترتُ اللَّبنَ، فَقالَ جبريلُ** عَلَيْهِٱلسَّلَامُ : **اخترتَ الفِطْرةَ.**

ثُمَّ عُرِجَ بنا إلى السَّماءِ الثَّانيةِ فاسْتَفْتَح جبْريلُ، قَالَ: جبريلُ، قيلَ: ومَنْ مَعكَ؟ قالَ: محمدُ قيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قالَ: قد بُعثَ إليهِ، فَفُتحَ لَنا، فَإِذَا أَنا بِآدَمَ، فَرحَّبَ بِي وَدَعَا لي بِخيرٍ.

ثُم عُرِجَ بِنَا إِلى السَّماءِ الثَّانيةِ، فَاستفتحَ جبريلُ، فقيلَ: من أَنتَ؟ قالَ: جبريلُ، قيلَ: ومَن معكَ؟ قالَ: محمدٌ، قيلَ: وقد بُعِثَ إِليْهِ؟ قَالَ: قَدْ بعثَ إِليْهِ، ففَتحَ لنا، فإِذَ أنَا بابني الخْالةِ عيسى ابنِ مريمَ ويحيى ابنِ زكريًّا ـ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا ـ ، فرحَّبَا ودَعَوا لي بخيرٍ.

ثُم عُرِجَ بِنَا إِلى السَّماءِ الثَّالثَةِ، فَاستفتحَ جبريلُ، فقيلَ: من أَنتَ؟ قالَ: جبريلُ، قيلَ: ومَن معكَ؟ قالَ: محمدٌ ﷺ **، قيلَ: وقد بُعِثَ إِليْهِ؟ قَالَ: قَدْ بعثَ إِليْهِ، ففَتحَ لنا، فَإِذَ أَنَا بيوسُفَ** ﷺ **، إذا هو قد أعطِيَ شَطرَ الْحُسْنِ، فرحَّبَ ودَعَا لي بخيرٍ.**

ثُـم عُرِجَ بِنَا إِلى السَّماءِ الرَّابعَةِ، فَاستفتحَ جبريلُ، فقيلَ: من هَذَا؟ قالَ: جبريلُ، قيلَ: ومَن معكَ؟ قالَ: محمدٌ ﷺ **، قيلَ: وقد بُعِثَ إِليْهِ؟ قَالَ: قَدْ بعثَ**

(1) رواه البخاريُّ عن أَبِي هُريرةَ (7515)، ومسلمٌ (162) واللَّفظُ لَهُ.

إِلَيْهِ، ففَتَحَ لنا، فَإِذَ أَنَا بِإِدْرِيسَ، فرحَّبَ وَدَعا لي بخيرٍ، قَالَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ (مريم : 57).

ثُم عُرِجَ بِنَا إِلى السَّماءِ الخامِسَةِ، فَاستفتحَ جبريلُ، فقيلَ: من هَذَا؟ قالَ: جبريلُ، قيلَ: ومَن معكَ؟ قالَ: محمدٌ ﷺ ، قيلَ: وقد بُعِثَ إِليْهِ؟ قَالَ: قَدْ بعثَ إِليْهِ، ففَتحَ لنا، فَإِذَ أنَا بِهارُونَ ﷺ فَرحَّبَ وَدَعَا لي بِخَيْرٍ.

ثُم عُرِجَ بِنَا إِلى السَّماءِ السَّادِسَةِ، فَاستفتحَ جبريلُ، فقيلَ: من هَذَا؟ قالَ: جبريلُ، قيلَ: ومَن معكَ؟ قالَ: محمدٌ ﷺ ، قيلَ: وقد بُعِثَ إِليْهِ؟ قَالَ: قَدْ بعثَ إِليْهِ، ففَتحَ لنا، فَإِذَ أنَا بِموسَى ﷺ فرحَّبَ وَدَعَا لي بِخيرٍ.

ثُم عُرِجَ بِنَا إِلى السَّماءِ السَّابِعَةِ، فَاستفتحَ جبريلُ، فقيلَ: من هَذَا؟ قالَ: جبريلُ، قيلَ: ومَن معكَ؟ قالَ: محمدٌ ﷺ ، قيلَ: وقد بُعِثَ إِليْهِ؟ قَالَ: قَدْ بعثَ إِليْهِ، ففَتحَ لنا، فَإِذَ أنَا بِإِبْراهِيمَ ﷺ مُسْنِدٌ ظَهْرهُ إِلى البَيْتِ المعمُورِ وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يومٍ سَبْعُون أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودونَ إِلَيْهِ.

ثُمَّ ذَهبَ بِي إلى سِدْرةِ المنتهَى، وَإِذَا ورقُهَا كآذَانِ الْفِيلَةِ، وإذا ثَمرُهَا كالقِلَالِ، قَالَ، فلمَّا غَشِيَها مِنْ أَمْرِ اللهِ ما غشَى تغيرَّتْ، فَما أحدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يستطيعُ أَنْ يَنْعَتَها مِن حُسْنِهَا. فأوحَى الله إِليَّ ما أوْحَى، ففرضَ عليَّ خَمسينَ صَلاةً فِي كُل يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ.

فنزلَتُ إِلَى مُوسَى ﷺ فقَالَ: مَا فَرضَ رَبُكَ عَلى أُمتِكَ؟

قلتُ: خَمسينَ صَلاةً، قَالَ: ارجعْ إِلى رَبِّكَ فاسأَلْهُ التخفيفَ، فَإِنْ أمْتَكَ لَا يُطيقونَ ذَلكَ فإِنِّي قَد بَلَوْتُ بَني إِسْرَائيلَ وخَبرْتُهمْ.

قَالَ: فرجَعتُ إِلى ربِّي فقلتُ: يا ربِّ خَفِّفْ على أُمتي، فَحَطَّ عَنِّي خمسًا.

فرجعتُ إِلى مُوسَى فقلتُ: حَطَّ عنِّي خمسًا، قَالَ: إِنَّ أمتَكَ لا يطيقونَ ذلكَ فَارْجِعْ إِلى رَبِّكَ فاسأَلْهُ التخفيفَ.

قَالَ: فَلم أَزالْ أُراجعُ بِّي ـ تَبارِكَ وتَعالى ـ وبيْنَ مُوسَى ﷺ حتَّى قَالَ: يَا مُحمدُ: إنهنَّ خمسُ صلواتٍ كلَّ يومٍ ولَيْلةٍ، لكلِّ صلاةٍ عَشرٌ فذلكَ خمسونَ صلاةً، ومَنْ هَمَّ بحسنةٍ فلمْ يعملْها كتبتْ لهُ حَسنةٌ، فإنْ عملَها كتبتْ لَهُ عَشْرًا ومَنْ همْ بسيئةٍ فلمْ يعملْهَا لم تكتبْ شيئًا، فَإِن عَملها كُتِبَت سيئةً واحدةً.

قال: فنزلتُ حتَّى انتهيتُ إِلَى موسَى ﷺ فأخبرْتُه، فقالَ: ارْجِعْ إِلى رَبِّكَ فاسأَلْهُ التخفيفَ، فقالَ رسولُ الله فقلتُ: قَد رجعْتُ إلى ربِّي حتَّى استحيْتُ مِنْهُ».

وأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

الخُطْبَةُ الثانية ـ عظمَةُ الصَّلاةِ :

الْحَمْدُ للهِ ربِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمعِينَ.

أَمَّـا بَعدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ «**الْإِسْراءِ والْمِعرَاجِ**» والآنَ حديثِي مَعَكُمْ عَنْ عَنْ «عظمةِ الصَّلَاةِ».

والصَّلاةُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَمرُهَا عظيمٌ، وقدْرُهَا جليلٌ وممَّا يَدُلُّ على عِظَمِ شَأْنِهَا وعلوِّ قَدْرِهَا أن اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ لَمْ يفرضْهَا في الْأَرْضِ بواسطةِ جبريلَ، وإنَّما فَرَضَها بِدونِ وسَاطَةٍ ليلةَ الْإِسْرَاءِ مِنْ فوقِ سَبْعِ سَمَواتٍ.

أَيُّها النَّاسُ الصَّلاة فرضتْ خمسينَ صَلاةً، ثُمَّ خففَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ عَلَى عِبادِهِ ففرضَهَا خمسَ صَلَواتٍ في الْيَومِ واللَّيْلَةِ فهي خمسونَ في الْمِيزَانِ وخمسٌ في الْعَملِ.

جَاءَ ذلِكَ في «صحيح البخاريِّ»[1] مِنْ حَديث أَبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**خفَّفَ عَنَّا أعْطَانَا بكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا**».

أَيُّهَا النَّاسُ حَافِظُوا عَلَى صَلَاتِكُمْ فإنَّهَا عمادُ الدِّينِ، وأعظمُ أرْكَانِ الْإِسْلَامِ ودَعَائِمِهِ العِظَامِ وأولُ مَا يُحَاسَبُ عليْهِ العَبْدُ مِنْ عَمَلِهِ.

ففي سننِ التِّرمذيِّ بسندٍ حسَنٍ حَسَّنَهُ الْعَلَّامةُ الْأَلبَانِيُّ في «الْإِرْوَاءِ» مِنْ حَديث معاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**رأْسُ الْأَمرِ الإسْلَامُ، وعمودُهُ الصَّلاةُ، وذِرْوَةُ سِنَامِهِ الجهادِ**».

(1) رواه البخاريُّ (7515).

وفي «الصحيحين»[1] مِنْ حَديث ابْنِ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «**بُنِيَ الْإِسْلامُ عَلَى خَمسٍ: شَهادَةِ أنْ لَا إِلَه إِلّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسولُ اللهِ، وإِقَامِ الصَّلَاةِ، وإِيتَاءِ الزكاةِ، وصَوْمِ رَمضانَ، وحجِّ الْبَيْتِ**».

وأخرجَ الطبرانيُّ في الأوسَطِ بِسَندٍ صحيحٍ صحَحَهُ الْألبَانيُّ في «الْإِرْوَاءِ»[2] مِنْ حَديث أَنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «**أَولُ مَا يُحَاسَبُ بهِ الْعبْدُ يومَ القيامَةِ الصَّلاةُ فَإِنّ صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ عملِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فسدَ سَائِرُ عَملِهِ**».

أيُّهَا النَّاسُ قَبْلَ أَنْ أُوَدِّعَ مقامِي هَذَا أذكركمْ بِآخِر وَصيَّةٍ أَوْصَى بها النَّبيُّ ﷺ أُمَّتَهُ وهُوَ يُودِّعُ الدنْيَا.

ففي مُسندِ أحمدَ بسندٍ صحيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبانِي في «الْإِرْوَاءِ»[3] مِنْ حَديث أم سلَمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالتْ: كَانَ مِنْ آخِرَ وصِيَّةِ رَسولِ اللهِ ﷺ: «**الصَّلاةَ ومَا مَلكَتْ أَيْمَانكمْ**». حتَّى جَعَلَ نبيَّ اللهِ ﷺ يُجَلْجِلُهَا فِي صدْرِهِ ومَا يفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ.

اللَّهمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبادَتِك.

اللَّهمَّ وفقْنَا لِأَدَاءِ الصَّلَاةِ المكتُوبَةِ حيثُ ينادى لَهَا علَى الْوجْهِ الَّذِي يُرْضِيك، وَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنا طَرْفَةَ عَيْنٍ.

---

(1) رواه البخاريُّ (8)، ومسلم (16).

(2) «**صَحيحٌ**» أخرجَهُ الطبرَانيُّ في «الأَوسَطِ» (1/ 409)، وصححه الألباني بمجموعِ طُرقِه كَمَا في «الصحيحَة» (3/ 346).

(3) «**صَحيحٌ**» أخرجَهُ أَحمدُ (6/ 290)، وصححه الألباني في «الْإِرْوَاءِ» (7/ 238).

6 الخُشُوعُ في الصَّلاةِ

الخُطْبةُ الأُولى :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محَمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ (آل عمران : 102).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ (النساء : 1).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب :70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ـ ﷺ ـ ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ ـ حَدِيثي مَعَكُمْ الْيَوْمَ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ **«الْخُشُوعُ في الصَّلاةِ»**.

أَيُّهَا النَّاسُ الخشوعُ أمرُهُ عظيمٌ وقدرهُ جليلٌ فهو سببٌ عظيمٌ منْ أسبابِ الفلاحِ.

قَالَ اللهُ ـ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ ـ : ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢﴾ (المؤمنون : 1-2).

أي خَائفُونَ ساكنُونَ. قَالَ ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «الخشوعُ هو السكونُ والطمأنينةُ والتُّؤَدَةُ والتواضعُ والحاملُ عليهِ الخوفُ من اللهِ ومراقبتُهُ»[1].

(1) تفسيرُ ابنِ كثير (6/ 418).

ومحلَّ الخشوعِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ في القلبِ وثمرتُهُ على الجَوارحِ.

دلَّ علَى ذلكَ ما جاءَ في سُننِ التِّرمذيِّ بسندٍ صحيحٍ صححَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ التِّرمذيِّ»[1] من حديثِ عبد اللهِ بنِ عمروٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يقولُ: «**اللَّهمَّ إنِي أعوذُ بكَ منْ قلبٍ لَا يخشعُ، ومنْ دعاءٍ لا يُسمعَ، ومن نَفسٍ لا تشبعُ، ومِنْ علمٍ لا ينفعُ أعوذُ بكَ مِنْ هَؤلاءِ الأَربعِ**».

فدلَّ هذَا الدعاءُ على أنَّ الخشوعَ محلُّه القَلبُ وهو يزيدُ وينقصُ فمنهُمْ مَن يبلغُ خشوعُهِ عنانَ السَّماءِ ومنهُمْ مَنْ يخرجُ مِنْ صلاتهِ لَمْ يعقِلْ شَيئًا كمَا في مسندِ أحمدَ بسندٍ حسنٍ حسَّنهُ الألبَانيُّ في «صحيحِ الجامعِ»[2] من حديثِ عمَّارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**إنَّ العبدَ ليُصلِّي الصلاةَ مَا يُكتبُ لهُ منهَا إلَّا عشرُهَا، تسعُهَا، ثمنُهَا، سُبعُهَا، سدسُها، خمسُهَا، ربعُهَا، ثُلثُها، نصفُهَا**».

فدلَّ الحديثُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ علَى أنَّ الأجرَ حاصلٌ بحسَبِ الخشوعِ.

وحكمُ الخشوعِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أنَّهُ وَجبٌ على الصَّحيح.

قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (البقرة: ٤٥).

وهذَا يقتضِي ذمَّ غيرِ الخاشِعينَ والذّمُّ لا يكونُ إلا لتركِ واجبٍ أو فعلِ محرْمٍ. وإنْ كانَ غيرُ الخاشعينَ مذمومِينَ دلَّ ذلكَ على وجوبِ الخشوعِ.

ويدلُّ علَى وجوبِ الخشوعِ فيهَا ـ أَيْضًا ـ قولُهُ تعالَى ـ : ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾ (المؤمنون: 1-2). إلى قولهِ تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾

---

(1) «**صَحيحٌ**» أخرجه الترمذي (3729)، وصحَّحَهُ الألباني في «صحيحِ التِّرمذيِّ» (2769).

(2) «**صَحيحٌ**» أخرجه أحمدُ (4/ 321)، وحسَّنهُ الألباني في «صحيحِ الجامعِ» (1626).

﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١﴾ (المؤمنون : 10-11). أخبرَ ـ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ أنَّ هؤلاءِ هُمُ الذينَ يرثونَ فردوسَ الجنَّةِ وذلكَ يقتضي أنَّهُ لا يرثُهَا غيرُهمْ»[1].

ومما جاءَ في فضلِ الخشوعِ ووعيدِ مَنْ تركَهُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ :

ما أخرجَهُ أبو داودَ في سننهِ بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ»[2] من حديثِ عِبادةَ بنِ الصامتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : **«خَمسُ صلواتٍ افترضَهُنَّ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ ، مَنْ أحسنَ وضُوءَهُنَّ، وصلاهُنَّ لوقْتِهِنَّ، وأتمَّ رُكوعهنَّ وخُشوعَهنَّ؛ كانَ له على اللهِ عهدٌ أَنْ يغفرَ لَهُ، ومَنْ لمْ يفعلْ، فليسَ لَهُ على اللهِ عهدٌ، إنْ شاءَ غَفرَ لَهُ، وإِنْ شاءَ عذَّبَهُ»**.

وفي «صحيحِ مسلمٍ»[3] من حديثِ عقبةَ بْنِ عامرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : **«مَا مِنْ مسلمٍ يتوضأُ فيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فيصلِّي ركعتين، مقبلٌ عليهِما بقلْبِهِ وَوَجْهِهِ، إِلَّا وَجَبتْ لَهُ الجنةُ»**.

قال النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : «جمعَ ﷺ بهاتَيْنِ اللَّفظَتَيْنِ أنواعَ الخضوعِ والخشوعِ؛ لأنَّ الخضوعَ في الأعْضاءِ والخشوعَ في القلبِ علَى ما قالَهُ جَماعةٌ من العلماءِ»[4].

وفي «صحيحِ مسلمٍ»[5] من حديثِ عُثمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: **«مَا مِنْ امريءٍ مسلمٍ تحضُرَهُ صلاةٌ مكتوبةٌ فيحسنُ وضوءَهَا وخشوعَهَا وركوعَهَا إِلَّا كانتْ كفارةً لِما قبلَهَا من الذنوبِ، ما لم يؤتَ كبيرةً وذلكَ الدهرُ كلَّهُ»**.

---

(1) الفتاوى (22/ 553).

(2) **«صَحيحٌ»** أخرجه أبو داود (425)، وصحَّحهُ الألباني في «صحيحِ الجامعِ» (3242).

(3) رواه مسلمٌ (234).

(4) عونُ المعبود (1/ 198).

(5) رواه مسلمٌ (228).

والخشوعُ في الصَّلَاةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ إِنْمَا يحصلُ لمنْ فرغَ قلبهُ لهَا، واشتغلَ بهَا عما عَداهَا، وآثرهَا عَلى غيرِها، وحينئِذٍ تكونُ راحةً لهُ وقُرَّةَ عينٍ كما جاءَ في مسندِ أحمدَ بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألْبانيُّ في «صحيحِ الجْامعِ»[1] من حديثِ أنسٍ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**حُبِّبَ إليَّ مِنْ دُنياكُمْ: النِّساءُ والطِّيب، وجُعلَتْ قرةُ عيني في الصَّلاةِ**»[2].

وأَسْتَغفرُ اللهَ.

---

(1) «**صَحيحٌ**» أخرجَه أحمدُ (3/ 128)، وصحَّحَهُ الألْبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (3124).

(2) انظرْ «تفسيرَ ابنِ كثيرٍ» (5/ 456).

الخُطْبةُ الثانية ـ أَسْبَابُ الخُشُوعِ :

الْحَمْدُ للهِ ربِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أمَّـا بَعدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ «**أهمِّيةِ الخشوعِ**» والآنَ حديثِي مَعَكُمْ عَنْ الأسْبَابِ الموصلةِ إليْهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ إنَّ الخشوعَ هوَ السَّببُ الأهمُّ لقبولِ الصَّلاةِ التي هيَ أَعظمُ أركانِ الدِّين بعدَ الشهادتَيْنِ، بلْ إِنَّهُ ليسهِّلُهَا ويحبِّبُهَا إِلَى النفوسُ.

قالَ ابنُ سُعديّ رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيرِ قولهِ تعالَى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ . «أَيْ فَإِنَّهَا سهلةٌ عليهِمْ خَفيفةٌ؛ لأنَّ الخشوعَ وخشيةُ اللهِ ورجاءُ ما عندَهُ يوجبُ لَهُ فعلَهَ منشرحًا بها صدرُه لترقبِهِ للثوابِ وخشيتِهِ مِنَ الْعِقابِ، كمَا أنْ الخشوعَ هُوَ العلمُ الحقيقيُّ»[1].

ولنْ يصلَ العبدُ إلى الخشوعِ الحقيقيِّ إلَّا إذَا أخذَ بالأسبابِ الموصِّلةِ إليْهِ.

فمنْ أسْبابِ الخشوعِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ الْإيمانُ الصادقُ بمَا يترتبُ على الخشوعِ من فضلٍ عظيمٍ في الدُّنيَا والآخرةِ مِنْ الإحساسِ بالسُّكونِ والطمأنينةِ والحياةِ الطيِّبَةِ.

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾

وفِي «صحيحِ مسلمٍ»[2] من حديثِ عُثمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**مَا مِنْ امريءٍ مسلمٍ تحضُرَهُ صلاةٌ مكتوبةٌ فيحسنُ وضوءَهَا وخشوعَهَا وركوعَهَا إلَّا كانتْ كفارةً لِما قبلَهَا من الذنوبِ، ما لم يؤتَ كبيرةً وذلكَ الدهرُ كلُّهُ**».

(1) تفسيرُ ابن سُعْدِي (51).

(2) رواه مسلمٌ (228).

ومِنْ أسبابِ الخشوعِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ الاستعدادُ للصَّلاةِ ويَحْصُلُ بأمورٍ مِنْها الترديدُ معَ المؤذِّنِ والإتيانُ بالدُّعاءِ المشروعِ بعدَهُ، وإحسانُ الوضوءِ والاعتناءُ بالسِّواكِ وأَخذُ الزينةِ باللِّباسِ الحسنِ الطيِّبِ الرائحةِ امتثالًا لأمرِ اللهِ ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ (الأعراف: ٣١).

وأخرجَ الطبرانيُّ في «الأوسَطِ» بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصحيحةِ»[1] من حديثِ عبد اللهِ بنِ عمروٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا صلَّى أحدُكمْ فليلبْس ثوْبيْهِ فَإِنَّ اللهَ أحقُّ مَنْ تَزَيَّنَ لَهُ**».

ومِنْ أَسْبابِ الْخشوعِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ الصَّلاةُ إِلَى سترةٍ والدُّنُوُّ منْهَا فذلِكَ أحفظُ لهُ من الشيطانِ ومِنْ مرورِ النَّاسِ ولئِلَّا يشوِّشَ عَلى نفسِهِ.

ففي سُنَنِ أَبِي داودَ بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الْألبانيُّ في «صحيحِ الجامِعِ»[2] من حديثِ سهيلِ بْنِ أَبِي حثمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا صلَّى أحدُكمْ فليصَلِّ إِلَى سُتْرَةٍ، ولْيَدْنُ مِنْ سُترتِهِ لَا يقطَعُ الشَّيطَانُ عَليْهِ صَلَاتهُ**».

قال النَّوَوِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «والحكْمةُ مِنَ السُّتْرَةِ كفُّ البَصَرِ عَمَّا وراءَهُ ومنعُ مَنْ يجتَازُ بِقُربِهِ وتمنعُ الشَّيطانَ المرورَ، والتعرضَ لإِفسادِ صَلَاتِهِ»[3].

ومِنْ أَسْبابِ الخشوعِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ النظرُ إِلَى موضعِ السجُودِ.

ففي مستدركِ الحاكمِ بسندٍ صحيحٍ على شرطِ الشَّيخيْنِ ووافقهُ الألبانيُّ في «صِفَة الصَّلاةِ»[4] من حديثِ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كانَ رسولُ اللهِ ﷺ إِذَا صَلَّى طأْطَأَ رأسَهُ ورمَى ببَصرِهِ نَحوَ الْأَرضِ».

---

(1) «**صَحيحٌ**» أخرجه الطبرانيَّ في «الأوسَطِ» (1/ 28)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصحيحة» (1369).

(2) «**صَحيحٌ**» أخرجَهُ أَبُو داودَ (692)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (650).

(3) شَرحُ النووي عَلَى مسلمٍ (4/ 216).

(4) «**صَحيحٌ**» أخرجَهُ الحاكمُ (1/ 479)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صِفَة الصَّلاةِ» (ص89).

ومِنْ أسْبابِ الخشوعِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ الطُّمأنِينَةُ في الصَّلاةِ وفي جميع الأركانِ؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ لمَّا علَّمَ المسيءَ صلاتَه كانَ يَقولُ لَهُ في كلِّ ركنٍ: «**حتَّى تطمئنَّ**». كما في «الصحيحيْنِ»[1] من حديثِ ....

والطُّمأْنِينَةُ: هِيَ السكونُ بقدرِ الذكرِ الواجبِ، فلوْ لَمْ يسكنْ لَمْ يَطْمئِنَّ[2].

وَفي مسندِ أحمدَ بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ»[3] من حديثِ أَبِي قتادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**أسوأُ الناسِ سرقةً الْذي يسرقُ من صَلاتِهِ، لَا يُتمُّ ركوعَهَا ولَا سجودَها ولَا خشوعَها**».

ومِنْ أسْبابِ الخشوعِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنْ يذكرَ المصلِّي الموتَ فِي صَلاتِهِ.

ففي «مسندِ الفردَوسِ» للدَّيْلميِّ بسندٍ حسنٍ حسَّنَهُ الأَلبانيُّ في «الصَّحيحَةِ»[4] من حديثِ أنسِ بْنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**اذكر الموتَ في صلَاتِكَ؛ فإنَّ الرَّجُلَ إذَا ذكرَ الموتَ في صلاتِهِ لحرِّيٌّ أن يحسِّنَ صلاتَهُ وصلِّ صلاةَ رجُلٍ لا يظنُّ أنْ يصلِّي صلاةً غيرَها، وإيَّاك وكلَّ أمْرٍ يُعتذَرُ منْهُ**».

ومِنْ أسْبابِ الخشوعِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ ترتيلُ القرآنِ وتحسينُ الصَّوتِ بِهَا.

لقولِ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ (المزمل : 4).

وفي سننِ أَبِي داودَ بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحيحَةِ»[5] من حديثِ البراءِ بْنِ عازبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**زيِّنُوا القرآنَ بأَصْوَاتكُمْ، فإنَّ الصوتَ الحسنَ يزيدُ القرآن حُسنًا**».

---

(1) رَواهُ البخاريُّ (757)، ومسلمٌ (392).

(2) انظرْ «حاشيةَ ابْنِ قاسم على الرَّوضِ» (2/ 126)، و«الشرحَ الممتعَ» (3/ 421).

(3) «**صَحيحٌ**» أخرجَهُ أحمدُ (11549)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (986).

(4) «**حَسَنٌ**» أخرجَهُ الدَّيْلميَّ في «مسندِ الْفِردوسِ» (1/ 51) وحسّنهُ الألبانيُّ في «الصّحيحةِ» (1421).

(5) «**صَحيحٌ**» أخرجَهُ الحاكمُ (1/ 575) وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصّحيحةِ» (771).

ومِنْ أسْبابِ الخشوعِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أنْ يعلمَ المصلِّي أنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ يُجيبُهُ في صَلَاتِهِ.

ففي «صحيحِ مسلمٍ»[1] من حديثِ أَبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**قالَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ قسمتُ الصَّلاةَ بيني وبيْنَ عبْدِي نِصْفَيْنِ ولِعَبْدِي مَا سأَلَ، فإذا قَالَ: الْحمدُ للهِ ربِّ العالَمينَ قالَ اللهُ: حَمِدَني عَبْدِي فإذا قال: الرَّحمنِ الرَّحيم، قَالَ اللهُ: أثْنَى عليَّ عَبْدِي، فَإذا قالَ مَالِكِ يومِ الدِّينِ قَالَ اللهُ مجَّدَنِي عَبدِي، فَإذَا قَالَ: إِيَّاكَ نعبُدُ وإِيَّاكَ نستَعينُ قَالَ: هَذَا بيْني وبينَ عبْدِي ولِعَبْدي ما سأَلَ، فإذَا قَالَ: اهْدِنَا الصِّراطَ المستقيمَ صِراطَ الَّذِينَ أَنعمتَ علَيْهِمْ غَيْرِ المغضوبِ عليْهِمْ ولَا الضَّالِّينَ قَالَ اللهُ: هَذَا لعبْدِي ولعَبْدِي ما سأل**».

وهَذا ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ حديثٌ عظيمٌ لو استحضَرهُ كلُّ مُصلٍّ لحَصلَ لَهُ خشوعٌ بَالِغٌ ـ إنْ شَاء اللهِ ـ. ولا شك أنَّ الْمصلِّي يُنَاجي رَبَّهُ فلْينْظُرْ كَيفَ يُنَاجِيهِ؟

فَفي مستدركِ الحاكمِ بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ»[2] من حديثِ أَبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**إنَّ أحدَكُمْ إِذَا قامَ يُصَلي إنَّما يُناجِي رَبَّهُ، فلْينظره كيفَ يُناجِيهِ**».

ومِنْ أسْبابِ الخشوعِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ الاستعاذَةُ باللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم.

فالعَبْدُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ إِذَا قامَ إِلَى الصَّلاةِ غَارَ الشيطانُ منْهُ؛ لأَنَّهُ قام في أعْظَمِ مقامٍ فيحولُ بينَهُ وبينهَا فإنْ عَجزَ حالَ بينَهُ وبيْنَ قلْبِهِ فَيُذكِّرُهُ الضَّيْعَةَ والْأَولادَ والمالَ والعقارَ فيقوْمُ مِنْ صلاتِهِ كَمَا دَخَلَ فِيهَا وقَدْ عَلمَ العبدُ أنَّ القلبَ محلَّ نظرِ اللهِ وأنَّ اللهَ لَا يقْبَلُ دعاءً مِنْ قَلبٍ غافلٍ لاهٍ.

(1) رَواهُ مسلمٌ (395).

(2) «**صَحيحٌ**» أخرجَهُ الحاكمُ في «مستدركِهِ» (1/ 236)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (1538).

وَلِمواجهةِ كيْدِ الشيْطانِ أَرشدنَا النَّبيُّ ﷺ إِلَى الْعِلاجِ.

ففي «صحيحِ مسلمٍ»[1] من حديثِ أَبي العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: يا رسولَ اللهِ إِنَّ الشيطانَ قد حالَ بيني وبينَ صلاتِي وقراءَتي يلبِّسُها عليَّ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**ذاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ حنزبُ فإِذَا أحسسْتَهُ فتعوذْ باللهِ منْهُ واتفلْ عَنْ يَسارِك ثلاثًا**». قَالَ: ففعلتُ ذلكَ فأذهبَهُ اللهُ عَنيِّ.

ومِنْ أسْبابِ الخشوعِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ تركُ الالتفاتِ في الصلاةِ.

فَفِي سُنَنِ أَبِي داوُدَ بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحيحةِ»[2] من حديثِ أَبي ذرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَزَال اللهُ** ـ عزَّ وجَلَّ ـ **مُقبلٌ عَلَى الْعَبْدِ وَهُوَ فِي صَلَاتِهِ مَا لمْ يَلتفتْ فَإِذَا الْتفتَ انْصرفَ عَنْهُ**».

والالتفاتُ في الصَّلاةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَلى قِسْمينِ **الأولُ** التفاتُ القلبِ إِلَى غيرِ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ.

وَالثَّانِي التفاتُ الْبَصرِ، وَكِلَاهُمَا منهيٌّ عَنْهُ وَيُنْقِصُ مِنْ أَجْرِ المصَلِّي.

فَفِي «صحيحِ الْبُخَارِيِّ»[3] مِنْ حَديثِ عائشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّها قَالتْ: سأَلْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ عَنِ الالتِفاتِ في الصَّلاةِ فَقَالَ: «**هُوَ اخْتلاسٌ يَختلِسُهُ الشَّيطَانُ مِنْ صَلَاةِ الْعَبْدِ**».

اللهُمَّ اجْعَلنَا منَ الْخَاشعينَ فِي صلاتِهمْ، اللهُمَّ ارْزقْنَا خشوعَ الْقلُوبِ وخُضوعَ الجوارِحِ، اللهُمَّ حبِّبْ إلينَا الْإيمانَ وزَيِّنْهُ فِي قُلُوبنَا وكرِّهْ إلينَا الكفْرَ والفسوقَ والعِصْيانَ واجعْلْنَا مِنَ الرَّاشِدينَ.

---

(1) رواهُ مسلمٌ (2203).

(2) «**حَسَنٌ**» رواهُ أَبُو داوُدَ (909)، وحسَّنَهُ الْأَلْبَانيُّ في «التَّرغِيبِ» (1/ 360-361).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (751).

7 سُنَنْ قَلَّ العَمَلُ بِها

الخُطْبَةُ الأُولى :

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أَنْ لا إله إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران : 102).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء : 1).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب :70 – 71).

أَمَّا بَعْدُ، فإِنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ـ ﷺ ـ ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ ـ حَدِيثي مَعَكُمْ الْيَوْمَ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ **«سُنَنٍ قَلَّ الْعَملُ بِهَا»**.

أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا مَا أَكْثَرَ السُّنَنَ المهجورةَ الثَّابِتَةَ عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ تَقْرِيرٍ!

واللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ يقولُ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ (آل عمران :31).

قَالَ ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «هذِهِ الْآيةُ حَاكِمٌ عَلى كُلِّ مَن ادَّعَى مَحبَّةَ اللهِ ولَيْسَ عَلَى الطَّرِيقَةِ المحمديَّةِ. فَإِنَّهُ كَاذِبٌ فِي دَعْوَاهُ في نفسِ الْأَمرِ حَتَّى يتَّبعَ الشَّرْعَ المحمْديَّ والدينَ النبويَّ في جميعِ أَقْوالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوالِهِ ...

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. أَيْ: بِاتِّبَاعِكُمْ الرسولَ يَحْصلُ لكُمْ هذَا كلُّهُ ببركَةِ سَفَارَتِهِ»[1].

وقالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾ (الأحزاب: 21).

قَالَ ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيرِهِ: «هذِهِ الْآيةُ الكريمةُ أصْلٌ كبيرٌ في التَّأَسِّي برسُولِ اللهِ ﷺ في أقْوَالِهِ، وَأَفْعَالِهِ وأَحْوَالِهِ»[2].

وَفِي سُنَنِ أبي داوُدَ والتِّرمذيِّ بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحيحةِ»[3] من حديثِ الْعِرْبَاضِ بنِ سَارِيةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: وعظَنَا رسولُ اللهِ ﷺ موْعظَةً بليغَةً ذرفتْ منْها الْعُيونُ ووجِلَتْ منهَا الْقُلوبُ فقلْنَا يا رسولَ اللهِ إِنَّ هذهِ لَموعظةُ مودِّعٍ فمَاذَا تعهْدُ إِلينَا؟

فَقَالَ: «**أُوصِيكمْ بِالسَّمع والطَّاعةِ فإِنَّهُ مَنْ يعشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيرَى اخْتلافًا كَثيرًا فعليكمْ بسُنَّتِي وسنَّةِ الخلفاءِ الراشدِينَ الْمهديِّنَ مِنْ بَعدِي تمسَّكُوا بهَا وَعَضّوا عَلَيْهَا بالنَّواجِذِ وإِيَّاكُمْ ومحْدثَاتِ الأمورِ فإِنَّ كلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ**».

قَالَ العَلامةُ الْعَبَّادُ حَفِظَهُ اللهُ لما أخبر بحصولِ التفرُقِ وكثرتِه أرشَدَ إلى طريقِ السَّلامَةِ والنجاةِ وذلكَ بالتمسُّكِ بسُنَّتِهِ وسنَّةِ خُلفائِه الراشِدِينَ وخلفاؤه الراشدُونَ هُمْ أَبُو بكرٍ وَعُمرُ وَعُثْمَانُ وعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَقَدْ وَصَفَ رسولُ اللهِ ﷺ خِلافتَهُمْ بأنَّها خِلَافةُ نُبوَّةٍ.

---

(1) تفسيرُ ابن كثير (1/ 319).

(2) تفسيرُ ابن كثير (4/ 211).

(3) «**صَحيحٌ**» أخرجهُ أَبُو داوُدَ (4607)، وصحَّحَهُ الْألْبَانيُّ في «الصحيحَةِ» (937).

فَفِي سُنَنِ أَبِي دودَ بسندٍ صحيح صحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «الصَّحيحةِ»[1] من حديثِ سَفِينَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلَاثُونَ سَنَةً ثم يُؤْتِي اللهُ الملكَ أَوْ ملكهُ مَنْ يَشَاءُ**».

وَقَدِ انْتَهَتْ تِلْكَ الثلَاثونَ بموْتِ عليِّ بْنِ أَبِي طالبِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وَقَدْ حَثّ الرسولُ ﷺ عَلَى التَّمسُّكِ بسُنَّتِهِ وَسُنَّةِ خُلَفائِهِ الراشِدينَ بِقَوْلِهِ: «**فَعَليكُمْ**». وَهِيَ اسْمُ فعلِ أَمْرٍ ثُمَّ أرشدَ إلى شِدَّةِ التمَّسُّك بقولِهِ: «**وَعَضّوا عَلَيْهَا بالنَّواجِذِ**». والنَّواجذُ هي الأضْرَاس، وذَلِكَ مُبالغةً في شِدّةِ التمسُّكِ بهَا[2].

أَرَأيتُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - إلى أَيِّ مدًى بلغَ بِهِ النَّبيُّ ﷺ في الوصِيّةِ بِسُنَّتِهِ وَسُنَّةِ خلفائِهِ الرَاشِدِينَ.

فانتبِهُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - للدُّخلاءِ عَلَى الْعلمِ وأهلْهِ الَّذينَ يُقَسِّمونَ الدِّينَ إِلى قشورٍ ولبابٍ فَيَصِفونُ السُّنَنَ بأنها قشُورٌ والقشورُ كَمَا تعلمونَ يُرمَى بهَا مثلَ قشرِ الرمَّانِ وليْسَ في دِينِ اللهِ شيءٌ يُرمى بِهِ بَلْ فِيهِ مُهِمٌ وَأَهمٌّ والمسْلِمُ الحقُّ يُعْطي كلَّ حقٍّ حقَّهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ فِي الْعَملِ بالسُّنَّةِ ثَوابًا عظيمًا وَفِي الدَّعْوَةِ إِلَيْهَا أَجرًا جَزِيلًا.

ففي «صَحيحِ مسلمٍ»[3] من حديثِ أَبِي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**مَن دعَا إِلَى هُدىً كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مثلَ أجورِ مَن تبعهُ لَا يُنْقِصُ ذلكَ مِنْ أُجورِهمْ شَيئًا**».

---

(1) «**صَحيحٌ**» أخرجهُ أَبُو داوُدَ (4646)، وصحَّحَهُ الْألْبَانيُّ في «الصحيحَةِ» (460).

(2) فتحُ القويِّ المتينِ شَرْحِ الْأرْبعينَ للعبَّادِ (83).

(3) رواهُ مسلمٌ (2674).

وفي «صَحيحِ مسلمٍ»[1] من حديثِ الْمنذرِ بنِ جريرٍ عَنْ أَبيه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَن سَنَّ في الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنةً فَلَهُ أَجْرُهَا، وأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بهَا بَعْدَه مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنقُصَ مِنْ أُجورهِمْ شيءٌ**».

قَالَ النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فِيهِ الْحثُّ عَلى الابْتِدَاءِ بالْخيراتِ، وَسَنِّ السُّنَنِ المستحبْاتِ، والتَّحذيرِ مِنِ اخْتِراعِ الأباطِيلِ والمسْتَقبحَاتِ»[2].

قَالَ ابنُ عثيمينَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «السُّنَّةُ التي تركتْ، ثم فعلَهَا الإِنْسانُ فأحْيَاهَا، فَهَذا يُقالُ عَنْهُ أَسَنَّهَا، بمعْنَى أحْيَاهَا، وإِنْ كَانَ لَمْ يَشْرَعْها مِنْ عِنْدِهِ»[3].

وَمِنْ تِلْكَ السُّنَنُ الَّتِي قَلَّ الْعَمَلُ بهَا ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ قِلةُّ الْعنايَةِ بالسِّواكِ والاهتِمامِ بِهِ[4] فَهذَا السِّواكُ ومَا أدراكُمْ ما السِّوَاكَ؟! السِّواكُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ كما قالَ العلَّامَةُ الصَّنْعَانيُّ في «سُبُلِ السّلامِ»: قالَ في «الْبدرِ المنيرِ»: ذُكِرَ في السِّواكِ زيادةٌ علَى مائةِ حديثٍ، فَوَاعجبًا لسُنَّة تأْتِي فِيها الْأَحَاديثُ الكثيرةُ ثمَّ يُهمِلُهَا كثيرٌ مِنَ النَّاسِ، بَل كَثيرٌ من الْفُقهَاءِ فهَذِهِ خيْبَةٌ عظيمةٌ[5].

أَيُّهَا النَّاسُ لَولَا أنَّ المقامَ لا يتسعُ لسردِ تلكَ الأحاديثِ لأَلْقيتُها عَلَى مسامِعكُمْ! لكنْ يكفِي أَنْ أُسْمعَكُمْ حديثًا واحِدًا كما قيلَ يكْفِي مِنَ الزَّادِ مَا يُبْلِغُ المحَلَّ.

ففي «الصّحيحَينْ»[6] من حديثِ أَبِي هريرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْلَا أن أشُقَّ عَلَى أُمَّتي لَأَمَرْتُهم بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كلِّ صَلاةٍ**».

---

(1) رواهُ مسلمٌ (1017). (2) شرحُ النَّوويِّ عَلى مُسْلِمٍ (4/ 113).

(3) فتاوىَ ابن عُثيمينَ (7/ 360).

(4) انظر كتابَ الوصيةُ ببعضِ السُّنَنَ المنْسِيَّةِ لهيفاءَ بنتِ عبْدِ الله الرَّشيدِ (ص41)، وقد استفدتُ منه في إعداد هذه الخطبة.

(5) «سبلُ السَّلام» (1/ 40).

(6) رواهُ البُخَاريُّ (887)، ومسلمٌ (252).

والسِّواكُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ لَا يُستَحبُّ فِي أَوْقَاتِ الصَّلاةِ فَقَطْ بَلْ كَما قَالَ النَّوَويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «السِّوَاكُ مستَحبٌّ في جمِيعِ الْأَوْقَاتِ وَلكنْ في خمسْةِ أوقاتٍ أشدُّ استحبابًا، **إحداهُمَا:** عِندَ الصَّلاةِ، **والثَّانِي:** عندَ الوُضوءِ، **والثالثُ:** عِنْدَ قراءةِ القُرآنِ، **والرابعُ:** عِنْدَ الاستيقاظِ من النَّومِ، **والخامسُ:** عندَ تغيرُّ الفمِ. وتغيرُهُ يكونُ بأشْيَاء: مِنْها الأكلُ والشُّربُ، ومنْهَا أَكْلُ مالهُ رائحةٌ كَريهةٌ، ومنْهَا طولُ السكوتِ، ومنْهَا كثرةُ الْكَلَامِ»[1].

ومِنْ تلكَ السُّنَنِ الَّتي قلَّ العملُ بهَا ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ المْبالغَةُ في الِاستِنْشَاقِ عندَ الْوُضُوءِ، وكذلكَ التَّخليلُ بَيْنَ الْأَصَابعِ.

ففي سُنَنِ أَبِي دَاودَ بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الْألبانيُّ في «صَحيحِ الجْامِعِ»[2] من حديثِ لقيطِ بْنِ صبرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**أَسْبغ الوضوءَ وخلِّلْ بَيْنَ الْأصابعِ، وبالغْ فِي الاستنْشَاقِ إِلَّا أَنْ تكونَ صائِمًا**».

ففي الحْديثِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ دليلٌ عَلى التَّخليلِ بَيْنَ الْأَصَابعِ والمْبُالغَةُ في الاستنْشَاقِ لغيْرِ الصَّائمِ لئَلَّا ينزِلَ إلى حلقِهِ ما يُفَطِّرُهُ.

ومن تلكَ السننِ التي قلَّ الْعَملُ بِهَا ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ الوضوءُ قَبلَ الغُسلِ من الجْنابَةِ.

ففي «الصحيحيْنِ»[3] مِنْ حَديثِ مَيمونَةِ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا أَنَّها قَالتْ: «أَدْنَيْتُ لِرسولِ اللهِ ﷺ غُسْلَهُ مِن الجْنابَةِ، فغسَلَ كفَّيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا، ثُمَّ أَدْخَلَ يدَهُ في الْإِنَاءِ ثُمَّ أَفْرَغَ بِهِ على فَرْجِهِ وغسلَهُ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ ضربَ بشِمَالِهِ الْأَرضَ فدَلكَهَا دَلْكًا شَدِيدًا، ثُمَّ

(1) شرحُ النَّوويِّ عَلى مُسْلِمٍ (2/ 146).

(2) «**صَحيحٌ**» أَخرجَهُ أَبُو داودَ (142)، والتِّرمذيُّ (38) وقَالَ: (هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيحٌ)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجْامِعِ» (927).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (274)، ومُسْلِمٌ (317) واللَّفظُ لَهُ.

تَوضَّأَ وُضوءَهُ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ أَفْرَغَ عَلَى رأسِهِ ثلاث حَفنَاتٍ ملءَ كَفِّه ثُمَّ غَسَلَ سَائِرَ جسَدِهِ، ثُمَّ تَنَحّى عَنْ مَقَامِهِ ذَلكَ فغسَلَ رِجْلَيْهِ».

وَمِنَ السُّنَنِ المنْسِيَّةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ صَلاةُ النَّافِلَةِ علَى الرَّاحِلةِ في السَّفَرِ ولَوْ إِلَى غَيْرِ الْقِبلَةِ

فَفي «صَحيحِ الْبُخاريِّ»[1] من حديثِ عَامِرِ بْنِ ربيعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «رأيْتُ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي عَلَى رَاحِلَتهِ حيثُ تَوَجَّهَتْ بِهِ».

وفي «صحيحِ الْبُخَاريِّ»[2] من حديثِ جَابِرِ بْنِ عَبْد اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانَ يُصَلِّي التطوُّعَ وهُوَ راكبٌ في غيْرِ الْقِبْلَةِ.

وفي لَفْظٍ «لِلْبُخَاريِّ»[3] كانَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي عَلى راحِلَتِهِ حيثُ توجَّهَتْ فَإِذَا أَرَادَ الْفَرِيضَةَ نَزَلَ فاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ.

أَيُّهَا النَّاسُ هَا قَدْ تيَسَّرتْ لَنَا وسَائِلُ السَّفَرِ المريحاتِ كالسَّياراتِ والطَّائراتِ فَما أجملَ أَنْ نُطَبِّقَ السُّنَةَ حَيْثُ توجَهْنَا فَإِذَا حدَثَ لنَا حَادِثٌ تكونُ خاتمةً حسنةً ـ إِنْ شَاءَ اللهُ ـ .

ومِنَ السُّنَنِ المنْسِيَّةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ رَدّ المُصَلِّي السَّلامَ بالْإِشَارَةِ.

فَفي «الصَّحِيحينِ»[4] من حديثِ جَابِرِ بْنِ عَبْد اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعثَنِي لحاجةٍ ثُمَّ أدْركتهُ وَهُوَ يُصَلّي، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَأَشَارَ إِلَيَّ.

---

(1) رواهُ البخاريُّ (1093).

(2) رواهُ البخاريُّ (1094).

(3) رواهُ البخاريُّ (400).

(4) رواهُ البخاريُّ (1217)، ومسلمٌ (540).

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وَتَحريمُ ردِّ السَّلامِ فيهَا باللَّفْظِ، وأَنَّهُ لا تَضُرُّ الْإِشَارَةُ بَلْ يُسْتَحَبُّ ردُّ السَّلامِ بالْإِشَارَةِ»[1].

وَفِي سُنَنِ أَبِي داودَ بسَندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الْأَلبانيُّ في «صَحيحِ أَبِي داوُدَ»[2] من حديثِ صُهَيْبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ: «مرَرْتُ برسولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي فَسَلَّمتُ عليْهِ فردَّ إِشارةً وَقَالَ: وَلَا أعْلَمهُ إلا قالَ: إشارةً بإصْبُعِهِ».

وفِي سُنَنِ أَبِي داودُ والتِّرمذيِّ بِسَندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحِيحة»[3] من حديثِ ابنِ عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: قُلتُ لبلالٍ كيفَ كانَ النَّبيُّ ﷺ يردُّ عليهِمْ حِينَ كَانُوا يُسَلمونَ. قالَ: يُشِيرُ بِيَدِهِ.

قالَ ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «ولَمْ يكنْ ـ أَيْ رسولَ اللهِ ﷺ ـ يَردَّ بِيَدِهِ وَلَا بِرأْسِهِ ولَا إِصبعِهِ إِلَّا فِي الصَّلاةِ فَإِنَّهُ كَانَ يردُّ عَلَى مَنْ سلّمَ عليْهِ إِشَارةً».

وَمنْ تلكَ السُّنَنِ التي قلَّ العملُ بهَا ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ مُتابعةُ المؤذِّنِ والمُقيمِ وقولُ مثلَ ما يقولُ.

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[4] من حديثِ أَبِي سعيدٍ الخُدريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**إِذَا سمعتُمُ النِّداءَ فقُولُوا مثلَ ما يقولُ المؤذِّنُ**».

وَفِي «صَحيحِ مسلمٍ»[5] من حديثِ عُمرَ بنِ الخطابِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**إِذَا قالَ المؤذِّنُ اللهُ أكبَرُ اللهُ أكبرُ، فقَالَ أَحدُكُمْ: اللهُ أكبَرُ اللهُ أكبَرُ، ثم**

(1) شرحُ النَّوويِّ عَلى مُسْلِمٍ (3/ 31).

(2) «**صَحيحٌ**» أخرجَهُ أبو داودَ (925)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ أَبِي داوُدَ» (858).

(3) «**صَحيحٌ**» أخرجَهُ أبو داودَ (927)، والترمذيُّ (368) وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصحيحة» (185).

(4) روَاهُ البخاريُّ (611)، ومسلمٌ (383)، وأَبُو داودَ (522)، والتِّرمذيَّ (208)، وابنُ ماجَه (820).

(5) روَاهُ مسلمٌ (385)، وأَبُو داودَ (527).

قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا اللهُ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا اللهُ ثُمَّ قَالَ: أَشْهدُ أَنَّ مُحمدًا رسولُ اللهِ، قَالَ: أَشْهدُ أَنَّ مُحمدًا رسولُ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: حيَّ علَى الصَّلاةِ، قَالَ: لَا حولَ ولا قوةَ إِلَّا باللهِ، ثُمَّ قَالَ: حيَّ على الفلَاحِ قَالَ: لَا حولَ ولا قوَّةَ إلا بِاللهِ، ثُم قَالَ: اللهُ أكبَرْ اللهُ أَكبَرُ قَالَ: اللهُ أكبَرُ اللهُ أكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَه إِلَّا اللهُ، قَالَ: لَا إِلَه إِلَّا الله مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الجَنَّةَ ».

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ ذهبَ جَمعٌ مِنْ أهلِ الْعِلْمِ إِلى أَنَّه يُستَحبُّ فِي الْإِقَامَةِ مُتابعةُ المقيم مثلَ ما يَقولُ المقيمُ كما يُتَابعُ في أَذَانِهِ.

قالَ ابنُ قُدامةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَيُستحبُّ أَنْ يقولَ في الْإِقامةِ مثلَ ما يقولُ»[1].

ومنَ السُّنَنِ الْتي قلَّ العملُ بِهَا ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ الصلاةُ على النَّبيِّ ﷺ عَقِبَ الْأذانِ وسؤالُ الْوَسِيلةِ لَهُ وَقوْلُ رضيتُ باللهِ رَبًا وبالْإِسلامِ دينًا وبمحمدٍ نبيًا ورَسُولًا.

فَفِي «صحيحِ مسلمٍ»[2] من حديثِ عبد اللهِ بنِ عمروٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: «**إذا سمعتُمُ المؤذِّنَ فقولُوا مثلَ مَا يقولُ، ثُمَّ صلُّوا عَليَّ، فَإِنَّهُ من صلى عليَّ صلاةً صلى اللهُ علَيْهِ به عَشرًا، ثُمَّ سَلُوا الله ليَّ الوَسِيلةَ، فَإِنَّها منزِلةٌ في الْجَنَّةِ لا تَنبغِي إلَّا لعبدٍ مِنْ عبادِ اللهِ، وَأَرْجُوا أَنْ أكونَ أنا، فَمَنْ سَأَلَ لي الوسيلةَ حلَّتْ لهَ الشَّفَاعةُ**».

وَفِي «صحيحِ الْبُخاريِّ»[3] من حديثِ جَابرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَالَ حينَ يَسمعُ النِّداءَ: اللهُمَّ ربَّ هَذِهِ الدَّعوةِ التامَّةِ، والصَّلَاةِ الْقَائمةِ، آتِ محمدًا الوَسِيلةَ والفضِيلةَ، وأبْعثْهُ مَقَامًا محمودًا الَّذِي وعدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَومَ القيامةِ**».

---

(1) «المغنى» (2/ 87).

(2) رواه مسلمٌ (384)، وأبُو داودَ (523)، والتِّرمذيُّ (3614).

(3) رواه البخاريُّ (614)، وأبُو دَاودَ (529)، والتِّرمذِيُّ (211)، والنَّسائيُّ (680)، وابْنُ مَاجه (722).

وفي «صحيحِ مسلمٍ»[1] من حديثِ سعدِ بْنِ أَبِي وقاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قالَ: «**مَنْ قَالَ حينَ يسمعُ المؤذِّنَ أشْهدُ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا اللهُ، وَحدَهُ لَا شريكَ لَهُ، وَأَنَّ محمدًا عبْدُهُ وَرسولهُ، رضيتُ باللهِ ربًا، وبمحمدٍ رَسُولًا وَبِالْإِسلامِ دِينًا غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ**».

وأَسْتَغفرُ اللّهَ.

(1) روَاهُ مسلمٌ (386)، وأحمدُ (1565)، وأَبُو داودَ (525)، والتِّرمذيَّ (210)، والنسائيُّ (679)، وابنُ ماجَه (721).

الخُطْبَةُ الثانية ـ سُنَنٌ شِبْهُ مَنْسِيَّةٌ :

الْحَمْدُ للهِ ربِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أَمَّــا بَعدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ «**سُننٍ قلَّ الْعملُ بِهَا**» والآنَ حديثِي مَعَكُمْ عَنْ سُنَنٍ مَنْسِيَّةٍ.

فَمِنْ تلكَ السُّنَنِ الْمَنْسِيْةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ صَلاةُ النَّوافِلِ في الْبَيْتِ.

فَفِي «الصَّحِيحيْنِ»[1] من حديثِ زيْدِ بْنِ ثابتٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «**فَصَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ في بيُوتِكُمْ، فإنَّ أفضلَ صلاةِ الْمَرْءِ في بيتِهِ إِلَّا المكْتُوبَةَ**».

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ: «هَذَا عَامٌّ فِي جميعِ النَّوَافِلِ الرَّاتِبَةِ مَعَ الْفَرَائِضِ والْمُطْلقةِ إِلَّا فِي النَّوافِلِ الَّتي هِيَ مِنْ شعائرِ الْإِسْلَام وهي الْعِيدُ والكسوفُ والاسْتسقاءُ وَكَذا التَّراويحُ عَلَى الأَصَحِّ فَإِنَّهَا مشروعةٌ في جماعةٍ فِي الْمَسْجِدِ، والاسْتسقاءِ في الصَّحْرَاءِ»[2].

وَفِي «الصَّحيحيْنِ»[3] من حديثِ ابْنِ عُمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا قَضَى أَحدُكُمْ الصَّلَاةَ فِي مَسْجِدِهِ فَلْيَجْعَلْ لِبَيْتِهِ نَصِيبًا مِنْ صَلَاتِهِ فَإِنَّ اللهُ جَاعِلٌ فِي بَيْتِهِ مِنْ صَلَاتِهِ خَيْرًا**».

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ: «إِنَّمَا حَثَّ عَلى النَّافِلَةِ فِي الْبيتِ لِكَوْنِهِ أَخفى وَأَبْعَدَ مِنَ الرِّيَاءِ وأَصْوَنَ مِنَ الْمُحْبِطاتِ، وَلِيتبرَّكَ الْبَيْتُ بِذَلِكَ، وتَنزلَ فِيهِ الرحمةُ وَالْملائكةُ وينفرَ مِنْهُ الشَّيطانُ»[4].

---

(1) روَاهُ البخاريُّ (731)، ومُسْلمٌ (781).

(2) شرحُ النَّوويِّ عَلى مُسْلِمِ (3/ 328).

(3) رواه البخاريُّ (432)، ومُسْلمٌ (777).

(4) شرحُ النَّوويِّ عَلى مُسْلِمِ (3/ 326، 327).

قَالَ ابنُ عثيْمينَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «أَدَاءُ السُّنَّةِ في الْبَيْتِ أَفْضَلُ مِنْ أَدَائِهَا فِي الْمَسْجِدِ الْحرامِ. قَالَ النَّبيُّ ﷺ : «**أَفْضَلُ صلاةِ الْمرءِ في بَيْتِهِ إِلَّا المكتوبةَ**» يَقُولُ ذلكَ ﷺ وَهُوَ في الْمدِينَةِ، وهُوَ فِي مَسْجِدِ الصلاةُ فِيهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلاةٍ فِيما سِوَاهُ إِلَا المسجدِ الحرامَ، وكانَ هُوَ نَفسُهُ يُصَلِّي النَّافِلةَ في بَيْتِهِ»[1].

ثَبَتَ ذَلِكَ عَنْهُ في عِدَّةِ أَحَاديثَ[2].

أَيُّهَا النَّاسُ تِلْكَ سُنَّةُ نَبِيّكُمْ ﷺ فَالْزَمُوهَا فَإِنَّهُ قَالَ بَعضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: «إِنَّما يَرْفَعُ اللهُ الْعَبْدَ بِقَدْرِ تَمَسُّكِهِ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ».

اللَّهُمَّ فَقِّهْنَا في الدِّينِ وَوَفِّقْنَا لِاتِّبَاعِ نَبِيِّكَ والِاهْتِدَاءِ بِهَدْيِهِ.

اللَّهُمَّ انْفَعنَا وَانْفَعْ بِنَا وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ.

---

(1) فَتَاوَى ابنِ عُثَيْمينَ (14/ 355، 356).

(2) زَادُ المعَادِ (2/ 419).

8 القلبُ السَّليمُ

الخُطْبةُ الأُولى :

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ (آل عمران : 102).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ (النساء : 1).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب :70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ـ ﷺ ـ ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ ـ حَدِيثي مَعَكُمْ الْيَوْمَ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ **«القلبِ السَّليمِ»**.

أَيُّهَا النَّاسُ إنَّ إِصْلَاحَ الْقُلُوبِ مِنَ الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ، والْمَقَاصِدِ السَّامِيَةِ، لِأَنَّ الْقَلْبَ مَحَلُّ نَظرِ اللهِ ـ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ﴾ (الأحزاب :51).

في «صَحيحِ مُسْلِمٍ»[1] من حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : **«إِنَّ اللهَ ـ تَعَالَى ـ لَا يَنْظُرُ إِلى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»**.

---

(1) رواهُ مُسْلمٌ (2564).

وَصَلاحُ الْجَوَارِحِ بِصَلَاحِ الْقَلْبِ كَمَا فِي «الصَّحيحيْنِ»[1] من حديثِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشيرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «... **أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجسدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ**».

وَلَا يَسْتَقِيمُ إِيمانُ عَبْدٍ حتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ فَفِي مُسْنَدِ أَحمدَ بسندٍ حَسنٍ حَسَّنَهُ الألبانيُّ في «صَحيحِ التَّرغيبِ والتَّرهيبِ»[2] من حديثِ أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : «**لَا يَسْتَقِيمُ إِيمانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يستقيمَ لِسَانُهُ**».

قَالَ ابْنُ رجبٍ رَحِمَهُٱللَّهُ : «فأَصْلُ الاِسْتَقَامَةِ اسْتِقَامَةُ الْقلبِ عَلَى التَّوحِيدِ، فمتَى اسْتَقامَ الْقَلْبُ عَلَى معرفَةِ اللهِ وَعَلَى خَشْيَتِهِ، وَإِجْلَالِهِ، وَمَهَابَتِهِ، وَإِرَادَتِهِ، وَرَجَائِهِ وَدُعائِهِ، والتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالْإِعْرَاضِ عمَّا سِوَاهُ اسْتَقَامَتِ الْجَوارِحُ كُلُّهَا»[3].

وَالْقَلْبُ كثيرُ التَّقَلُّبِ فَفِي مُسندِ أَحمدَ بسَنَدٍ صحيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلبَانيُّ في «الصَّحيحَةِ»[4] من حديثِ الْمِقْدَادِ بْنِ الأسْوَدِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ: لَا أَقُولُ فِي رَجُلٍ خَيْرًا وَلَا شرًا حتَّى أنظرَ بِمَا يُخْتَمُ لَهُ - يَعْنِي بَعْدَ شَيءٍ سَمِعْتُهُ مِنَ النَّبيِّ ﷺ قِيلَ: وَمَا سَمِعْتَ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ أَشَدُّ انْقِلَابًا مِنَ الْقِدْرِ إِذَا اجْتَمَعتْ غَلَيَانا**».

قَالَ ابْنُ الْقيِّم رَحِمَهُٱللَّهُ : «وهَذَا مِنْ أَحْسَنِ الْأَمْثَالِ وَأَبْلَغِهَا وَأَعْظَمِهَا تَقْرِيبًا لِلْأَفْهَامِ»[5].

(1) قِطعةٌ مِنْ حديثٍ رواه البخاريُّ (52)، ومُسْلمٌ (1599).
(2) «**حَسَنٌ**» رَواهُ أَحمدُ (3/198) وَحَسَّنهُ الْألبانيُّ في «صحيح الترغيب» (2554).
(3) «جامعُ الْعلومِ والحكمِ» (1/511 - 512).
(4) «**صَحيحٌ**» رَواهُ أَحمدُ (6/4) وصحَّحَهُ الْألبانيُّ بِطُرقِهِ في «الصحيحةِ» (1772).
(5) «أَعْلامُ الموقِّعِينَ» (1/295).

وقال الشاعر:

مَا سُمِّيَ الْقلبُ إِلَّا مِنْ تَقلُّبِهِ ○●○ فَاحْذرْ عَلَى الْقَلبِ مِنْ قَلْبٍ وَتَحْوِيلِ

وَيُصوِّرُ لنا النَّبيُّ ﷺ الْقَلبَ كَرِيشةٍ في مَهَبِّ الرِّيحِ.

فَفِي مُسنَدِ أحمدَ وَسُنَنِ ابْنِ مَاجَه بسندٍ صَحيحٍ صَحَّحَهُ الألْبانيُّ في «صحيحِ سُنَنِ ابْنِ مَاجَه»[1] من حديثِ أَبِي مُوسَى الْأشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ هَذا الْقَلب كَرِيشةٍ بِفَلاةٍ مِنَ الْأَرْضِ يُقِيمُهَا الرِّيحُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ**».

وَلَمَا كانَ القلْبُ - أَيُّهَا النَّاسُ - بهذِهِ الحَالَةِ كَانَ عُرْضَةً لِلْفِتَنِ.

فَفِي «صحيحِ مُسْلمٍ»[2] من حديثِ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**تُعْرضُ الفِتَنُ عَلَى الْقُلوبِ كَعَرْضِ الحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فأيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نِكتَتْ فِيْهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنكرَهَا نُكِتَتْ فِيهِ نكتةٌ بيضاءُ، حتَّى تَعودَ القُلُوبُ عَلَى قَلْبَيْنِ: قَلْبٍ أَسْوَدَ مِرْبادًا كالكُوزِ مُجْخِيا (أَيْ: كالْإِنَاءِ مَكْبُوبًا منكُوسًا) لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا ولَا يُنكِرُ مُنكرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ، وقَلْبٍ أَبْيَضَ، فَلَا تضرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ والْأَرْضُ**».

فالْقَلْبُ السَّالِمُ مِنْ تِلْكَ الْفِتَنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ الْقَلبُ السَّلِيمُ الَّذِي يَنْفَعُ صَاحِبَهُ يَومَ الْقِيَامَةِ.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ (الشعراء: 88-89).

ولِلْقَلبِ السَّلِيمِ عَلامَاتٌ يُعْرَفُ بِهَا.

---

(1) «**صَحيحٌ**» رَواهُ أَحمدُ (4/419)، وابْنُ مَاجَه (88) وصحَّحَهُ الْألبانيُّ في «صحيحِ ابنِ مَاجَه» (71).

(2) رَواهُ مُسْلمٌ (144).

فَمِنْ عَلاماتِ القلْبِ السَّلِيمِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنْ يكونَ سَالِمًا مِنْ مَحبةِ مَا يَكرهُهُ اللهُ، فدخلَ فِي ذلكَ سَلَامَتُهُ مِنَ الشِّركِ الجَلِيِّ والخفيِّ، ومِنَ الْأَهْوَاءِ والْبِدَعِ، ومِنَ الْفُسُوقِ والْمَعَاصِي ـ كبائرِهَا وَصَغَائِرِهَا الظَّاهِرةِ والبَاطِنةِ، كالرِّياءِ والْعُجْبِ، والغِلِّ والحقْدِ، والحَسَدِ، وَغَيرِ ذَلِكَ[1].

فَفِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَه بسَندٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيَّ في «الصَّحيحيْنِ»[2] من حديثِ عَبدِ اللهِ بنِ عَمْرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قيلَ لِرَسولِ اللهِ ﷺ: أيُّ الناسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**كُلُّ مَخْمُومِ القلب صدوق اللسان**» قالوا: صادقون اللِّسَانُ نَعرفُهُ، فَمَا مخمومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «**هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ وَلَا غِلَّ ولَا حَسَدَ**».

قَالَ ابنُ القيمِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَا الْقَلبُ أَحبُّ الْقُلُوبِ إِلَى اللهِ وأَكْثَرُهَا خَيْرًا، تَنْبُعُ مِنْهُ عُيُونُ الخيرِ، وتَنْفَجِرُ مِنْهُ يَنَابِيعُ الْبِرِّ، ومبارُّ الله ونِعَمُهُ تغشاهُ عَلَى الدَّوَامِ»[3].

ومِنْ عَلَامَةِ الْقَلْبِ السَّلِيم ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنْ يَرتَحِلَ عَنِ الدُّنْيَا حتَّى يَنْزِلَ بِالْآخِرَةِ، وَيَحِلَّ فِيهَا حتَّى يَبْقَى كَأَنَّهُ مِنْ أَهْلِهَا وَأَبْنَائِهَا جَاءَ إِلَى هَذَا الدارِ غريبًا يأْخُذُ مِنْهَا حَاجَتَهُ ويَعُودُ إِلى وَطَنِهِ.

فَفي «صحيحِ الْبُخَاريِّ»[4] من حديثِ عَبدِ اللهِ بنِ عَمْرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخَذَ رسُولُ اللهِ ﷺ بمنكِبِي فقَالَ: «**كُنْ فِي الدُّنيَا كأَنَّكَ غريبٌ أَو عَابِرُ سَبِيلٍ**».

ومِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيم ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّهُ لا يزَالُ يضرِبُ عَلَى صَاحِبه حَتَّى يَعُودَ إِلى اللهِ ويُخْبِتَ إِليْهِ ويتعلقَ بِهِ تعلُّقَ المحب المضْطرِ إِلَى مَحْبُوبِهِ، الَّذِي لَا حَيَاةَ لَهُ

---

(1) شرحُ حديثِ شَدَّادِ بن أَوْسٍ (ص14) لابْنِ رَجَب رَحِمَهُ اللَّهُ.

(2) «**صَحيحٌ**» رَواهُ ابْنَ مَاجَه (4216)، وصحَّحَه الألباني في «صحيحِ سُنَنِ ابنِ مَاجَه» (3397).

(3) «طَرِيقُ الهجرتَينْ» (ص606).

(4) رَواهُ البُخَارِيُّ (6416).

وَلَا نعيمَ ولا سُرورَ إِلَّا بِرِضَاهُ وقُرْبِهِ والْأُنْسِ بِهِ فَبِهِ يَطْمئنُّ، وَإِلَيْهِ يَسْكُنُ وَإِلَيْهِ يَأْوِي، وبه يفرَحُ، وعليْهِ يتوكَّلُ وبِهِ يثِقُ وَإِيَّاهُ يرجُو، ولَهُ يخافُ[1].

قَالَ ابنُ القيمِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَيَالَهُ مِنْ قَلْبٍ، مِنْ رَبِّهِ مَا أَدْنَاهُ!، وَمِنْ قُرْبِهِ مَا أَحْظاهُ!»[2].

و قَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قَدْ نالَ غذاءَهُ وَدواءَهُ، وشِفَاءَهُ، ونورَهُ وقوتَه، ولذَّتَهُ ونعيمَهُ ما هُوَ أجلُّ أنْواعُ النعِيم، وأَطيبُ الطَّيِّبَاتِ وأَعظمُ اللَّذَّاتِ».

قالَ اللهُ ـ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ ـ: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ (النَّحۡلِ: 97)[3].

ومِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيم ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّه لا يفتُرُ عَنْ ذكرِ ربِّه ولا يسأمُ مِنْ خدمتِهِ، ولا يأْنسُ بغيْرِهِ إِلَّا بمَنْ يدلُّهُ عليْهِ، وَيذكرهُ بِهِ.

ومِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيم ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّهُ إِذَا عُرضتْ علَيْهِ القبائحُ نفرَ مِنْهَا بِطبعِهِ، وأبْغضَهَا ولَمْ يلتفِتْ إليهَا[4].

ومِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيم ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ مَا ذكرَهُ ابنُ القيمِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَنَّهُ إِذَا فاتتْهُ طاعةٌ مِنَ الطَّاعاتِ، وجدَ لِفواتِها أَلَمًا أعظمَ مِنْ تألُّمِ الْحرِيصِ بِفَواتِ مَالِهِ»[5].

ومِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيم ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّهُ يَشتاقُ لِطَاعةِ ربِّهِ كمَا يَشتاقُ الجائعُ إِلى الطعامِ والشَّرابِ.

---

(1) انْظرْ «إِصلاحُ القُلُوبِ» لعَبْدِ الهَادِي بنِ حَسنٍ وَهْبي .... (ص24) وقد استفدْتُ منه في إِعْدَادِ هذِهِ الْخُطْبَةِ ـ جَزَاهُ الله خيْرًا ـ.

(2) «طَرِيقُ الهجرتَيْنْ» (379).

(3) «مفتاح دار السعادة» (1/182).

(4) «موارِدُ الأمانِ» (ص55).

(5) «إِغاثَةُ اللَّهفانِ» (ص79).

ومِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيم ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّهُ إِذَا دخلَ في الصَّلاةِ ذَهبَ عَنْهُ همُّهُ وغمُّهُ بالدُّنيا.

فَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَندٍ صَحيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلبانيُّ في «مِشكَاةِ المْصَابيح»[1] عَن سَالمِ بْنِ أَبِي الجَعدِ قَالَ: قالَ رجلٌ مِن خُزاعَةَ: ليتَنِي صَلّيْتُ فاسْترحْتُ فكأنَّهمْ عَابُوا عليْه فقالَ: سمعْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**أَقِمِ الصَّلاةَ يا بلالُ أَرِحْنَا بِهَا**».

ومِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيم ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنْ يكونَ همُّهُ وَاحِدًا وَأنْ يكونَ في اللهِ ـ تعالى ـ فيصبحُ ويمسِي وليسَ لهُ همٌّ غيرُ رِضَا رَبِّهُ.

ومِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيم ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنْ يكونَ أشحَّ بوقتِهِ مِنْ أَنْ يذهبَ ضَائعًا لِأَنَّ إِضَاعةَ الوقتِ تقطعُهُ عَنِ الخالقِ والدَّارِ الآخِرَة.

فَفِي «صحيحِ الْبُخَاريِّ»[2] من حديثِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «**نِعمتانِ مغبونٌ فيهما كثيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحةُ والْفراغُ**».

ومِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيم ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنْ يكونَ اهتمامُهُ بتصحيحِ الْعملِ أعظمَ مِنِ اهتمامِهِ بالْعملِ فيكونُ الحاملُ لهُ على الطاعةِ ابتغاءَ وجهِ ربِّه الْأعلى فيقومُ بِهَا على أَحْسنِ الوجوهِ قَدْ حققَّ فيهَا الْمتَابعةَ والاقْتِدَاءَ بالنَّبيِّ ﷺ وَهُوَ مع ذلِكَ كلِّه يَخافُ أنْ لَا يُتقبلَ مِنْهُ.

ففي سُننِ التِّرمِذيِّ بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ سُنَنِ التِّرمذيِّ»[3] مِنْ حديثِ عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: سَأَلْتُ رسولَ اللهِ ﷺ عَنْ هذهِ الآيةِ؟ ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ (المؤمنون: 60).

---

(1) «**صَحيحٌ**» رواهُ أبو داودَ (4985) وصحَّحَه الألبانيُّ في «المشكاةِ» (1/278).

(2) رَواهُ البُخَارِيُّ (6412).

(3) «**صَحيحٌ**» أخرجَهُ التِّرمذيُّ (3175)، وصحَّحَهُ الْألبانيُّ في «صحيحِ التِّرمذيِّ» (3/787).

قَالتْ: أَهُمُ الَّذينَ يَشربونَ الخمرَ ويسرقونَ؟ قَالَ: «**لَا يا بنْتَ الصديقِ، ولكنَّهُمُ الَّذينَ يَصُومونَ ويُصَلونَ ويتصدقُونَ وهُمْ يخافونَ أَلَّا يتقبلَ منهُمْ أُولئكَ الَّذينَ يُسارِعونَ في الخيراتِ وَهمْ لَهَا سَابِقُونَ**».

فهذهِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَلَاماتُ الْقلبِ السَّليمِ فَلهُ النَّعيمُ المقيمُ والعيشُ السَّليمُ في جوارِ ربِّ العالَمينَ.

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ (الشعراء: 88-89).

وقالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ ﴾ (الصافات: 83-84).

وأَسْتَغفرُ اللهَ.

الخُطْبَةُ الثانية ـ صوَرٌ مُشرِقَةٌ لأصحابِ القَلْبِ السَّليمةِ :

الْحَمْدُ للهِ ربِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أَمَّا بَعدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ «**القلبِ السَّليمِ وعلَامتِهِ**» والآنَ حديثِي مَعَكُمْ عَنْ سُنَنِ «**صورٍ مشرقةٍ لِأَصحابِ القلوبِ السَّليمةِ**».

فَمِنْ تِلكَ الصُّورِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ ما جاءَ في «صحيحِ مُسْلمٍ»[1] من حديثِ عَامرِ بْنِ سعدٍ قَالَ: كانَ سعدُ بنُ أبي وقاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في إبلِهِ فجاءَهُ ابْنَهُ عمرُ فلمَّا رَآهُ سَعْدٌ قَالَ: أعوذُ باللهِ مِنْ شرِّ هَذا الراكبِ. فنَزَلَ، فقالَ لَهُ: أَنَزلْتَ في إِبِلكَ وغَنَمِكَ وتركْتَ الناسَ يتنازَعُونَ الملكَ بَيْنَهُمْ؟

فضربُ سعدٌ في صدْرِهِ فقالَ: اُسْكُتْ سَمعْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقُولُ: «**إنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعبدَ التَّقيَّ الغنيَّ الخَفِيْ**».

قَالَ النوَويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «والخفيُّ: معناهُ الخامِلُ المنقطعُ إِلى الْعِبادَةِ، والاشتغالِ بأمورِ نفسِهِ»[2].

فتأملُوا ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ كيفَ أنَّ صَاحبَ الْقلبِ السَّليمِ لَا يُحبُّ الظهورَ ولا يتصدَّرُ لشيءٍ؛ لأَنَّ أهمَّ ما عندَهُ هو محبَّةُ اللهِ لهُ وَرضَا اللهِ عنهُ.

وهكذا أصحابُ رسولِ اللهِ لا يُحبونَ أَنْ يُشارَ لهُمْ بين النَّاسِ بالْبَنَانِ أو يتحدثَ النَّاسُ عنْهُمْ لِسَلامَةِ قلوبِهِمْ.

---

(1) رَواهُ مُسْلمٌ (2965).

(2) «شرحُ النَّوويِّ عَلى مُسْلِم» (18/1001 -1002).

أخرجَ البخاريُّ في«الأدبِ المفردِ» بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيَّ في «صحيحِ الأدبِ المفردِ»[1] عن عَلِيِّ بنِ أرطأَةَ قالَ: كانَ الرجلُ مِنْ أَصحابِ النَّبيِّ ﷺ إذا زُكِّيَ قَالَ: اللَّهُمَّ لَا تُؤاخِذْنِي بِمَا يقُولونَ، واغْفِرْ لي مَا لَا يَعْلَمُونَ.

وَفي «صحيحِ البخاريِّ»[2] من حديثِ عَمْرو بن مَيْمُونِ الطَّوِيلِ (لَمَّا طُعِنَ عُمرُ بنُ الخطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) جاءَ رجلٌ شابٌّ فقالَ: أَبْشِرْ يا أَمِيرَ الْمؤْمِنينَ بِبُشْرَى اللهِ لكَ مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقدَم في الْإسْلامِ ما قْد علمتَ ثُمَّ وُلِّيتَ فعدلْتَ ثُمَّ شَهادةٌ قالَ: وَدَدْتُ أَنَّ ذلِكَ كَفَافًا لَا عليَّ ولَا لِي فلَمَّا أَدْبَرَ إِذ إِزَارُهُ يَمَسُّ الأرضَ قَالَ: رُدُّوا عَلَيَّ الْغلامَ، قالَ: ابنَ أَخِي! ارْفعْ ثَوبَكَ، فإِنَّهُ أَنْقَى لثوْبِكَ وأَتقَى لِربِّكَ.

فَعُمرُ الفارُوقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ صَاحِبُ الْقَلْبِ السَّلِيمِ لَمْ يَتْرِكِ الْأَمْرَ بالْمعروفِ والنَّهيَ عنِ المنكرِ، في هَذَا الموطِنِ، اِمْتِثالًا لِقولِ النَّبيِّ ﷺ كما في «صحيحِ مُسْلمٍ»[3] من حديثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «**مَنْ رَأَى منكُمْ مُنكرًا فلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يستطعْ فَبِلسانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقلْبِهِ وذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**».

وَفي هَذا الْحديثِ يَقولُ شيخُ الْإسْلَامِ ابْنُ تيميَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ : «فَإِن لَمْ يكُنْ في الْقلبِ إِنْكَارُ مَا يكرهُهُ (اللهُ) وَيُبْغِضُهُ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِيمَانٌ»[4].

وَمِنْ تلكَ الصُّورِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ مَا جَاء في «صحيحِ البخاري» عَنْ مُحمدِ بنِ الحنيفيَّةِ قالَ: قلتُ لِأَبِي (عليّ بنِ أَبِي طَالبٍ): أَيُّ النَّاسِ خَيرٌ بعدَ رَسولِ اللهِ ﷺ ؟

---

(1) «**صَحيحٌ**» أخرجَه البخاريُّ في «الأدبِ المفردِ» (761) وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الْأَدَب المفردِ» (589).

(2) رَواهُ الْبخَاريُّ (3700) في حديثٍ طويلٍ.

(3) رَواهُ مُسْلمٌ (49).

(4) «الاستقامة» (2/36).

قالَ: أَبُو بكرٍ، قلتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ ـ وَخَشيتُ أَنْ يقُولَ عثمانُ ـ قُلتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رجُلٌ مِنَ المسلمينَ.

وَمِنْ تلكَ الصُّوَرِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ ما جاءَ في «صحيحِ مسلم»[1] من حديثِ أُسَيْرِ بن جابرٍ، قالَ: كانَ عمرُ بنُ الخطابِ إذا أتى عليْهِ أَمدادُ أَهلِ الْيمنِ، سألَهُمْ: أفيكمْ أويسُ ابْنُ عامرٍ؟ حتَّى أتى على أُوَيسٍ قالَ: أَنْتَ أُوَيسُ ابْنُ عامرٍ؟ قالَ: نَعمْ.

قالَ: مِن مُرادٍ ثُمَّ مِنْ قرنٍ؟ قالَ: نَعمْ.

قالَ: فكانَ بِكَ برصٌ فَبرأْتَ منْهُ إِلا موضعَ دِرْهمٍ؟ قالَ: نَعمْ.

قالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**يأْتِي عليكُمْ أويسُ بْنُ عَامرٍ مَعَ أَمدادِ أَهْلِ الْيمنِ مِنْ مُرادٍ ثُمَّ مِنْ قَرنٍ، كانَ بِهِ بَرصٌ فَبرأَ مِنْهُ إِلَّا مَوضعَ دِرهمٍ، لَهُ والدةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَو أَقْسمَ عَلى اللهِ لأَبَرَّهُ فَإِن اسْتَطَعْتَ أَنْ يستغفرَ لكَ فافعلْ**». فاستغْفِرْ لِي فاسْتَغْفرَ لَهُ.

فقالَ له عمرُ: أَيْنَ تُريدُ؟ قالَ: الكُوفَةَ.

قالَ: أَلا أَكتبُ لكَ إِلى عامِلِها؟ قَالَ: أكونُ فِي غَبْراءِ النَّاسِ أَحبُّ إِليَّ.

فَانظرُوا ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ إِلى قَولِ صَاحبِ الْقَلبِ السَّليمِ أُوَيسٍ الْقرنيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أكونُ فِي غبراءِ الناسِ أَحبُّ إِليَّ.

وَغبراءُ الناسِ هُمْ ضِعفاؤهم وَصعاليكُهُمْ وأَخْلاطُهُمْ الَّذِينَ لَا يُؤْبَهُ لَهُمْ وهذا مِن إيثارِ الخمُولِ وكتْمِ حَالِه كمَا قَالَ النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ[2].

اللَّهُمَّ تولَّنا بلطفِكَ وَمُنَّ عَلَيْنا بقلُوبٍ سَليمةٍ طاهِرةٍ خَاشِعَةٍ لَيْنَةٍ رَقيقَةٍ نَقِيَّةٍ.

---

(1) رَواهُ الْبُخَارِيّ (3671).

(2) «شرحُ النَّوويّ على مُسْلمٍ» (16/77 – 78).

9 الفرجُ بعدَ الشِّدَّةِ

الخُطْبَةُ الأُولى :

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ (آل عمران : 102).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ (النساء : 1).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب :70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ـ ﷺ ـ ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ ـ حَدِيثي مَعَكُمْ الْيَوْمَ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ **«الْفَرجُ بَعْدَ الشِّدَّةِ»**.

أَيُّهَا النَّاسُ الْإِنسانُ فِي هذِهِ الحياةِ لَا يَخْلُو من الْاِبتلاءِ، والاخْتبارِ إِمَّا فِي نَفْسِهِ، أَوْ مَالِهِ، أَوْ أَهْلِهِ، أَوْ وَلدِه، أَوْ مَنْ يَعِزُّ عَلَيْهِ.

قَالَ اللهُ ـ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ ـ : ﴿الٓمٓ ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢﴾ (العنكبوت : 1-2).

وَمَعنَى الآيَةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَيْ هَلْ ظَنَّ النَاسُ أَن نتركَهُمْ وشأْنَهُم بمجرَّدِ النُّطقِ بِالشَّهادَتَيْن، وَقَولِهِمْ آمنَّا باللهِ وَرَسولِهِ، دُونَ أَنْ يبتليَهمُ اللهُ ويختبرَ صدقَ إِيمانِهِمْ، بالْهِجرةِ والتكاليفِ الدِّينيَّةِ الأُخرى، والْجِهادِ والمصائِبِ؟

كَلَّا - أَيُّهَا النَّاسُ - فإِنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لَا بُدّ أنْ يبتليَ عبادَهُ المؤمنينَ، بِحسَبِ ما عندَهُمْ مِنْ إيمانٍ كما جَاءَ في سُننِ ابْنِ ماجَه بِسندٍ صَحيح صحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصّحيحة»[1] من حديثِ سَعْدِ بْنِ أَبي وقاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قَالَ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَشَدُّ النَّاسِ بَلاءً الْأَنْبِياءُ ثُمَّ الصَّالِحونَ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فالْأَمثَلُ، يُبتَلَى الرَّجلُ عَلَى حسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ في دِينه قُوَّةٌ زِيدَ لَهُ في الْبَلَاءِ**».

ثُمَّ أَخبرَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أَنَّ الابتلاءَ سنةٌ مَاضِيَةٌ في الْأُممِ قَبْلَنا وَسُنَّةُ اللهِ لَا تَتغيَّر وَلَا تَتبدَّلُ.

قالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝٣﴾ (العَنكبُوت: 2).

ومعنَى الْآيةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَيْ أَنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - امْتَحنَ المؤْمنينَ السَّالِفينَ وعَرَّضَهُمْ لِلْفِتَنِ والاخْتِبارِ، وغايَتُهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - مِنْ هذا الابْتِلاءِ هِيَ أَنْ يمحصَهُمْ فيعلَمَ الذينَ صَدقُوا في دَعْوَى الْإِيمانِ، مِمَّنْ هُمْ كَاذِبُونَ فِي دَعْواهُمْ وَيُجازَى كُلًّا بِما يَسْتَحِقُّهُ[2].

أَيُّهَا النَّاسُ البَلاءُ واقعٌ لَا محالَةَ وَمِن سُنَّةِ اللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أَنَّ الشِّدةَ يَعقبُهَا فَرَجٌ.

قالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧﴾ (الطَّلَاق: 7).

وَمَعنَى الْآيَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أنَّ اللهَ سيجْعَلَ مِنْ بَعدِ الشِّدَّةِ رَخاءً وَمِنْ بَعْدِ الضِّيقِ فَرجًا فالدُّنيا لَا تدُومُ عَلَى حالٍ.

---

(1) «**صَحيحٌ**» أخرجَهُ ابنُ مَاجه (2/371) وقَالَ الألبانيُّ في «الصَّحِيحَةِ»: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(2) انظرْ «أيسرَ التفاسِير» لأَسعد حَومَد (1/3224).

وقالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ : ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾ (الشرح : 5-6).

وَالْمعنى ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ : إنَّ معَ الْعُسْرِ يسْرَيْنِ.

أَيُّهَا النَّاسُ لقَد قَرنَ اللهُ الشِّدةَ بالفَرَجِ فِي أكثرَ مِنْ آيَةٍ.

قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ۝١٥٧ ﴾ (البقرة : 155-157).

وقالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝١٧٣ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾ (آل عمران : 173-174).

وقالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ : ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٤٤ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ﴾ (غافر : 44-45).

وقالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ : ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٤٧ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٤٨ ﴾ (آل عمران : 147-148).

أَيُّهَا النَّاسُ كَمْ لِتفْرِيج الكَرْبِ بَعْدَ الشِّدَّةِ مِنْ صُوَرٍ مَبْثُوثةٍ في الكتَابِ والسُّنَّةِ وَسَوْفَ أذكُرُ طَرَفًا مِنْهَا.

فَمِنْ صُورِ الْفَرَجِ بَعْدِ الشِّدَّةِ تفريجُ اللهِ كَرْبَ نَبِيِّهِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بَعْد شِدَّةٍ شَدِيدَةٍ.

قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ : ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۝٤١ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۝٤٢ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٤٣ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝٤٤ ﴾ (ص : 41-44).

وَمِنْ صُورِ الْفَرَجِ بَعْدِ الشِّدَّةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ تَفْرِيجُ اللهِ كَرْبَ نَبِيِّهِ ﷺ وصَاحِبه فِي الْغَارِ

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (التوبة: 40).

وَمِنْ صُورِ الْفَرَجِ بَعْدِ الشِّدَّةِ تَفريجُ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : كَرْبَ نَبِيِّهِ ﷺ فِي أُمَّتِهِ.

فَفِي «صحيحِ مُسلِمٍ»(1) من حديثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبيَّ ﷺ تَلَا قَوْلَ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ فِي إبراهيم: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ﴾ (إبراهيم: 36).

وقَالَ عيسى ﷺ : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ (المائدة: 118).

فرفع يديه وقال: «**اللهُمَّ أُمتي أُمتي**». وبكى

فقال اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : يا جبريل اذهب إلى محمدٍ ـ وربُّكَ أعْلَمُ ـ فَسَلْهُ ما يُبكيك؟

فأتاهُ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال، وهو أعلم.

فقال الله: يا جبريل، اذهب إلى محمدٍ، فقل: إنَّا سنرضيك في أُمتك ولا نسوؤكَ.

وَمِنْ صُورِ الْفَرَجِ بَعْدِ الشِّدَّةِ تَفريجُ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ كَرْبَ رسوله يوم بدر.

---

(1) رَواهُ مسلم (202).

ففي «الصحيحينِ»[1] من حديثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: إنَّ النَّبيِّ ﷺ كان يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيءُ بسلى جذور بني فلان فيضعها على ظهر محمد إذا سجد؟

فانبعث أشقى القوم فجاء به فنظر حتى إذا سجد النبي ﷺ وضعه على ظهره، بين كتفيه وأنا أنظر لا أغني شيئًا لو كانت لي منعة، قال: فجعلوا يضحكون ويميل بعضهم على بعضٍ ورسول الله ﷺ ساجد لا يرفع رأسه، حتَّى جاءت فاطمة، فطرحت عن ظهره، فرفع رسول الله ﷺ رأسه ثم قال: «**اللَّهُمَّ عليك بقريش**» ثلاثِ مرَّاتٍ، فشقَّ عليهم إذ دعا عليهم، قال: وكانوا يرون أنَّ الدَّعوة في ذلك البلد مستجابة.

ثم سمى: «**اللَّهُمَّ عليك بأبي جهلٍ، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط**» وعد السابع فلم نحفظه.

قال: فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عدَّ رسول الله ﷺ صَرْعى في القليبِ قليبِ بدر.

وَمِنْ صُورِ الْفَرَجِ بَعْدِ الشِّدَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَفريجُ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - كَرْبَ بلال بن رباح مؤذن رسول الله ﷺ .

ففي سننِ أبي داود بسندٍ صحيحٍ صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» والوادعي في «الجامعِ الصحيحِ»[2] من حديثِ عبد الله الهوزاني قال: لقيتُ بلالًا مؤذن رسول الله ﷺ بِحَلَب، فقلتُ: يا بلالَ، حدثني كيفَ كانت نفقةُ رسولِ الله ﷺ ؟

---

(1) رَواهُ البخاري (240)، ومسلم (1794).

(2) «**صَحيحٌ**» أخرجه أبو داود (3055)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (2628)، والوادعي في «الجامعِ الصحيحِ» (4/95).

قال: ما كان له شيءٌ، كنتُ أنا الَّذي ألي ذلك منه منذ بَعَثَهُ الله حتَّى تُوُفِّيَ رسول الله ﷺ ، وكان إذا أتاهُ الإنسان مسلمًا فرآه عاريًا يأمُرُني فأنطلق فأستقرض، فاشتري له الْبُردَةَ فأكسُوهُ وأُطْعِمُهُ حتَّى اعترضني رَجُلٌ من المشركين، فقال: يا بِلالُ، إن عندي سَعَةً فلا تستقرض من أحدٍ إلا مني، ففعلتُ فلمَّا أن كان ذات يوم توضأتُ ثُمَّ قمتُ لِأُذِّنَ بِالصَّلاةِ، فإذا المشرك قد أقْبَلَ في عصابةٍ من التُّجَّارِ، فلما أن رآني قال: يا حبشيُّ، قلتُ: يا لَبَّاهُ، فتجهمني وقال لي قولًا غليظًا، وقال لي: أتدري كم بينك وبين الشهر؟ قال: قلتُ: قَرِيبٌ، قال: إنَّما بينك وبَيْنَهُ أربعٌ فأخُذُكَ بالَّذي عليك، فأردُّك تَرْعَى الغَنَمَ كما كُنْتَ قَبْلَ ذلك، فأخذ في نَفْسِي ما يأخُذُ في أنْفُسِ النَّاسِ، حتَّى إذا صلَّيْتُ العتمة رَجَعَ رَسُولُ الله ﷺ إلى أهله، فأستأذنتُ عليه فَأَذِنَ لي، فقلتُ: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي إنَّ المشْرِكَ الَّذي كُنْتُ أتَدَيَّنُ مِنْهُ قَالَ لي: كذا وكذا وليس عندك ما تقضي عني ولا عندي، وهو فاضحي فأذن لي أن ابَقَ إلى بعض هؤلاء الأحياءِ الذين أسلموا حتَّى يَرْزُقَ الله رسُولَهُ ﷺ ما يقضي عني، فخرجتُ حتَّى إذا أتيت منزلي فجعلتُ سيفي وجِرابي ونعلي وَمِجَنِيِّ عند رأسي، حتَّى إذا نشقَّ عَمُودُ الصبح الأوَّلِ، أردتُ أن أنْطَلِقَ فإذا إنسانٌ يسعى يدعو: يا بِلَالُ، أجِبْ رسول الله ﷺ ، فانطلقتُ حتَّى أتيته فإذا أربع ركائِبَ مُنَاخاتٌ عليهِنَّ أحمالُهُنَّ، فاستأذنتُ فقال لي رسول الله ﷺ : «**أَبْشِرْ فَقَدْ جاءَكَ اللهُ بِقَضَائِكَ**» ثُمَّ قال: «**ألم تَرَ الرَّكَائِبَ المنَاخَاتِ الأَرْبَعَ؟**». فقلتُ: بَلَى، فقال: «**إنَّ لَكَ رِقَابَهُنَّ وَمَا عَلَيْهِنَّ، فإنَّ عَلَيْهِنَّ كِسْوَةً وطعامًا أَهْدَاهُنَّ إِلَيَّ عَظِيمُ، فَدَكَ فاقْبِضْهُنَّ واقضِ دَيْنَكَ**». فَفَعَلْتُ فَذَكَرَ الحديث، ثُمَّ انْطَلَقتُ إلى المسجدِ، فإذا رسول الله قاعدٌ في المسجدِ، فَسَلَّمْتُ عليه فقال: «**ما فَعَلَ ما قِبَلَكَ؟**»، قُلْتُ: قَدْ قَضَى الله كل شيءٍ كان على رسول الله ، فلم يَبْقَ شيءٌ، قَالَ: «**أَفَضَلَ شَيْءٌ؟**» قُلْتُ: نَعَمْ، قال: «**انْظُرْ أَنْ تُرِيحَنِيَ مِنْهُ فَإِنِّي لَسْتُ بِدَاخِلٍ على أحدٍ من**

أهلي؛ حتَّى تُرِيحَني مِنْهُ» فلمَّا صلى رسول الله ﷺ العَتمَةَ دعاني، فقال: «**ما فَعَلَ الذي قِبلَكَ؟**» قال: قُلْتُ: هُوَ مَعِيْ، لَمْ يأْتِنا أحَدٌ فباتَ رسولُ اللهِ ﷺ في المسجدِ، وقصى الحديث حتَّى إذا صلَّى العتمة ـ يعني مِنْ الغد ـ دعاني قال: «**ما فَعَلَ الَّذي قِبلَكَ؟**» قال: قُلْتُ: قَدْ أراحَكَ الله مِنْهُ يا رسول الله، فكبَّرَ وَحَمِدَ الله شفقًا مِنْ أنْ يدركَه الموتُ وعنده ذَلِكَ، ثم أتَبَّعْتُهُ حتَّى إذا جاءَ أزواجَهُ فَسَلَّمَ على امرأةٍ امرأةٍ، حتَّى أتى مَبِيتَهُ؛ فهذا الَّذي سألْتَنيْ عَنْهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ تِلْكَ الصُّوَرُ ما هي إلَّا قَطْرَةٌ من مَطْرةٍ وإلَّا فالصُّورُ بحاجةٍ إلى أَنْ أَقومَ فيكمْ مَقاميَ العُمْرَ كلَّهُ وقدْ يأتيْ الموتُ قبلَ أَنْ أنتهيَ منهُ.

قالَ ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وَكَمْ قَصَّ ـ سُبْحَٰنَهُۥ ـ قَصَصَ تَفْرِيجِ كُرُباتِ أنْبيائِهِ عِنْدَ تَنَاهيْ الكروبِ كإنجاءِ نوحٍ ومنْ مَعَهُ في الفُلْكِ، وإبراهيمَ مِنَ النَّارِ، وفِدائِهِ لولده الذي أُمِرَ بذبْحِهِ، وإنجاءِ موسى من اليَمِّ، وإغراقِ عَدوِّهمْ، وقصَّةِ أيُّوبَ، ويُونُسَ، وقَصَصِ محمدٍ ﷺ مَعَ أعْدائِهِ، وإِنْجائِهِ منْهُمْ كَقِصَّتِهِ في الغارِ، ويومَ بدرٍ ويومَ أُحُدٍ ويومَ الأحزابِ ويومَ حنينٍ وغَيْرِ ذلِكَ»[1].

يا صاحبَ الهمِّ إنَّ الهمَّ منْفَرِجٌ ○●○ أَبْشِرْ بخيرٍ فإنَّ الفارجَ اللهُ
اليأسَ يَقْطَعُ أحيانًا بصاحِبِهِ ○●○ لَا تيْأَسَنَّ فإنَّ الكافيَ اللهُ
اللهُ يُحْدِثُ بعد العُسْرِ مَيْسَرةً ○●○ لا تَجْزَعنَّ فإنَّ الصَّانعَ اللهُ
إذا بُلِيْتَ فثقْ باللهِ وارضَ بِهِ ○●○ إنَّ الَّذيْ يَكْشِفُ البَلْوى هو اللهُ
واللهِ مالكَ غيرُ اللهِ من أحدٍ ○●○ فحيُكَ اللهُ في كلٍ لَكَ اللهُ

وأستغفر الله.

---

(1) «جامع العلوم والحكم» (186).

الخُطْبَةُ الثَّانيةُ ـ أسبابُ الفَرَجِ بَعْدَ الشِّدَّةِ :

الْحَمْدُ للهِ ربِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أَمَّـا بَعدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ «**الْفَرَجِ بَعْدَ الشِّدَّةِ**» والآنَ حديثِي مَعَكُمْ عَنْ «**أسبابِ الفرجِ بعد الشِّدَّةِ**».

أَيُّهَا النَّاسُ إِذَا كانَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ قدْ وَعَدَ بالفرجِ بعدَ الشِّدَّةِ وباليسرِ مَعَ العُسْرِ وبَعْدَه فلا يتنافى ذلكَ مَعَ الأَخْذِ بالأسبابِ التي نرجوْ بها تعجيلَ اليُسْرِ بَعْدَ العُسْرِ، والفرجِ بعدَ الشِّدَّةِ فاللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ يقولُ: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (الذاريات : 22). وَمَعَ ذلكَ نأخذُ بأسبابِ الرِّزْقِ وكذلكَ أسبابِ الرَّحمةِ الَّتي نرجوْ بِها دخولَ الجنَّةِ

بلْ قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (هود : 6).

وَمَعَ ذلكَ قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ (الملك : 15)[1].

فمِنْ أسبابِ الفَرَجِ بعدَ الشِّدَّةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ تقوى الله ـ عزَّ وَجَلَّ ـ .

قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق : 2-3).

قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «أَيْ منْ يتَّقِ اللهَ فيما أَمَرَهُ، وَترَكَ ما نهاهُ عنهُ، يجعلْ لَهُ من أمرِهِ مخرجًا، ويَرْزُقْهُ من حيثُ لا يَحْتَسِبُ، أَيْ مِن جِهَةٍ لا تَخْطُرُ ببالِهِ»[2].

(1) انظر «الفرجُ بعدَ الشِّدَّةِ» لأحمد فريد (ص37).

(2) «تفسير ابن كثير» (8/146).

وقالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۝٤﴾ (الطَّلَاق : 4).

قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «أَيْ: يُسَهِّلُ أَمْرَهُ، ويُيَسِّرُهْ عليهِ، ويَجْعَلُ لَهُ فَرجًا ومخْرجًا عاجلًا»[1].

ومِنْ أسبابِ الفَرَجِ بعدَ الشِّدَّةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ التَّعرُّفُ إلى اللهِ في الرخاءِ.

ففي سُنَنِ التِّرمِذِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الألبانيُّ في «ظِلالِ الجنَّةِ»[2] من حديثِ ابنِ عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: كنتُ خلفَ النَّبيِّ ﷺ يومًا فقالَ لي: «**يا غُلامُ إنِّي أعلِّمُكَ كلماتٍ، اِحْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أمامَك، تعرَّفْ إلى اللهِ في الرَّخاءِ يَعْرِفْكَ في الشدةِ، واعلمْ أنَّ ما أَخْطَأَكَ لم يكنْ لِيُصِيبَكَ، وما أصابَكَ لم يكنْ لِيُخْطِئَكَ، واعلمْ أنَّ النَّصرَ مع الصَّبرِ، وأنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وأنَّ مَعَ العُسرِ يُسرًا**».

قال ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «قولُهُ: «**تعرَّفْ إلى اللهِ في الرَّخاءِ يَعْرِفْكَ في الشدةِ**» ليسَ المرادُ بالمعرفةِ المعرفةَ العامَّةَ التي هي الإقرارُ والتصديقُ والإيمانُ، وإنمَّا المرادُ المعْرِفةُ الخاصَّةُ التي تقْتضيْ ميلَ القلبِ إلى اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ والانقطاعَ إليهِ، والأُنْسَ بهِ والطمأنينةَ بذِكْرِهِ، والحياءَ منْهُ، والهيبةَ لَهُ»[3].

ومِنْ أسبابِ الفَرَجِ بعدَ الشِّدَّةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ التوكُّلُ على اللهِ.

قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ (الطَّلَاق : 3).

قال ابن عَجيبةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «أَيْ يَكِلُ أَمْرَهُ إليهِ من غيرِ تعلُّقٍ بغيرٍ ولا تدبيرِ نَفْسٍ ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾. كافيْهِ في جميعِ أُمورِهِ»[4].

---

(1) «تفسير ابن كثير» (8/146).

(2) «**صَحِيحٌ**» أخرجه الترمذي (2/84) وصححه الألبانيُّ في «المشكاة» (5302).

(3) «جامع العلوم والحكم» (179).

(4) «البحر المديد» (8/99).

قال ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندَ شرحِهِ لحديثِ ابنِ عباسٍ المتقدمِ: «ومِنْ لطائفِ أسرارِ اقترانِ الفرجِ بالكربِ واليُسرِ بالعُسرِ أنَّ الكربَ إذا اشْتَدَّ وعَظُمَ وتناهى، وحَصَلَ للعبدِ اليأسُ مِنْ كَشْفِهِ مِنْ جِهةِ المخلوقين تَعَلَّقَ قلبُهُ باللهِ وَحْدَه، وهذا هو حقيقةُ التوكُّلِ على اللهِ، وهو من أعظمِ الأسبابِ التي تُطلبُ بِها الحوائجُ فإنَّ اللهَ يكفيْ مَن توكَّلَ عليهِ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ »[1].

ومِنْ أسبابِ الفَرَجِ بعدَ الشِّدَّةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ الدُّعاءُ مع الاضْطِرارِ.

قالَ اللهُ ـ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ ـ : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ (النَّمۡلِ : 62).

والمضْطَرُّ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ هو مَنْ نَزَلتْ بِهِ شدةٌ من شدائدِ الزمانِ.

قال القرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «ضَمِنَ اللهُ إجابةَ المضطرِّ إذا دعاهُ وأخبرَ بذلكَ عنْ نَفْسِهِ، والسببُ أنَّ الضرورةَ إليهِ باللَّجْأِ، منشأٌ عَنِ الإخلاصِ، وقَطْعِ القلب عمَّنْ سواهُ»[2].

اللَّهُمَّ فقِّهْنا في ديننا وزدْنا علمًا وهدىً وصلاحًا ولا تَكِلْنا إلى أنفسِنا طرفةَ عينٍ.

---

(1) «جامع العلوم والحكم» (187).

(2) «تفسير القرطبي» (13/222).

10 الاعْتداءُ في الدُّعاءِ

الخُطْبَةُ الأُولى :

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ (آل عمران : 102).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ (النساء : 1).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب :70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ـ ﷺ ـ ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ ـ حَدِيثي مَعَكُمْ الْيَوْمَ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ **«الاْعتداءِ في الدُّعاءِ»**.

أيُّها النَّاسُ الدعاءُ أعظمُ أنواعِ العبادات لَا بَلْ هُو العبادةُ لما في سُنَنِ التِّرمذيِّ بسَنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ التِّرمذيِّ»[1] من حديثِ النعمانِ بنِ بشرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عَنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «**الدُّعاءُ هو العبادةُ**». ثُمَّ قَرَأَ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ (غافر : 60).

(1) انظر «الاعتداء في الدعاء» لهيثم حيدر فقد استفدتُ منه في إعداد هذه الخطبة جزاه الله خيرًا.

قال الشَّوْكانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «دلَّتِ الآيةُ الكريمةُ على أنَّ الدعاءَ مِنَ العبادةِ فإنَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ أَمَرَ عِبادَهُ أن يَدْعُوْهُ ثُمَّ قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ ؟ فأفادَ ذلكَ أنَّ الدعاءَ عبادةٌ وأنَّ تَرْكَ دعاءِ الرَّبِّ استكبارٌ ولا أقْبَحَ مِنْ هذا الاسْتِكْبارِ».

أَيُّهَا النَّاسُ لمَّا كانَ الدعاءُ بهذِهِ المَنْزِلَةِ العظيمة حَرَصَ الشيطانُ الرجيمُ على إفْسادِهِ إِمَّا بالزِّيادةِ فيهِ أو النَّقْصِ منْهُ فإنَّهُ تَوَعَّد بالقُعُودِ للمسلمِ في طريقِ الحقِّ كما قال اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ حاكيًا عنْهُ: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ (الأعراف : 16).

وقال اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ حاكيًا عنْهُ: ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾﴾ (النساء : ١١٨).

ولمْ يَكُنِ اللهُ لِيُسَلِّطَ علينا الشَّيطانَ لولا أنَّنا أطعْناهُ واسْتجبْنا لَهُ كما قال اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ (سبأ : ٢٠).

والمعنى ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ لَقَدْ ظَنَّ إبليسُ ظَنًّا غيرَ يقينٍ أَنَّهُ سَيَظِلُّ بنيْ آدمَ وأنَّهمْ سَيُطيعونَهُ في مَعْصِيتِهِ اللهِ، فصدَّقَ ظَنَّهُ عليهمْ، فأَطاعوهُ وعَصَوْا ربَّهمْ إلَّا فَريقًا من المؤمنين باللهِ، فإنَّهمْ ثَبَتُوا على طاعَةِ اللهِ[1].

أَيُّهَا النَّاسُ من مصائِدِ الشيطانِ التي ينْصبُها للناسِ الاعتداءُ في الدُّعاءِ إمَّا بتجاوزِ الحدِّ أو الغُلُوِّ فِيهِ.

كما قال أحدُ السَّلَفِ: «ما أمرَ اللهُ بأمْرٍ إلا وللشيطانِ فيهِ نزغتانِ: إمَّا إلى تفريطٍ أو تقصيرٍ وإمَّا إلى مُجاوزةٍ وغُلُوٍّ، ولا يُبَالِي الشيطانُ بأيهِّما ظَفَرَ»[2].

أَيُّهَا النَّاسُ لقدْ أمرَنا اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ بالدُّعاءِ وَأخْبرَنا أنَّهُ لا يحبُّ المُعْتدينَ فيهِ.

---

(1) «التفسير الميسر» (7/396).

(2) انظر «الاعتداء في الدعاء» (ص5).

قال اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ (الأعراف : 55).

قال القُرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وأَمَّا قولُهُ ـ عزَّ وَجَلَّ ـ ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾. معناهُ: إنَّ ربَّكُمْ لا يُحِبُّ من اعْتدى فتجاوزَ حدَّهُ الَّذِي حَدَّه لعبادِهِ في دُعائِهِ ومسْألتِهِ رَبَّهُ»[1].

وأَخْبرَ النَّبيُّ ﷺ أَنَّهُ سَيكونُ في هذِهِ الأُمَّةِ قومٌ يَعْتدونَ في الطَّهُوْرِ والدُّعاءِ.

ففي سُنَنِ أبي داودَ بسَندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ»[2] من حديثِ أبي نُعَامةَ أَنَّ عبدَ الله بِنَ مَغْفَلٍ سَمِعَ ابْنَهُ يقولُ: اللَّهُمَّ إني أسأَلُكَ القصْرَ الأبيضَ عَنْ يمينِ الجَنَّةِ إذا دخلْتُها. فقالَ: أَيْ بُنَيَّ سَلِ اللهَ الجَنَّةَ وتَعوَّذْ بِهِ مِنَ النَّارِ فإنِّي سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: **«إِنَّهُ سيكونُ قومٌ يَعْتدونَ في الطَّهُوْرِ والدُّعاءِ»**.

وفي مُسْنَدِ أحمدَ بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ»[3] عنْ مولىً لسَعْدٍ أَنَّ سعدًا سَمِعَ ابنًا له يدْعو وهو يقولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ الجَنَّةَ ونعيمَها وإسْتبْرَقَها ونحوًا من هذا، وأعوذُ بِكَ من النَّارِ وسلاسِلِها وأغْلالِها، فقالَ: لقد سألتَ اللهَ خيرًا كثيرًا، وتعوَّذْتَ باللهِ من شرٍّ كثيرٍ. وإنِّي سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: **«إِنَّهُ سيكونُ قومٌ يَعْتدونَ في الدُّعاءِ.** وقرأَ هذهِ الْآيَةَ: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ **، وإنَّ حَسبَكَ أنْ تقولَ: اللَّهُمَّ إني أسْأَلكَ الجَنَّةَ وما قربَّ إِلَيهَا مِنْ قولٍ أَو عَمَلٍ وأعوذُ بكَ منَ النَّارِ وما قرَّبَ إليْهَا مِنْ قَولٍ أو عمَلٍ»**.

والاعتداءُ في الدُّعَاءِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ يَمنَعُ مِنَ الْإِجَابَةِ والقَبُولِ.

---

(1) «تفسير الطبري» (الأعراف: 55).

(2) **«صَحيحٌ»** أخرجه أبو داود (86) وصححه الألباني في «صحيحِ الجامعِ» (2396).

(3) **«صَحيحٌ»** أخرجه أحمد (1/172) وصححه الألباني في «صحيحِ الجامعِ» (3671).

أخرجَ البخاريُّ في «الأدبِ المفردِ» بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الْأَلبانيُّ في «صحيحِ الْأَدبِ الْمفرَدِ»[1] منْ حديثِ أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **«مَا مِنْ مُسْلمٍ يَدعو، ليسَ بإثْمٍ وَلَا بقطيعةِ رحمٍ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ إِحْدى ثلاثٍ: إمَّا أَنْ يُعَجِّلَ لَهُ دَعْوَتَهُ، وإِمَّا أَنْ يَدْخِرهَا له في الْآخِرَةِ، وإِمَّا أَنْ يَدفعَ عنْهُ مِنَ السُّوءِ مثلَهَا»**. قَالَ: إِذًا نُكْثِرُ، قَالَ: **«اللهُ أكثرُ»**.

قَالَ القرطبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعليقًا على الْحَديثِ:«وَحَديثُ أَبِي سَعيدٍ الخدريِّ وَإِنْ كَانَ إِذْنًا بِالْإِجَابَةِ في إِحْدَى ثلاثٍ فَقَدْ دَلْكَ عَلَى صِحَّةِ اجْتنَابِ الاعْتداءِ المانعِ مِنَ الْإِجَابَةِ حيثُ قالَ فيهِ: «ليسَ بإِثْمٍ وَلَا بقطيعةِ رحمٍ»»[2].

فَمنْ صُوَرِ الاِعْتدَاءِ في الدُّعَاءِ أَنْ يدعوَ المسْلِمُ بمَا ليسَ في الكِتَابِ والسُّنَّةِ فيتخيرْ أَلفاظًا مفقرةً وكلماتٍ مسجَّعةً قَدْ وجدهَا في كراريسَ لَا أصلَ لهَا ولَا مموّلَ عَلَيْها، فيجعلُهَا شِعَارَهُ ويتركُ ما دَعَا بِهِ رسولُ اللهِ ﷺ وكلُّ هَذا يَمنَعُ مِنَ اسْتجابَةِ الدُّعَاءِ كمَا قَالَ القرطبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ[3].

وَقَالَ شيْخُ الْإِسْلَامِ ابنُ تيميَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ : «المشروعُ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَدعوَ بِالْأَدْعِيَةِ الْمأْثُورةِ فإِنَّ الدعاءَ مِنْ أفضلِ العباداتِ، وقَدْ نهَانَا اللهُ عَنِ الاِعْتِدَاءِ فِيهِ فَينبَغِي لنَا أَنْ نتَّبعَ ما شُرِّعَ وسُنَّ، كما أَنَّهُ ينبَغِي لنَا ذَلِكَ في غَيْرِهِ مِنَ الْعِبَادَاتِ والَّذي يَعْدِلُ عَنِ الدُّعَاءِ المشْرُوعِ إِلى غيْرِهِ الْأَحْسَنُ لَهُ أَنْ لَا يَفُوتُهُ الْأكملُ والْأفْضَلُ وهِي الْأَدْعِيَةُ النَّبوِيَّة، فَإِنَّها أكملُ وأَفْضلُ باتِّفَاقِ الْمُسْلِمينَ مِنَ الْأَدْعِيَةِ الَّتي لَيستْ

(1) **«صَحيحٌ»** أخرجه البخاريُّ في «الأَدَبِ المْفردِ» (710)، وصححه الألباني في «صحيحِ الأَدَبِ المْفردِ» (550).

(2) «تفسير القرطبيِّ» (البقرة: 186).

(3) «تفسير القرطبيِّ» (الأعراف: 55).

كذَلِكَ وَإِنْ قَالَهَا بعضُ الشُّيوُخِ، فكيْفَ وقَدْ يكونُ في عيْنِ الْأَدْعِيَةِ مَا هُوَ خَطأٌ أَوْ إِثْم أَوْ غَيرُ ذَلِكَ؟!

وَمِنْ أَشدِّ النَّاسِ عَيْبًا مَنْ يَتَّخِذُ حِزْبًا لَيْسَ بِمأْثُورٍ عَنِ النَّبيِّ ﷺ وَيَدَعُ الْأَحْزَابَ النَّبوِيَّةَ الَّتِي كانَ يَقُولُهَا سَيِّدُ بني آدَمَ وَإِمَامُ الْخَلْقِ وحَجَّةُ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ»[1].

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينبَغِي لِلْخلْقِ أَنْ يَدْعُو بالْأَدْعِيَةِ المْشْرُوعَةِ الَّتي جاءَ بها الكتابُ والسُّنَّةُ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا رَيْبَ في فَضْلِهِ وَحُسْنِهِ، وَأَنَّهُ الصِّراطُ المْسْتقيمُ، صراطُ الَّذينَ أَنعمَ عليهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقينَ والشُّهَداءِ والصَّالحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا»[2].

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَذِنَ اللهُ فِي دُعَائِهِ وَعلَّمَ الدُّعَاءَ في كِتَابهِ لِخَلِيقَتِهِ، وعلَّمَ النَّبيُّ ﷺ الدعاءَ لأُمَّتِهِ، واجْتَمعَتْ فِيهِ ثَلَاثةُ أشْيَاءَ: العلمُ بالتَّوحِيدِ، والْعِلْمُ باللُّغَةِ، والنَّصِيحَةُ لِلأُمَّةِ، فَلَا ينْبَغِي لِأَحَدِ أَنْ يَعْدِلَ عَنْ دُعَائِهِ ﷺ وَقَد احْتَالَ الشَّيْطَانُ لِلنَّاسِ في هَذا المْقَامِ فقيَّضَ لهُمْ قَومَ سُوءٍ يَخْتَرعُونَ لهُمْ أَدْعِيَةً يَشْتَغِلُونَ بِهَا عَنِ الْاِقْتَداءِ بالنَّبيِّ ﷺ وَأَشَدُّ مَا في الْإِحَالةِ أَنَّهُمْ يَنْسِبُونَهَا إِلى الْأَنْبِيَاءِ والصَّالحِينَ، فَيَقُولُونَ: دُعَاءُ نوحٍ، دُعَاءُ يُونسَ، دُعَاءُ أَبِي بَكْرٍ فاتَقُوا اللهَ في أَنْفسِكُمْ، لَا تَشْتَغِلُوا مِنَ الحْدِيث إِلَّا بالصَّحِيحِ»[3].

وَمِنْ صُورِ الْاِعْتداءِ فِي الدُّعاءِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ استبدالُ لَفْظٍ وَارِدٍ (مَأثورٍ) بِغَيْرِه.

فَفِي «صحيحِ الْبُخَارِيِّ»، وَ«سُنَنِ الترمِذِيِّ» منْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إذا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ للصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلى شِقِّكَ الْأَيْمَنَ وَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي، وَفَوّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ،**

(1) انظر «مجموعَ الْفتَاوَى» (22/308).

(2) انظر «مجموعَ الْفتَاوَى» (1/336).

(3) «الفتوحاتُ الرّبَانيّةُ» (1/17).

وألْجأتُ ظَهْرِي إليْكَ رَهْبَةً ورغْبَةً إِلَيْكَ لَا مَلْجأَ ولَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ آمَنْتُ بكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الذي أرْسَلْتَ. فإن مُتَّ مُتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ فَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ». فَقُلْتُ أَسْتذكِرَهُنَّ: وَبِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، قَالَ: **«لَا وَبِنَبِيِّكَ الذي أرْسَلْتَ»**، وفِي رِوَايةِ التِّرمذيِّ فقُلْتُ: آمنْتُ بِرَسُولِكَ الَّذِي أرسَلْتَ. فقالَ: **«قُلْ: آمنْتُ بِنَبِيِّكَ الذي أرْسَلْتَ»**.

قَالَ النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّ سَبَبَ الْإِنْكَارِ إِنَّ هَذَا ذِكرٌ وَدُعَاءٌ فينبغي فِيه الاقْتِصَارُ عَلَى اللَّفظِ الوَارِدِ بِحُرُوفِهِ، وَقَدْ يَتَعلقُ الْجَزَاءُ بِتِلْكَ الْحُرُوفِ وَلَعَلَّهُ أُوحيَ إِلَيْهِ ﷺ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ فَيتعيَّنُ أَداؤُهَا بِحرُوفِهَا، ثُمَّ قَالَ: وهَذَا الْقَوْلُ: حَسَنٌ»[1].

وقَالَ الْحافظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحكمةُ فِي رَدِّهِ عَلَى مَنْ قَالَ (الرَّسُولَ) بَدَلَ (النَّبِيَّ) أَنَّ أَلْفَاظَ الْأَذْكَارِ توقيفيَّةٌ، وَلَهَا خَصَائِصُ وأَسْرَارٌ لَا يَدْخُلُهَا الْقِيَاسُ فتجِبُ الْمحَافَظةُ عَلَى اللَّفْظِ الَّذي وَرَدَتْ بِهِ»[2].

وَفِي «صحيحِ الْبُخَارِيِّ»[3] من حديثِ جَابِرِ بِنْ عَبْد اللهِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسولُ اللهِ ﷺ يُعلمُنَا الِاسْتخَارَةَ في الْأُمُورِ كُلِّهَا، كمَا يُعَلِّمُنَا السُّورةَ مِنَ الْقُرآنِ.

قَالَ ابنُ أَبِي جَمْرَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُعَلِّقًا عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ: «التَّشبِيهُ (أَيْ تَشبِيهُ جَابِرٍ الدُّعَاءَ بالقُرآنِ فِي الْحِفْظِ والتَّعْلِيمِ) فِي تحفُّظِ حُرُوفِهِ وترتُّبِ كلمَاتِه وضْعِ الزِّيَادَةِ والنَّقْصِ مِنْهُ والدَّرسِ لَهُ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِ، ويُحتملُ أنْ يكونَ مِنْ جهَةِ الِاهْتمَامِ بِهِ والتحقُّقِ لِبركتِهِ، والاحْتِرَامِ لَهُ ويحتملُ أَنْ يكونَ مِنْ جِهَةِ كوْنِ كُلٍّ مِنْهُمَا عُلِمَ بالْوَحْي»[4].

(1) «شرحُ النَّوويِّ عَلَى مُسْلمٍ» (33/17).
(2) «فَتْحُ الْبَارِي» (112/11).
(3) رَوَاهُ الْبُخاريُّ (1166).
(4) «فَتْحُ الْبَارِي» (184/11).

وَمِنْ صُورِ الْاِعْتداءِ فِي الدُّعاءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الدُّعَاءُ بِتَعْجِيلِ الْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا.

فَفِي «صحيح مُسْلِمٍ»[1] منْ حديثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ عادَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلمِينَ قَدْ خَفَتَ (أَيْ ضَعُفَ) فَصَارَ مِثْلَ الفرخِ فَقَالَ لَهُ رسولُ اللهِ ﷺ : **«هَلْ كُنْتَ تدعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُه إِيَّاهُ؟!»**.

قَالَ: نَعمْ، كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبي بِهِ فِي الآخِرَةِ فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا.

فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : **«سُبْحَانَ اللهِ لَا تُطِيقُهُ أَوْ لَا تسْتَطِيعُهُ أَفَلَا قُلْتَ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»**.

قَالَ: فَدعا اللهُ لَهُ فَشَفَاهُ.

وَأَسْتَغفِرُ اللهَ.

---

(1) رَواهُ مُسْلِمٌ (2688).

الخُطْبةُ الثّانيةُ ـ أسبابُ الفَرَجِ بَعْدَ الشِّدَّةِ :

الْحَمْدُ للهِ ربِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أَمَّا بَعدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ «**الإِعْتِدَاءِ فِي الدُّعَاءِ**» والآنَ حديثِي مَعَكُمْ عَنْ «**تكَلُّفِ السَّجْعِ فِي الدُّعَاءِ**».

والسَّجعُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ هُوَ الكلامُ المستوى عَلَى نَسَقٍ واحِدٍ كَقَولِ أَحَدِهِمْ اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي فَوقَ الْأَرْضِ وَارْحَمْنِي تَحتَ الْأَرْضِ وارحَمْنِي يَومْ الْعَرضِ، وهُو مكْرُوهٌ فِي الدُّعَاءِ إِنْ تَعمَّدَهُ وتكلَّفَهُ الدَّاعِي؛ لِأَنّهُ يشْغِلُ عَقْلَهُ، وَيُشَتتُ قَلْبَهُ عَنِ الْخُشُوعِ والتَّدَبُرِ والتفكُرِ.

وَقَدْ بَوَّبَ الْبُخَارِيُّ فِي «صحيحِهِ»[1] بَابُ: مَا يكرَهُ مِنَ السَّجْعِ فِي الدُّعَاءِ ثُمَّ أَوْرَدَ حديثَ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: فانظرْ السَّجْعَ فاجْتَنِبْهُ فَإِنِّي عَهِدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ لَا يفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ الاجْتِنَابِ.

قَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَولُهُ: (وانظرِ السَّجعَ فِي الدُّعَاءِ فَاجْتَنِبْهُ) أَيْ: لَا تقْصِدْ إِلَيْهِ، ولا تُشغِلْ فِكْرَكَ بِهِ لِما فِيهِ مِنَ التكلُّفِ المانِع لِلْخُشُوعِ المطلوبِ فِي الدُّعَاءِ وقولُهُ: (لَا يفْعلُونَ إِلَّا ذلِكَ) أَيْ: تَركَ السَّجْعِ.

ثم نَقَلَ عنِ الْإِمَامِ الغزالِيِّ أَنَّهُ قَالَ: المكرُوهُ مِنَّ السَّجْعِ هُوَ المتكلَّفُ؛ لِأَنَّهُ لَا يُلَائِمُ الضَّرَاعَةَ والذِّلَّةَ، وإِلَّا فَفِي الْأَدْعِيَةِ المأْثُورَةِ كلماتٌ مُتَوازِنةٌ لكنَّهَا غَيرُ متكلَّفَةٍ»[2].

---

(1) رَواهُ الْبُخَارِيُّ (6337).

(2) «فَتْحُ الْبَارِي» (11/139).

وَقَالَ النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِنَّ السجْعَ المذمومَ فِي الدُّعَاءِ هُوَّ المتكلَّفُ، فَإِنَّهُ يُذْهِبُ الْخُشُوعَ والخضُوعَ والإخلاصَ، ويُلهِي عَنِ الضَّرَاعَةِ والافْتِقَارِ، وَفَرَاغِ القَلْبِ، فأَمَّا مَا حَصَلَ بِلَا تكلُّفٍ، وَلَا إِعْمَالِ فِكْرٍ لكمالِ الفَصَاحَةِ ونَحْوِ ذَلكَ، أَوْ كَانَ مَحْفُوظًا فَلَا بأسَ بِهِ، بَلْ هُوَ حَسَنٌ»[1].

وقَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الاعْتِدَاءُ في الدُّعَاءِ يَقَعُ بِزِيَادَةِ الرَّفْعِ فَوقَ الْحَاجَةِ أَو بِطَلَبِ مَا يَسْتَحِيلُ حُصُولُهُ شَرْعًا أَوْ بِطَلَبِ مَعْصِيةٍ أو يَدْعُو بِمَا لَمْ يُؤثر خُصُوصًا مَا وَرَدَتْ كَرَاهَتُهُ كالسَّجْعِ المتكلَّفِ»[2].

اللَهُمَّ إِنَّا نسأَلُكَ مِنَ الْخَيرِ كلِّهِ عَاجِلهِ وآجِلِهِ مَا علِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، ونَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وآجِلِهِ ما عَلِمْنَا مِنْهُ ومَا لَمْ نَعْلَمْ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبيُّكَ، وَنَعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ بِهِ عَبْدُكَ ونبيُّكَ

اللَّهُمَّ إنا نسألُكَ الجنة وما قرَّب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل ونسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لنا خيرًا[3].

(1) «شرح النووي على مسلم» (41/17).

(2) «فَتْحُ الْبَارِي» (298/8).

(3) **«صَحِيحٌ»** أخرجه ابن مَاجَه (3836)، وصححه الألباني في «صحيحِ ابن ماجَه» (3102).

11 الاسْتِقامَةُ

الخُطْبَةُ الأُولى :

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ (آل عمران : 102).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ (النساء : 1).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب :70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ـ ﷺ ـ ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ ـ حَدِيثي مَعَكُمْ الْيَوْمَ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ عَنْ **«الاسْتِقامَةِ»**.

أَيُّها الناسُ ـ الاسْتقامةُ على أمرِ اللهِ سَبَبُ السَّعادةِ والفَلاحِ.

قالَ اللهُ ـ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ ـ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٣ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤﴾ (الأحقاف : 13–14).

وقالَ اللهُ ـ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ ـ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠﴾ (فصلت : 30).

وقالَ اللهُ ـ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ ـ : ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ (هود : 112).

فالأَمْرُ هُنا ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ للنَّبيِّ ﷺ ثُمَّ لِأَتْبَاعِهِ ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾. أَيْ ومَنْ آمَنَ مَعَكَ؛ بأَنْ تابُوا مِنَ الشِّرْكِ فآمَنوا باللهِ ورسُولِهِ، وصارُوا معَ النَّبيِّ ﷺ مُؤْمنينَ بِهِ، وبِما جاءَ بِهِ.

وأَصْلُ الاسْتِقامةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ في القَلْبِ ـ فإذا اسْتقامَ القلبُ على أمرِ اللهِ اسْتقامَتْ سائرُ الجوارحِ.

ففي مُسْنَدِ أحمدَ بسندٍ حَسَنٍ حسَّنَهُ الألبانيُّ في «الصَّحيحَةِ»[1] منْ حديثِ أَنَسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«لا يَسْتقِيمُ إيمانُ عبدٍ حتَّى يَسْتقيمَ قلبُهُ ولا يَسْتقيمُ قلبُهُ حتَّى يسْتقِيمَ لِسانُهُ، ولا يَدْخُلُ رَجُلٌ الجَنَّةَ لا يأمَنُ جَارُهُ بَوائِقَهُ»**.

فَمتى اسْتقامَ القلبُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ على الإِيْمانِ باللهِ خَوفًا، ورجاءً، وتوكُّلًا وإِنابةً، اسْتقامتْ بعدَ ذلِكَ اللِّسانُ فإِنَّهَا رَأْسُ الجَوارحِ بعدَ القَلْبِ.

فَفِي مُسْنِدِ أحمدَ وسُنَنِ التِّرمِذِيِّ بسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الأَلْبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ»[2] منْ حديثِ أَبي سعيدٍ الخُدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«إذا أَصْبَحَ ابنُ آدَمَ فإِنَّ الأَعضاءَ كلَّها تُكَفِّرُ اللِّسانَ فتقولُ: اتَّقِ اللهَ فِيْنا فإِنَّما نَحْنُ بِكَ فإِن اسْتقمْتَ اسْتقمْنَا وإِن اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا»**.

فإِذا كانَ هَذا هُوَ حالُ اللِّسانِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ فَلْيَنظُرْ أَحدُنا فيما يَتكَلَّمُ فِيْهِ ولْيَحْذَرْ مِمَّا حَرَّمَ اللهُ كالكَذِبِ، والغِيْبَةِ، والنَّميمَةِ، والسَّبِّ، والبِذَاءِ والقَذْفِ، والخُصُوماتِ والجِدالِ، وشَهَادةِ الزُّورِ، والقَولِ على اللهِ بِغَيْرِ عِلمٍ، والكَذِبَ على اللهِ ورَسُولِهِ ﷺ.

وقَدْ قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ (ق: 18).

---

(1) «حسنٌ» أخرجه أحمد (3/198)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (2841).

(2) «حسنٌ» رواه أحمد (3/96)، والترمذي (2407)، وحسنه الألباني في «صحيحِ الجامعِ» (351).

وفي «الصَّحيحَينِ»[1] منْ حديثِ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: **«إنَّ العبدَ لَيتَكلَّمُ بالكَلِمَةِ ما يَتبَيَّنُ فيها يَزِلُّ بها في النَّارِ أَبْعَدَ ما بَيْنَ المَشْرِقِ»**.

ومتى اسْتقامَتِ اللِّسَانُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ اسْتقامَتِ الجَوارحُ.

وأَهَمُّ ما في الجَوارِحِ العَيْنُ، فإنَّها أَسْرَعُ المَنافِذِ إلى القَلْبِ، وأَقْصَرُ الطُّرُقِ إِلَيْهِ، قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ (النور: 30-31).

فَغَضُّ البَصرِ يكونُ بالكَفِّ عَنِ المحَارِمِ وأَنْ يَسْتَعْمِلَ العَبدُ نَظَرَهُ فِيْ طاعَةِ اللهِ بالنَّظَرِ فِي كتابِ اللهِ مُتَدبِّرًا ويَنْظُرَ في مَلَكُوْتِ اللهِ مُعْتَبِرًا.

ثُمَّ يأتي بعدَ ذلِكَ اسْتقامةُ الأُذُنِ فَهِيَ مِنْ أَقْصَرِ الطَّرِيْقِ إلى القلبِ فَهِيَ بابٌ مفتوحٌ لِسَماعِ الأغاني المْعرُوفةِ والمعَازِفِ الفاسِدَةِ وغيرِ ذلِكَ مِنَ الكلامِ المحرَّمِ وما لَا خَيْرَ فِيْهِ، والعَبْدُ مسؤولٌ عَنْ ذلِكَ يومَ القِيامَةِ لقولِ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ (الإسراء: 36).

ثُمَّ لابُدَّ من اسْتِقَامَةِ باقي الجَوارحِ مِنَ الْيَدِ والرِّجْلِ والبَطْنِ، والفَرْجِ فإِنَّ كلًّا مِنْها لَهُ أَثَرُهُ في اسْتقامَةِ القَلْبِ وصَلاحِهِ.

وتَتَحَقَّقُ الاسْتقامةُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ بأمُورٍ فَمِنْها:

ـ أَداءُ الفرائِضِ والواجباتِ وهيَ على مراتبَ:

1 – فمِنْهَا شهادةُ أَنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنَّ محمدًا رسولُ اللهِ.

---

(1) رَواهُ البخاريُّ (6477)، ومسلم (2988).

فالتَّوحِيدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَوْجَبُ الوجباتِ، وأعظمُ الحَسَناتِ، وأَفْضَلُ الطَّاعاتِ، وَهُوَ أَوَّلُ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ عِبادَهُ، وهو حَقُّهُ عَلَيْهِمْ ويَتْبَعُ ذلِكَ تَحْقِيقُ مُتابَعَةِ الرَّسولِ ﷺ.

2- ومِنْها الصَّلَواتُ الخَمْسُ فَهِيَ قَرِيْنَةُ التَّوحيدِ في الكتابِ والسُّنَّةِ.

3- ومِنْهَا الزَّكاةُ والصِّيامُ والحَجُّ وذلِكَ هُوَ أَرْكانُ الإِسْلامِ.

ومِمَّا يتَحَقَّقُ بِهِ الاسْتقامةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - الجِهادُ في سبيلِ اللهِ، والأَمْرُ بالمعروفِ والنَّهْيُ عَنِ المُنكَرِ، وحُقوقُ العبادِ كُلُّها تَدْخُلُ في الفرائِضِ

ومِمَّا يتحقَّقُ بِهِ الاسْتقامةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - النَّوافِلُ فالمُحافَظَةُ عليها مِنْ كَمالِ الاسْتقامَةِ.

ومِمَّا يتحقَّقُ بِهِ الاسْتقامةُ تَرْكُ المُحَرَّمَاتِ وامْتِثالُ المأْمُوراتِ واتِّقاءُ الشُّبُهاتِ واجتنابُ الذَّرائِعِ وما يُقَرِّبُ إلى الحرامِ.

ففي «الصحيحين»[1] من حديثِ النُّعْمانِ بْنِ بِشْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ الحَلالَ بَيِّنٌ وإِنَّ الحرامَ بَيِّنٌ وبَيْنَهُمَا أُمورٌ مُشْتبهاتٌ لا يَعْلَمُهُنَّ كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِيْنِهِ وعِرْضِهِ ومَنْ وَقَعَ في الشُّبُهاتِ وَقَعَ في الحَرَامِ»**.

ومِمَّا يتحقَّقُ بِهِ الاسْتقامةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَدَمُ الانْحِرافِ.

والانْحِرافُ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِمَّا أَنْ يَكُوْنَ إلى إفْراطٍ أو إلى تَفْرِيْطٍ.

فالافْراطُ يَكونُ بِتعدِّيْ حُدُوْدِ اللهِ قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾ (البقرة: 229).

والتَّفْرِيْطُ يَكُونُ بالقُرْبِ مِنْ حُدُوْدِ اللهِ الَّتي نَهانا اللهُ عَنْها.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾ (البقرة: 187).

(1) رَوَاهُ البُخارِيُّ (52)، ومسلم (1599) واللفظ له.

فَلابُدَّ لِسَالِكِ الاسْتقامَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَقْصُدَ الطَّرِيقَ الوَسَطَ وهُوَ الصِّراطُ المُسْتقِيمُ.

ففي مُسْنَدِ أحمَدَ بسَنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «تحقيقِ الطَّحاويَّةِ»[1] منْ حديثِ عبدِ اللهِ بْنِ مسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: خطَّ لنا رسولُ اللهِ ﷺ خطًّا ثُمَّ قالَ: **«هذا سبيلُ اللهِ»**، ثُمَّ خطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمينِهِ وعَنْ شمَالِهِ. ثُمَّ قَالَ: **«هذِهِ سُبُلٌ (مُتَفَرِّقَةٌ) على كلِّ سبيلٍ مِنْها شَيْطانٌ يَدْعُو إليهِ»**. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ (الأنعام: 153).

وأَستغْفِرُ اللهَ.

(1) «صَحِيحٌ» أخرجه أحمد (1/435)، وصححه الألباني في «شرح الطحاوية» (ص587).

الخُطْبةُ الثّانيةُ ـ أسبابُ الاسْتِقامَةِ :

الْحَمْدُ للهِ ربِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أَمَّـا بَعدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ «**الاسْتقامَةِ**» والآنَ حديثِي مَعَكُمْ عَنْ «**أسبابِ الاسْتقامَةِ**».

فمِنْ أَسْبابِ الاسْتقامةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ اليقينُ بوعْدِ اللهِ لأَنَّ الانْحرافَ عنِ الاسْتقامَةِ إنَّما ينْشَأُ عن ضَعْفِ اليَقينِ.

قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ (الرُّوم : 60).

ومِنْ أَسْبابِ الاسْتقامةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ العِلْمُ.

فمتَى عَلِمَ العبدُ أنَّ اللهَ أمَرَهُ بتلْكَ الطَّاعةِ ورغَّبَهُ فِيْهَا ورَتَّبَ عليها الجزاءَ الحسنَ وَعَلِمَ عاقِبةَ المعْصِيةِ وعاقِبةَ ترْكِهَا كانَ ذلكَ باعثًا لَهُ على الازْدِيادِ منَ الخيْرِ والثَّباتِ على الطَّرِيقِ المسْتقيمِ.

ومِنْ أَسْبابِ الاسْتقامةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ الرُّفْقَةُ الصَّالحةُ.

فالرَّفيقُ قبلَ الطَّريقِ فَمَنْ أرادَ سُلُوكَ طريقِ الاسْتقامَةِ فلابُدَّ لَهُ من رُفَقَاءَ صالِحِيْنَ يذكِّرُونَهُ إذا اعْوَجَّ عنْ طريقِ الاسْتقامَةِ أَوْ حادَ عَنْها.

قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ﴾ (الكَهْف : 28).

قال الشَّنْقِيطيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «أَمَرَ اللهُ ـ جَلَّ وَعَلاَ ـ نَبِيَّهُ ﷺ في هَذِهِ الآيةِ الكريمةِ أَنْ يصبرَ نَفْسَهُ، أَيْ يَحْسِبَها مَعَ المؤمنينَ الذينَ يَدْعُونَ ربَّهمْ أوَّلَ النَّهارِ وآخِرَهُ مُخْلصِيْنَ لَهُ، لا يُرِيدُوْنَ بدعائِهِمْ إلَّا رِضاه ـ جلَّ وعلا »[1].

---

(1) «أضواء البيان» (19/136).

ومِنْ أسْبابِ الاسْتقامةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الدُّعاءُ.

فَنَسْأَلُ اللهِ الثباتَ والهدايةَ إلى الصِّراطِ المسْتقيمِ ولُزُوْمَ طريقِ الاستقامةِ، لِأَنَّهُ بدونِ هِدايَةِ اللهِ وعَوْنِهِ وتوفِيْقِهِ لنا لَنْ نَصِلَ إلى شَيْءٍ.

فَفِي سُنَنِ التِّرْمِذيِّ بِسَنَدٍ صَحيح صحَّحَهُ الأَلْبانيُّ في «صَحيحِ الجامعِ»[1] منْ حديثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: **«يا مُقَلِّبَ القُلوبِ ثَبِّتْ قلبيْ عَلى دِينِكَ»**.

وَفِي «صحيحِ مُسْلمٍ»[2] منْ حديثِ عبدِ اللهِ بْنِ مسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يقولُ: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى والتُّقَى، والعَفَافَ، والغِنَى»**.

وفي «صحيحِ مُسْلمٍ»[3] منْ حديثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ لِيْ رسولُ اللهِ ﷺ: **«قُلْ: اللَّهُمَّ اهْدِنِيْ وسَدِّدْنِيْ، واذْكُرْ بالهُدى هِدايَتَكَ الطَّرِيْقَ، والسَّدَادِ، سَدَادَ السَّهْمِ»**.

وفِيْ سُنَنِ أَلي دَاوُدَ والنَّسَائِيِّ بِسَنَدٍ صحيح في «صحيحِ الجامعِ»[4] منْ حديثِ مُعَاذَ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخذَ بِيَدِهِ يَوْمًا ثُمَّ قالَ: **«يا مُعَاذُ واللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ»** فقال لَهُ معاذٌ: بِأَبِيْ أَنْتَ وأُمِّيْ يا رسُولَ اللهِ وأَنَا واللهِ أُحِبُّكَ، قالَ: **«أُوصِيْكَ يا معاذُ لا تَدَعَنَّ في دُبُرِ كُلِّ صلاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّيْ عَلى ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عبادتِكَ»**.

---

(1) **«صَحيحٌ»** أخرجه الترمذي (3517)، وصححه الألباني في «صحيحِ الجامعِ» (7987).

(2) رَواهُ مسلم (2721).

(3) رَواهُ مسلم (2725).

(4) **«صَحيحٌ»** أخرجه أبو داود (1522)، والنسائي (1303) واللَّفظ له، وصححه الألباني في «صحيحِ الجامعِ» (81969).

فتَأَمَّلُوا ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ إلى عَظَمَةِ هذا الدُّعاءِ فلَا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ فلا حَوْلَ لنا عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ ولا قُوَّةَ لَنا على طاعَةِ اللهِ إلَّا باللهِ العليِّ العظيْمِ.

اللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنا تَقْواها وزكِّها أَنْتَ خيرُ مَنْ زكَّاها أَنْتَ وليُّها ومَوْلاها.

12 فَضلُ لا حولَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ

الخُطْبَةُ الأُولى :

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ (آل عمران : 102).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ (النساء : 1).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب :70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإِنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ـ ﷺ ـ ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ ـ فحديثي معكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنِ **«الْحَوْقَلَةِ»** وَهيَ قَولُ: **«لَا حولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»**، فَإِنَّ هذِهِ الكلمةَ العظيمةَ لَهَا مِنَ الْفَضَائِلِ والْفَوائِدِ والثِّمارِ ما لَا يُحْصِيهِ إِلَّا اللهُ، وَفِيهَا مِنَ الْمَعَانِي العَمِيقَةِ والدَّلَالَاتِ الْمفِيدَةِ مَا يُثَبِّتُ الْإِيمَانَ ويُقَوِّي الْيَقِينَ وَيَزِيدُ صِلَةَ الْعَبْدِ بِرَبِّ العَالَمِينَ(1).

وَمَعْنَاهَا ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ كَمَا ذكَرَ ـ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : «لَا حَوْلَ بِنَا عَلَى الْعَمَلِ بِالطَّاعَةِ إِلَّا بِاللهِ، ولَا قُوَّةَ لَنَا عَلى تَرْكِ الْمَعْصِيَةِ إِلَّا باللهِ».

---

(1) انظرْ «الْحَوْقَلَةُ مَفْهُومُهَا ودلَالَتُهَا الْعَقَدِيَّةُ» لِعَبْدِ الرَّزَّاقِ الْبَدْرِ (ص3).

وفضائلها ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ لجمَّة غَزِيرَةٌ.

فَمِنْ فَضَائِلِهَا أَنَّهَا وَصِيَّةُ النَّبِيِّ ﷺ لِأُمَّتِهِ.

فَفِي مُسْنَدِ أحمدَ وَسُنَنِ التِّرمِذيِّ بِسَنَدٍ صحيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبانيُّ في «الصَّحِيحَةِ»[1] منْ حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ؛ فَإِنَّهَا مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ»**.

وَفِي مُسْنَدِ أحمدَ بِسَنَدٍ صحيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبانيُّ في «صَحيحِ التَّرغيبِ والتَّرهِيبِ»[2] منْ حديثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَوْصاني خَليلي ﷺ: **«بِسَبْعٍ بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ وَأَنْ أَوْجُدَ مِنْهُمْ وَأَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَن هُوَ أَسْفَلَ مِنِّي وَلَا انْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي وَأَنْ أَصِلَ رَحِمِي وَإِنْ جَفَانِي وَأَنْ أُكْثِرَ مِنْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ وَأَنْ أَتكَلَّم بِمُرِّ الحقِّ وَأَنْ لَا تَأْخُذُنِي بِاللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، وَأَنْ لَا أَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا»**.

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَاجَه بِسندٍ صحيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيَّ في «صَحيحِ الْجَامِعِ»[3] منْ حديثِ حَازِمِ بْنِ حَرْمَلَةَ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَررْتُ بالنَّبيِّ ﷺ فَقَالَ لِي: **«يَا حَازِمُ أَكثِرْ مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَإِنَّهَا مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ»**.

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ إِخْبَارُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ عليهما السلام بِفَضْلِهَا، وَأَنَّهَا مِنْ غِرَاسِ الْجَنَّةِ

فَفِي مُسْنَدِ أَحمدَ بِسَنَدٍ قَالَ فِيه الْأَلْبَانيُّ في «صَحيحِ التَّرْغِيبِ»[4] صَحيحٌ لِغَيْرِهِ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَاريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ مَرَّ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ:

---

(1) **«صَحيحٌ»** أخرجه أحمدَ (2/333)، والترمذيُّ (2/280)، وصححه الألباني في «صحيحِ الجامع» (1214).

(2) **«صَحيحٌ»** أخرجه أحمدَ (5/159)، وصححه الألباني في «صحيحِ التَّرغِيبِ» (1/199).

(3) **«صَحيحٌ»** أخرجه ابنُ مَاجَه (2/323)، وصححه الألباني في «صحيحِ الجامعِ» (7907).

(4) **«صحيحٌ لِغَيْرِهِ»** أخرجه أحمدُ (5/418)، وقَالَ الألباني في «صحيحِ الترغيبِ» (2/116) صَحِيح لِغَيْرِهِ.

«مَنْ مَعَكَ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ! فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: مُرْ أُمَّتَكَ فَلْيُكْثِرُوا مِنْ غِرَاسِ الْجَنَّةِ فَإِنَّ تُرْبَتَهَا طَيِّبَةٌ وَأَرْضَهَا وَاسِعَةٌ. قَالَ: **وَمَا غِرَاسُ الْجَنَّةِ؟** قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ».

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ أَنَّهَا مَكْتُوبَةٌ تَحْتَ الْعَرْشِ.

ففي مُسْتَدْرَكِ الْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ في «صَحِيحِ الْجَامِعِ»[1] من حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَلَا أُعَلِّمُكَ - أَوْ قَالَ - أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ مِنْ كنْزِ الْجَنَّةِ؟ تَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فيَقُولُ اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ -: أَسْلَمَ عَبْدِي وَاسْتَسْلَمَ»**.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ الْعُلَمَاءُ: سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهَا كَلِمةُ اسْتِسْلَامٍ وَتَفْوِيضٍ إِلَى اللهِ - تَعَالَى -، وَاعْتِرَافٍ بِالْإِذْعَانِ لَهُ، وَأَنَّهُ لَا صَانِعَ غيرُهُ، وَلَا رَادَّ لِأَمْرِهِ وَأَنَّ الْعَبْدَ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا مِنَ الْأَمْرِ، وَمَعْنَى الكنْزِ هُنَا: أَنَّهُ ثَوَابٌ مُدخَرٌ في الْجَنَّةِ، وَهُوَ ثَوابٌ نَفِيسٌ، كَمَا أَنَّ الكنْزَ أَنْفَسُ أَمْوَالِكُم»[2].

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّها بابٌ من أبوابِ الجنَّةِ.

فَفِي مُسْنَدِ أحمدَ بِسَنَدٍ صحيح صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ في «صَحيح التَّرغيبِ»[3] منْ حديثِ مُعاذَ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«ألا أَدُلُّكَ على بابٍ مِنْ أَبْوابِ الجَنَّةِ». قَالَ: وما هُوْ؟ قَالَ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»**.

وأَخرجَ التِّرمِذي في سُنَنِهِ بِسَنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صَحيح التَّرغِيبِ»[4] عنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عُبادةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ أباهُ دَفَعَهُ إلى النَّبِيِّ ﷺ يخدُمُهُ

(1) **«صَحيحٌ»** أخرجه الْحَاكِمُ (1/21)، وصححه الألباني في «صحيحِ الجامعِ» (2614).

(2) شَرْحُ «صَحِيح مُسْلِمٍ» لِلنَّوَويّ (17/26).

(3) **«صَحيحٌ»** أخرجه أحمَدَ (5/244)، وصححه الألباني في «صحيحِ التَّرغِيبِ» (1581).

(4) **«صَحيحٌ»** أخرجه الترمذيُّ في «سُنَنِهِ» (3581)، وصححه الألباني في «صحيحِ التَّرغِيبِ» (1582).

فأتى عَلَيَّ النَّبيُّ ﷺ وقد صلَّيتُ ركْعَتَيْنِ. قَالَ: فَضَرَبَنِيْ بِرِجْلِهِ وقَالَ: **«أَلَّا أَدُلُّكَ على بابٍ من أبوابِ الجَنَّةِ»**. قُلْتُ: بَلى قالَ: **«لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»**.

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أنَّها كَنْزٌ من كُنُوزِ الجَنَّةِ.

ففي «الصحيحينِ»[1] منْ حديثِ أبي موسى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: **«قُلْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ؛ فإنها مِنْ كَنْزِ الجَنَّةِ»**.

وفي سُنَنِ ابْنِ مَاجةَ بِسَنَدٍ صَحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صَحيحِ الترغيب»[2] منْ حديثِ أَبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِيْ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ فقالَ لي: **«يا أبا ذرٍّ ألا أَدُلُّكَ على كَنْزٍ مِنْ كُنوزِ الجَنَّةِ»**. قُلتُ: بَلى. قَالَ: **«لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»**.

وأَخْرَجَ الطَّبَرَانيُّ بِسنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الْأَلْبَانيُّ في «صَحيحِ الجامعِ»[3] منْ حديثِ أَبي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَكْثِرْ مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ؛ فإنها مِنْ كَنْزِ الجَنَّةِ»**.

قالَ الحافِظُ ابنُ حَجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ بِحَيْثُ أَنَّهُ يُدَّخَرُ لِصاحِبِها من الثَّوابِ ما يقعُ لَهُ في الجَنَّةِ مَوقِعَ الكَنْزِ في الدُّنْيا؛ لأنَّ مِنْ شَأْنِ الكانِزِ أَنْ يَعِدَّكَنْزَهُ لخَلَاصِهِ فيما يَنُوبُهُ والتَّمَتُّعِ بِهِ فِيْما يُلائِمُهُ».

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ - أَنَّهَا تُكَفِّرُ الذُّنُوبَ.

ففي مُسْنَدِ أَحمدَ بِسَنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صَحيحِ الجامعِ»[4] مِنْ حديثِ عبدِ اللهِ بْنِ عَمروٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«ما عَلى الأَرْضِ**

---

(1) رَواهُ البُخاريُّ (6384)، ومسلم (2704).

(2) **«صَحيحٌ»** أخرجَهُ ابْنُ ماجةَ (3825)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ التَّرغيبِ» (1585).

(3) **«صَحيحٌ»** أَخْرجَهُ الطبرانيُّ في «الأَوْسَطِ» (2/266)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (1205).

(4) **«صَحيحٌ»** أخرجه أحمدُ (2/158)، وصححه الألباني في «صحيحِ الجامعِ» (5636).

رجلٌ يقولُ لا إِلهَ إِلَّا اللهُ واللهُ أَكْبَرُ وسُبْحَانَ اللهِ وَالحمدُ للهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ إِلا كُفِّرَتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ وَلَوْ كانتْ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ البَحْرِ».

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّهُ مَنْ رُزِقَها عِنْدَ مَوْتِهِ لم تَمَسَّهُ النَّارُ.

ففي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ وابْنِ مَاجةَ بِسنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صَحيحِ الجامعِ»[1] مِنْ حديثِ الأغَرِّ أبي مُسْلِمٍ أَنَّهُ شَهِدَ على أَبي هُرَيْرَةَ وأَبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أَنَّهما شَهِدَا على رسولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **«إِذَا قالَ العبْدُ: لا إِلهَ إِلَّا اللهُ واللهُ أَكْبَرُ، قالَ: يقولُ اللهُ ـ تبارَكَ وتعالى ـ صَدَقَ عَبْديْ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا وَأَنَا أَكْبرُ، وإِذا قالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، قال: صَدَقَ عَبْديْ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِيْ، وإذا قالَ لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، قال: صَدَقَ عَبْدِيْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا لا شَرِيْكَ لِي، وإذا قالَ: لَا إِلَهَ إِلا اللهُ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ. قَالَ: صَدَقَ عَبْديْ لا إِلهَ إلا أنا لِيَ المُلْكُ وَلِيَ الحَمْدُ، وإذا قالَ: لَاْ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَلَا حَوْلَ وَلَاْ قُوَّةَ إِلَّا باللهِ، قالَ: صَدَقَ عَبْدِيْ لا إِلَهَ إِلا أَنَا ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِيْ»**.

ثُمَّ قالَ الأغَرُّ: شَيْئًا لَمْ أَفْهَمْهُ قُلْتُ: لِأَبِيْ جَعْفَرَ: مَاذا قَالَ؟ قَالَ: **«مَنْ رُزِقَهُنَّ عِنْدَ مَوْتِهِ لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ»**.

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّها حِرْزٌ مِنَ الشَّيْطانِ.

ففي سُنَنِ التِّرمِذيِّ والنَّسَائِيِّ بِسَنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صَحيحِ التَّرغيبِ»[2] منْ حديثِ أَنَسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ : **«إِذاْ خَرَجَ الرَّجُلُ**

---

(1) **«صَحيحٌ»** أخرجه الترمذيُّ (2/253)، وابنُ ماجه (3794)، وصححه الألباني في «صحيحِ الجامعِ» (713).

(2) أخرجَهُ التِّرمِذِيُّ (3426)، والنَّسَائِيُّ (6/26)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الترغيبِ» (1605).

مِنْ بَيْتِهِ فقَالَ: بِاسْمِ اللهِ تَوَكَّلْتُ على اللهِ ولا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ فَيُقالُ لَهُ: حَسْبُكَ قَدْ هُدِيْتَ وَكُفِيْتَ وَوُقِيْتَ فَيَتَنَحَّى لَهُ الشَيطانُ فَيقُوْلُ لَهُ شَيطانٌ آخَرُ: كَيفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِي؟».

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّ خَيرَها لَعَظِيمٌ.

ففي «صَحيح مُسْلمٍ»[1] منْ حديثِ سَعْدِ بْنِ أبي وقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جاءَ أَعرابيٌّ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقالَ: عَلِّمْنِيْ كلامًا أقولُهُ. قالَ: **«قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهْ اللهُ أَكْبَرُ كَبيرًا والحمدُ للهِ كثيرًا سبحانَ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ، لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ العَزِيزِ الحَكيْمِ»**. قالَ: فَهَؤُلاءِ لِرَبِّيْ فَما لِيْ. قالَ: **«قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِيْ وَارْحَمْنِيْ واهْدِنِيْ وارْزُقْنِيْ»**.

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ بَعْدَ الْحَيْعَلَتَيْنِ دَخَلَ الجنَّةَ.

فَفي «صَحيح مُسْلمٍ»[2] منْ حديثِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : **«إِذَا قَالَ المُؤَذِّنُ اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ فقالَ أَحَدُكُمْ اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ قالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ قالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رسولُ اللهِ، قالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رسولُ اللهِ، ثُمَّ قالَ: حيَّ على الصَّلاةِ قالَ: لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ، قال: حَيَّ على الفَلاحِ قالَ: لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ، ثُمَّ قَالَ اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ قالَ اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ قالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الجَنَّةَ»**.

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ أَنَّها سَبَبٌ فِي مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ.

---

(1) أخرجَهُ مُسْلمٌ (2696).

(2) أخرجَهُ مُسْلمٌ (385).

ففي سُنَنِ ابْنِ ماجةَ بسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الألبانيُّ في «صَحيحِ الجامعِ»[1] منْ حديثِ مُعاذِ بْنِ أَنسٍ الجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ أَكَلَ طعامًا ثُمَّ قالَ: الحَمدُ للهِ الَّذِيْ أَطْعَمَنِيْ هذا الطَّعامَ ورَزَقَنِيْهُ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّيْ وَلَا قُوَّةٍ غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، ومَنْ لَبِسَ ثَوْبًا فقالَ: الحمدُ للهِ الذي كَسانِيْ هذا الثَّوبَ وَرَزَقَنِيْهُ مِنْ غَيْرِ حَولٍ منِّيْ وَلا قُوَّةٍ غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»**.

وأَخْرَجَ النَّسَائيُّ بسَنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصحيحةِ»[2] منْ حديثِ أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ قالَ حِيْنَ يَأْوِيْ إلى فِراشِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ قَديْرٌ لَا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا باللهِ العَلِيِّ العظيْمِ وسُبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ولَا إِلَهَ إلا اللهُ واللهُ أَكْبَرُ غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوْبُهُ أَوْ خَطايَاهُ وإِنْ كانتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ»**.

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ أَنَّها مِنْ أَحَبِّ الكَلامِ إلى اللهِ.

أَخْرجَ البُخاريُّ في «الأَدَبِ المُفْرَدِ» بسَنَدٍ صحيحٍ صَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الأَدَبِ المُفْرَدِ»[3] منْ حديثِ أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: **«أَحَبُّ الكلامِ إلى اللهِ: سُبحَانَ اللهِ لا شَرِيكَ لَهُ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ولَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلا باللهِ، سُبحانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ»**.

وأَستَغْفِرُ اللهَ.

---

(1) **«حسنٌ»** أَخْرَجهُ ابنُ ماجةَ (3285)، وحَسَّنَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (6086).

(2) **«صَحيحٌ»** أَخْرَجهُ النسائي في «عَمَلِ اليَوْمِ واللَّيْلَةِ» (471)، وحَسَّنَهُ الألبانيُّ في «الصحيحةِ» (3414).

(3) **«صَحيحٌ»** أَخْرَجهُ البخاريُّ في «الأَدَبِ المُفْرَدِ» (638)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الأَدَبِ المُفْرَدِ» (ص219).

الخُطْبةُ الثّانيةُ ـ البُعدُ العَقَدِيُّ لهذِهِ الكلِمَةِ العظيمَةِ:

«لا حولَ ولا قُوةَّ إلا باللّهِ» :

الْحَمْدُ للهِ ربِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أَمَّـا بَعدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ فَضْلِ **«لا حَوْلَ ولا قُوةَ إلا باللّهِ»** وأَنَّها كلمةٌ عَظيْمةٌ جَليلةٌ ينْبَغْي على المُسلِمينِ أن يُعْنَوْا بها وأَنْ يُكْثِرُوْا من قَوْلِها، وأن يَعْمُرُوْا أَوْقاتَهمْ بكَثْرةِ تَرْدادِهَا لِعَظِيْمِ فَضْلِها عِنْدَ اللهِ والآنَ حديثِي مَعَكُمْ عَنْ البُعْدِ العَقَدِيِّ لِهذِهِ الكَلِمَةِ العظيمْةِ **«لا حَوْلَ ولا قُوةَ إلا باللّهِ»**.

فَمُقْتَضَى هذِهِ الكَلِمةِ العَظيمةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّ العَبْدَ لا يَمْلِكُ مِنْ أَمْرِهِ شَيْئًا، ولَيْسَ لَهُ حِيْلَةٌ في دَفْعِ شَرٍّ، ولا قُوَّةٌ في جَلْبِ خَيْرٍ إلا بِإِرادَةِ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ فلا تَحَوُّلَ لِلعَبْدِ مِنْ معْصِيَةٍ إلى طاعةٍ، ولا من مرضٍ إلى صِحَّةٍ، وَلا مِنْ وَهَنٍ إلى قُوَّةٍ، ولا مِنْ نُقْصانٍ إلى كمالٍ وزِيادةٍ إلا باللهِ، ولا قُوَّةَ لَهُ على القيامِ في شَأْنٍ مِنْ شُؤُوْنِهِ، أو تَحْقِيْقِ هَدَفٍ مِنْ أَهْدافِهِ أو غَايَةٍ مِنْ غاياتِهِ إلَّا باللهِ العَظِيْمِ، فما شَاْءَ اللهُ كانَ وما لمْ يَشَأْ لمْ يَكُنْ فَأَزِمَّةُ الأُمُوْرِ بِيدِهِ سُبْحانَهُ، وأمورُ الخَلائِقِ مَعْقُودةٌ بقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ يُصَرِّفُهَاْ كيْفَ يَشَاءُ ويَقْضِيْ فِيها بما يُرِيْدُ، ولا رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ فَمَا شَاءَ كانَ كما شاءَ في الوَقْتِ الَّذِيْ يَشَاءُ على الوَجْهِ الَّذِيْ يَشَاءُ مِنْ غَيْرِ زِيادَةٍ ولا نُقْصَانٍ، ولا تَقَدُّمَ ولا تَأَخُّرَ، لَهُ الخَلْقُ والأَمْرُ وَلَهُ المُلْكُ وَالحَمْدُ، وَلَهُ الدُّنْيا والآخِرَةُ ولَهُ النِّعْمَةُ والفَضْلُ ولَهُ الثَّنَاءُ الحَسَنُ شَمَلَتْ قُدْرَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ .

قَالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (يس : 82).

وَقَالَ تَبارَكَ وتعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ (فاطر : 2).

وبما أنَّ هذا الشأن العظيم لا ينبغي لغيره ـ سُبْحَنَهُ ـ فإنه من الوجب الإسْلامُ لأُلُوْهِيَّتِهِ والاسْتِسْلَامُ لِعَظَمَتِهِ، وتَفْوِيْضُ الأُمورِ كُلِّها إِلَيْهِ، والتَّبَرُّؤُ مِنَ الحَوْلِ والقُوَّةِ إِلَّا بِهِ، وَلِهذاْ تَعَبَّدَ اللهُ عِبادَهُ بِذِكْرِهِ بِهَذِهِ الكَلِمَةِ العَظِيْمةِ الَّتِيْ هي بابٌ عَظيمةٌ مِنْ أَبْوابِ الجَنَّةِ وكَنْزٌ مِنْ كُنُوْزِهَا.

فَهِيَ كَلِمَةٌ عَظِيْمةٌ تَعْنيْ الإخلاصَ لِلهِ وَحْدَهُ بالاسْتِعانَة، كما أَنَّ كَلِمَةَ التَّوْحِيْدِ (لَاْ إِلهَ إِلَّا اللهُ) تَعْنيْ الإِخْلاصَ لِلهِ في العِبادَةِ، فَلا تَتَحَقَّقُ (لَاْ إِلهَ إِلَّا اللهُ) إِلَّا بِإِخْلاصِ العبادةِ كُلِّها لِلَّهِ، ولا تَتَحَقَّقَ (لاْ حَوْلَ وَلَاْ قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ) إِلّا بِإِخْلاصِ الاسْتِعانةِ كلِّها لِلهِ وَقَدْ جَمَعَ اللهُ بَيْنَ هذَيْنِ الأَمْرَيْنِ في سُورةِ الفاتِحَةِ أَفْضَلِ سُوْرَةٍ في القُرْآنِ وذلِكَ في قَوْلِهِ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ .

فَالْأَوَّلُ تَبَرُّؤٌ مِنَ الشِّرْكِ، والثَّاني تَبَرُّؤٌ مِنَ الحَوْلِ والقُوَّةِ وتَفْوِيْضٌ إلى اللهِ ـ عزَّ وجَلَّ ـ والعِبادةُ مُتَعَلِّقَةٌ بأُلُوْهِيَّة للهِ سُبْحانَهُ، والاسْتِعَانَةُ مُتَعَلِّقَةٌ بِرُبُوْبِيَّتِهِ، العِبادَةُ غايَةٌ والاسْتِعَانَةُ وَسِيْلَةٌ، فَلا سَبيلَ إلى تَحْقِيْقِ تِلْكَ الغايَةِ العَظِيْمَةِ إِلَّا بهذِهِ الوَسِيْلَةِ الاسْتعانةِ باللهِ الَّذِيْ لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ[1].

اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضَدُنَا ونَصِيرُنا بِكَ نَحُوْلُ وَبِكَ نَصُوْلُ وَبِكَ نَسْتَعِيْنُ عَلى أُمُوْرِ الدُّنْيا والدِّيْنِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ.

(1) انْظُرْ «الحَوْقَلَةُ مَفْهومها ودَلالَتُها العَقَدِيَّةُ» لعبدِ الرَّزَّاقِ البَدْرِ (11-12).

13 السَّعادَةُ

الخُطْبةُ الأُولى :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ (آل عمران : 102).

ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ (النساء : 1).

ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب :70 - 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ـ ﷺ ـ ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ ـ فحديثي معكُمْ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ عَنِ **«السَّعَادَةِ»**.

السَّعادةُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ وما أَدْراكُمْ ما السَّعادةُ إِنَّهَا الشُّعُوْرُ المسْتَمِرُّ بالغِبْطَةِ والطُّمَأْنِيْنَةِ والأَرِيْحَةِ والبَهْجَةِ، فَهِيَ ضِدُّ الشَّقَاوَةِ.

والسَّعادةُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ لَيْسَتْ في المالِ ولا في المُلْكِ ولا في الاسْتِمْتَاعِ بما أَوْدَعَ اللهُ في الحَيَاةِ، إِنَّما السَّعادَةُ جعَلَها اللهُ مِنْ نَصِيْبِ مَنِ اتَّبَعَ هُدَاهُ.

قالَ اللهُ ـ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ ـ : ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ (النحل :97).

قالَ الشَّنْقِيْطِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «ذَكَرَ ـ جَلَّ وَعَلا ـ في هذِهِ الآَةِ الكَرِيْمَةِ أَنَّ كُلَّ عامِلٍ سواءً أَكانَ ذَكَرًا أَوْ أُنْثى عَمِلَ عَمَلًا صالحًا فَإِنَّهُ ـ جَلَّ وَعلا ـ يُقْسِمُ لَنُحْيِيَنَّهُ حياةً طَيِّبَةً وَلَيَجْزِيَنَّهُ أَجْرَهُ بأَحْسَنِ ما كانَ يَعْمَلُ.

وقالَ: وفي الآيةِ الكَرِيْمةِ قَرِيْنةٌ تَدُلُّ على أَنَّ المُرادَ بالحياةِ الطَّيِّبَةِ في الآيَةِ حيلتُهُ في الدُّنْيا حياةً طَيِّبَةً وتِلْكَ القرينةُ هِيَ أَنَّنا لَوْ قَدَّرْنَا أَنَّ المُرادَ بالحياةِ الطيِّبَةِ حياتُهُ في الجَنَّةِ في قولِهِ ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ صارَ قولُهُ: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ ، تكْرَارًا مَعَهُ؛ لِأَنَّ تِلْكَ الحَياةَ الطَّيِّبَةَ هِيَ أَجْرُ عَمَلِهِمْ بِخِلَافِ مَاْ لَو قَدَّرْنَا أَنَّهَاْ فِيْ الحَياةِ الدُّنْيا؛ فَإِنَّهُ يَصِيْرُ المعْنى: فَلَنُحْيِيَنَّهُ في الدُّنْيا حياةً طَيِّبَةً وَلَنجْزِيَنَّهُ في الآخرةِ بأَحْسَنِ ما كانَ يَعْمَلُ»[1].

وقالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ (طه : 123).

قالَ في نوادرِ الأُصُولِ: «تابعُ القُرآنِ قد أُجِيْرَ مِنْ شَقَاءِ العَيْشِ في الدُّنْيا، لِرَاحَةِ قَلْبِهِ منْ غُمومِ الدُّنْيا وظُلُماتِها، وسَيْرِهِ في الأُمورِ بقَلْبِهِ في رَاحَةٍ؛ لِأَنَّهُ مُنْشَرِحُ الصَّدْرِ وَاسِعُهُ وَبَدَنُهُ في رَاحةٍ؛ لِأَنَّهُ مُيَسَّرٌ عَلَيْهِ؛ لِطُمَأْنِ اللهِ واكْتِنافِهِ لَهُ؛ وَكَذَاْ يُجارُ في الآخِرةِ منْ شَقاءِ العَيْشِ في سُجونِ النِّيْرانِ أَعاذَنَا اللهُ مِن ذَلِكَ»[2].

أَيُّهَا النَّاسُ كمَا قَضَى اللهُ ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ أَنَّ السَّعادَةَ مِنْ نَصِيْبِ مَنِ اتَّبَعَ هُدَاهُ؛ فَإِنَّهُ ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ جعلَ الشَّقَاوَةَ لِمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِهِ ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ وتِلْكَ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ سُنَّةُ اللهِ ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ .

قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ (طه : 124).

---

(1) «أضواء البيان» (222/17).

(2) «البحر المديد» لابن عجيبة (336/3).

أَيْ عَيْشًا ضَيِّقًا؛ لِأَنَّ مَجَامِعَ هِمَّتِهِ، ومطامِعَ نَظَرِهِ مَقْصُورَةٌ على أَعْراضِ الدُّنْيَا، وهو مُتهَالِكٌ عَلى ازْدِيادِها خائفًا مِنْ انْتِقَاصِهَا، بخلافِ المؤْمِنِ الطالبِ للآخِرَةِ، فَإِنَّ نورَ الإيْمانِ يُوجِبُ لَهُ القَنَاعَةَ الَّتي هِيَ رَأْسُ الغِنَى وَسَبَبُ الرَّاحَةِ، فَيَحْيَا حياةً طَيِّبَةً[1].

فَتَبيَّنَ لكمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّ السَّعادةَ الحقَّةَ إِنمَّا هي في طاعةِ اللهِ ومَحَبَّتِهِ والقُرْبِ مِنْهُ، فلَيْسَ هناكَ أَحَدٌ يُحَبُّ لِذاتِهِ إلَّا اللهُ وكُلُّ ما سِواهُ فَإِنَّما يُحَبُّ تبَعًا لِمَحَبَّتِهِ.

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَاْحِصْ أَنْ يَكُونَ هَمُّكَ واحِدًا وَأَنْ يكونَ هُوَ اللهُ وَحْدَهُ فَهذا غايَةُ سعادةِ العَبْدِ، وصَاحِبُ هذا الحالِ في جَنَّةٍ مُعَجَّلةٍ قَبْلَ جَنَّةِ الآخِرَةِ وفي نَعِيْمٍ عاجلٍ كما قالَ بَعْضُ الواجِدِيْنَ إِنَّهُ لَيَمُرُّ على القَلْبِ أَوْقَاتٌ أَقُولُ: إِنْ كانَ أَهْلُ الجنَّةِ في مِثْلِ هَذا إِنَّهُمْ لَفِي عَيْشٍ طَيِّبٍ. وقالَ آخَرُ: إِنَّهُ لَيَمُرُّ بالقَلْبِ أَوقاتٌ يَرْقُصُ فيها طَرَبًا، وقالَ آخَرُ: مَسَاكِيْنُ أَهْلُ الدُّنْيا خَرَجُوا مِنْها وما ذَاقُوا أَطْيَبَ ما فِيْها قِيْلَ لَهُ: وما أَطْيَبُ ما فِيْها؟ قالَ: مَعْرِفَةُ اللهِ ومَحَبَّتُهُ والأُنْسُ بِقُرْبِهِ والشَّوقُ إلى لِقائِهِ»[2].

وللسَّعادةِ أسبابٌ، فَمِنْ أَسْبابِ السَّعادةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ الإِيْمانُ باللهِ والعَمَلُ الصَّالِحُ.

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ (النحل: 97).

وقالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ (طه: 123).

وَمِنْ أَسْبابِ السَّعادةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ الإِيْمانُ بِالقَضَاءِ والقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

---

(1) «البحر المديد» لابن عجيبة (4/465).

(2) «رسالةُ ابنِ القَيِّمِ إلى أَحَدِ إِخْوانِهِ» (ص30).

فالمُؤْمِنُ بِقضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ سَعِيدٌ؛ لِعِلْمِهِ بشأَنَّ اللهَ لا يَقْضِيْ قَضَاءً إِلَّا وَفِيْهِ تَمامُ العَدْلِ والرَّحْمَةِ والحِكْمَةِ.

كما قال ابْنُ ناصِرِ الدِّيْنِ الدِّمَشْقِيُّ:

يَجْرِيْ القَضَاءُ وفِيْهِ الخَيْرُ نَافِلَةً ○●○ لِمُؤْمِنٍ واثِقٍ باللهِ لَا لَاهِيْ

إِنْ جَاءَهُ فَرَحٌ أَوْ نَابَهُ تَرَحٌ ○●○ فِيْ الحَالَتَيْنِ يَقُوْلُ: الحَمْدُ للهِ

وَمِنْ أَسْبابِ السَّعادةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ العِلْمُ الشَّرْعِيُّ؛ فالعُلَماءُ العارِفونَ باللهِ هُمُ السُّعَداءُ؛ لِأَنَّ قلُوبَهُمْ مُطْمَئِنَّةٌ رَاضِيَةٌ.

قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ عَنْ قارُوْنَ: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ (القَصَص: 79-80).

فتَأَمَّلُوا ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ إلى قَوْلِ أَهْلِ العِلْمِ لِلْمُتَهَالِكِيْنَ على الدُّنْيا: ﴿ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾.

فَلِلَّهِ تِلْكَ العِزَّةُ وتِلْكَ القَناعةُ وتِلْكَ الطُّمأْنِيْنَةُ الَّتِي تَحَلَّى بِها العُلماءُ؛ فَمَنْ رامَ السَّعادةَ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ وَأَحبَّ أَنْ يَنْظُرَ لَهَا رَأْيَ عَيْنٍ فَلْيَنْظُرْ إلى وُجُوهِ أَهْلِ العِلْمِ بِاللهِ الذِينَ يَخْشَوْنَهُ حَقَّ خَشْيَتِهِ.

وَمِنْ أَسْبابِ السَّعادةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ الإِكْثارُ مِنْ ذِكْرِ اللهِ وقِراءَةُ القُرآنِ.

قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الرَّعْد: 28).

وَقالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ (طه: 124).

وَمِنْ أَسْبابِ السَّعادةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ قِصَرُ الأَمَلِ وعَدَمُ التَّعَلُّقِ بالدُّنْيا واتِّخاذُها مَعْبَرًا لا مَقَرًّا.

ففي «صَحيحِ البخاريِّ»[1] مِنْ حديثِ عَبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**كُنْ فِي الدُّنْيا كَأَنَّكَ غَرِيْبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيْلٍ**».

فَمَنْ كَانَ فِيْ هَذِهِ الحياةِ غَرِيْبًا فَإِنَّهُ لَنْ يُنازِعَ أَهْلَها ولنْ يُقاتلَهُمْ على حُطامِها قَدْ خلا قلبُهُ مِنْ همومِها وأَكْدارِها فَهُوَ مِنْ أَسْعدِ النَّاسِ.

وَمِنْ أَسْبابِ السَّعادةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ سَلامةُ الصَّدْرِ لِلْمُسْلِمِيْنَ ومَتى اضْطَرَّ لِلْرَّدِّ على غيرِهِ كان ردُّهُ بالَّتِيْ هي أَحْسَنُ.

قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ (فُصِّلَتْ: 34-35).

وَمِنْ أَسْبابِ السَّعادةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنْ يَنْظُرَ المَرْءُ إلى مَنْ هُوَ دُونَهُ في أُمُورِ الدُّنْيا وإلى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ في أُمورِ الآخِرَةِ.

قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ (طه: 136).

وَفِيْ «صحيحِ مُسْلِمٍ»[2] منْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**انْظُرُوا إلى مَن هُوَ دُونَكُمْ وَلا تَنْظُرُوا إلى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ فَهُوَ أَجْدَرُ أَلَّا تَزْدَرُوْا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ**».

وفي رِوايَةٍ للبُخاريِّ[3]: «**إذا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إلى مَنْ فُضِّلَ عليْهِ في المالِ والخَلْقِ فَلْيَنْظُرْ إلى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ**».

(1) رَواهُ البُخاريُّ (6416).
(2) رَواهُ مُسْلمٌ (2963).
(3) رَواهُ البُخاريُّ (6125).

وَمِنْ أسْبابِ السَّعادةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ حِفْظُ اللِّسَانِ إلَّا مِنَ الخَيْرِ.

فَمَنْ حَفِظَ لِسانَهُ سَعُدَتْ نَفْسُهُ واطْمَأَنَّ قَلْبُهُ وفازَ بِرِضوانِ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ ؛ ففي «صحيحِ البُخاريِّ»[1] منْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**إنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ من سَخَطِ اللهِ لا يُلقِي لها بالاً يَهْوِيْ بها في جَهَنَّمَ**».

وفي رِوايةٍ: «**يَزِلُّ بها في النَّارِ أبْعَدَ مما بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ**».

وفي «الصَّحيحَيْنِ»[2] منْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**مَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**».

وَمِنْ أسْبابِ السَّعادةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ إدْخالُ السُّرورِ على قُلُوبِ النَّاسِ.

وهذِهِ الأعمالِ مُتْعَةٌ وَلِذَّةٌ وسَعادةٌ يَجِدُها العبدُ في الدُّنْيا، فَضْلًا عَنِ الأجرِ العَظيمِ يومَ القيامَةِ؛ ففي «الصَّحيحَيْنِ»[3] منْ حديثِ أبي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبيِّ ﷺ : «**على كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ**». قالَ: أَرَأَيْتَ إنْ لَمْ يَجِدْ؟ قالَ: «**يَعْمَلُ بِيَدِهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ ويَتَصَدَّقُ**». قالَ: أَرَأَيْتَ إنْ لَمْ يسْتَطِعْ؟ قالَ: «**يُعِيْنُ ذَا الحاجَةِ والمَلْهُوْفَ**».

وَمِنْ أسْبابِ السَّعادةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ اليَقِينُ بِأَنَّ سعادةَ المؤْمِنِ الحَقيقيةَ في الآخِرَةِ لا في الدُّنيا؛ قال اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ (هود: ١٠٨).

ومَعْنى غيرَ مَجْذُوْذٍ: أَيْ غَيْرَ مقْطُوعٍ ولا مَمْنوعٍ.

---

(1) رَواهُ البُخاريُّ (6478).

(2) رَواهُ البُخاريُّ (6018)، ومُسْلمٌ (47).

(3) رَواهُ البُخاريُّ (1445)، ومُسْلمٌ (1008).

وفي «صحيحِ مُسلمٍ»[1] منْ حديثِ أبي هُريْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**الدُّنيا سِجْنُ المُؤْمِنِ وجَنَّةُ الكَافِرِ**».

ومِمَّا جاءَ في شَرْحِ هذا الحَديثِ ما ذَكَرَهُ ابْنُ عُثَيْمِيْنَ رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «ذَكَرُوا عَنِ ابْنِ حَجَرِ العَسْقَلانيِّ شارِحِ البُخاريِّ بالشَّرحِ الَّذِيْ سمَّاهُ «فَتْحُ البَارِيْ» وَكَانَ قاضِيَ القُضاةِ بِمِصْرَ، أَنَّهُ مارٌّ ذَاتَ يَوْمٍ وهُوَ على عَرَبَتِهِ تَجُرُّهُ البِغَالُ والنَّاسُ حَوْلَهُ، مَرَّ بِرَجُلٍ يَهُودِيٍّ سَمَّانٍ يعني يَبِيْعُ السَّمْنَ والزَّيْتَ، ومِنَ المَعْلومِ أَنَّ الَّذِيْ يَبِيْعُ السَّمْنَ والزَّيتَ ثِيَابُهُ وَسِخَةٌ وحالُهُ سَيِّئَةٌ فأَوْقَفَ العَرَبَةَ وقالَ لابْنِ حَجَرٍ: إِنَّ نَبِيَّكُمْ يقول: «**الدُّنْيا سِجْنُ المُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الكافِرِ**» فكَيْفَ أَنَا أَكُونُ بِهذِهِ الحالِ وأَنْتَ بِهذِهِ الحَالِ؟

فقال لَهُ ابْنُ حَجَرٍ على البَدِيْهَةِ: أَنَا بالنِّسْبَةِ لما أعدَّ اللهُ لِلْمُؤمنيْنَ من الثَّوابِ والنَّعِيْمِ؛ لأَنَّ الدنيا بالنِّسْبَةِ لِلآخِرَةِ ليْسَتْ بِشَيْءٍ كما قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ مَوْضِعَ سَوْطٍ في الجَنَّةِ خيرٌ مِنَ الدُّنيا وما فِيْها**» (أَخْرَجَهُ التِّرمِذِيُّ وذَكَرَّهُ الألبانيُّ في «صحيحِ التَّرغِيبِ»[2] منْ حديثِ أبي هُريْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقَالَ حسنٌ صحيحٌ).

وأما أنت أَيُّها اليَهوديُّ: فأنت في جَنَّةٍ بالنِّسْبَةِ لما أُعِدَّ لَكَ مِن العذابِ إنْ مِتَّ على الكفْرِ فاقْتَنَعَ ذلكَ اليَهُوديُّ وصارَ ذلكَ سَبَبًا في إسلامِهِ وقال: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وأَنَّ مُحمدًا رسولُ اللهِ»[3].

وأَسْتغْفِرُ اللهَ.

---

(1) رَواهُ مُسْلمٌ (2956).

(2) «**حسنٌ صحيحٌ**» أَخْرجَهُ التِّرمِذِيُّ (3017)، وذَكَرَهُ الأَلبانيُّ في «صحيحِ التَّرغيبِ» (3767) وقالَ: حسنٌ صَحيحٌ.

(3) تَفْسِيرُ ابنِ عُثيمينَ (2/30) تفسير سورة اللَّيْلِ.

الخُطْبةُ الثّانيةُ ـ موانِعُ السَّعادَةِ :

الْحَمْدُ للهِ ربِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أَمَّا بَعدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ «**السَّعادَةِ وأسبابِ الحُصُولِ عليها**» والآنَ حديثِي مَعَكُمْ عَنْ «**موانعِ السَّعادةِ**».

أيُّها النَّاسُ هناكَ موانعُ كثيرةٌ للسَّعادةِ تَحُوْلُ دُوْنَ الوُصولِ إِلَيْها[1].

فمِنْ تلكَ الموانعِ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ الكفرُ باللهِ. قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ (الأنعام : 125).

فالمَعْنَى ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّ الكافرَ مَثَلَهُ في الضِّيْقِ والضَّنكِ مَثَلُ مَنْ يَصْعَدُ إلى الطَّبقاتِ العُلْيا مِنَ السَّماءِ إذ يَشْعُرُ بضِيْقٍ في التنَفُّسِ وكُلَّما تزَايَدَ صُعودُهُ تَزَايدَ شُعورُهُ بضِيْقٍ في التَنَفُّسِ، ومعْلُومٌ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّ الطَّبقاتِ العُليا مِنِ السَّماءِ لا أُكْسُجِيْنَ فِيْها فهَكذَا حالُ الكافِرِ في ضِيْقٍ وَكَرْبٍ وَهَمٍّ وَغَمٍّ.

ومنْ موانعِ السَّعادةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ الخوفُ من غَيْرِ اللهِ؛ لِأَنَّهُ يُوْرِثُ الشَّقاءَ والذِّلَّةَ، والمؤمنُ لا يَخافُ إلا اللهَ ـ جَلَّ جلالُهُ ـ .

قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ (آل عمران : 175).

وأَصْلُ الخَوْفِ مِن اللهِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عِبادةٌ عظيمةٌ لا تَستَقِيمُ العبادةُ إلَّا بِها ولا يَسْتقيمُ الإيمانُ إلَّا بالخَوْفِ.

---

(1) انظر«السعادةُ بينَ الوَهْمِ والحقيقَةِ» (ص12) وقد اسْتفدْتُ مِنْهُ في إعْدادِ هذِهِ الخُطْبَةِ جَزَى اللهُ مؤلِّفَهُ خَيْرًا.

والخَوفُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ ينْقَسِمُ إلى ثلاثَةِ أَقْسَامٍ:

ـ **القِسمُ الأوَّلُ:** الخَوفُ من اللهِ ـ عزَّ وجَلَّ ـ وهو أَوْجَبُها وأَعْظَمُها، وهذا صَرْفُهُ لِغَيْرِ اللهِ شِرْكٌ فَمَنْ خافَ مِن الأَصْنامِ والأَوْثانِ والأَشْجارِ وغيرِها ويَعْتَقِدُ فِيْهَا أَنَّها تَضُرُّ أَوْ تَنْفَعُ فَهَذا مِنَ الشِّرْكِ الأَكْبَرِ.

ـ **والقِسْمُ الثَّاني:** خَوْفٌ يَحْمِلُ صاحبَهُ على فِعْلِ مَعْصِيةٍ أَوْ تَرْكِ واجبٍ مِنْ خَوْفِ المَخلوقِينَ فهذا مُحَرَّمٌ.

ـ **والقِسْمُ الثَّالِثُ:** الخوفُ الطَّبِيْعِيُّ كَخوْفِهِ من الحيَّةِ والعَقْربِ واللُّصوصِ فَهذا الخَوفُ جائزٌ لا مَحْذُورَ فِيْهِ[1].

ومنْ موانعِ السَّعادةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ الغَضَبُ.

فمنْ تَحكَّمَ فيه غَضَبُهُ لَنْ يجِدَ طَعْمَ السَّعادةِ ومن تحكَّمَ في غَضَبِهِ ساعَدَهُ على مُواجَهَةِ الصِّعابِ والتَّغَلُّبِ على العَقَباتِ.

وَقَدْ أَثْنَى اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ على الَّذِينَ يتحكَّمُونَ بأَنْفُسِهِمْ عندَ الغَضَبِ.

فقالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : **﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾** (آل عمران: 134).

وقالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ في وَصفِ عِبادِهِ المُؤْمنِينَ: ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (الشورى: 37).

كَمَا بَيَّنَ النَّبيُّ ﷺ أَنَّ قُوةَ النَفْسِ لَيْسَتْ بالبَطْشِ وإنَّما بالتحكُّمِ بها والأَخْذِ بزِمَامِها ففي «الصَّحِيْحَيْنِ»[2] منْ حديثِ أَبي هُريْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**لَيْسَ الشَّدِيْدُ بالصُّرعَةِ، إِنَّما الشَّديدُ الَّذِيْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ**».

---

(1) انظر «التَّعْلِيقاتُ البَازِيَّةُ على كتابِ التَّوحِيْدِ» (1/52).

(2) رَواهُ البُخاريُّ (5763)، وَمُسْلمٌ (2609).

وفي «صحيحِ البُخاريِّ»[1] منْ حديثِ أبي هُرِيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ رَجُلًا قالَ للنَّبِيِّ ﷺ : أَوْصِنِيْ. قال: «**لَا تَغْضَبْ**».

قال ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : «إِنَّ أَعْظَمَ ما يَنْشَأُ عَنِ الغَضَبِ الكِبْرُ؛ لِكَوْنِهِ يَقَعُ عِنْدَ مُخالَفَةِ أَمْرٍ يُرِيْدُهُ فَيَحْمِلُهُ الكِبْرُ على الغَضَبِ، فالَّذِيْ يتَواضَعُ حتَّى تَذْهَبَ عنهُ عِزَّةُ النَّفْسِ يَسْلَمُ مِن شَرِّ الغَضَبِ»[2].

ومنْ موانعِ السَّعادةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ الظُّلْمُ. فَإِنَّ الظُّلمَ مَرْتَعُهُ وَخِيْمٌ وعاقِبَتُهُ سَيِّئَةٌ.

ففي «صَحيحِ البخاريِّ»[3] مِنْ حديثِ عَبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**اتَّقُوْا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُماتٌ يَوْمَ القِيامَةِ**».

وفي «صحيحِ مُسْلمٍ»[4] منْ حديثِ أبي هُرِيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**لا تحاسَدُوْا، وَلَا تَنَاْجَشُوْا، ولا تَبَاغَضُوْا، وَلا تَدَابَرُوْا ولا يَبِيعْ بَعْضُكُمْ على بَيْعِ بَعْضٍ، وكُونُوا عبادَ اللهِ إِخْوانًا، المُسْلمُ أخو المسْلمِ: لا يظْلِمُهُ، ولا يَخْذُلُهُ، ولا يَحْقِرُهُ، التَّقْوى ها هُنَا** ـ ويُشيرُ إلى صَدْرِهِ ثَلاثَ مرَّاتٍ ـ **بِحَسْبِ امرِيءٍ من الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخاه المسْلمَ، كُلُّ المُسْلِمِ على المُسْلِمِ حَرامٌ، دَمُهُ، ومالُهُ وَعِرْضُهُ**».

قال ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : «فَإِذا كانَ المؤْمِنونَ إخوةً أَمَرُوا فِيْما بينَهم بما يُوجِبُ تآلُفَ القلُوبِ واجْتِماعِهَا، ونَهَوْ عمَّا يُوجِبُ تَنافُرَ القُلوبِ واخْتِلافِها»[5].

---

(1) رَواهُ البُخاريُّ (5765).

(2) «فَتْحُ البَارِيْ» (10/520).

(3) رَواهُ البُخاريُّ (2447) من حديثِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وأَخْرَجَهُ مُسلمٌ (2578) من حديثِ جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(4) رَواهُ مسلمٌ (2564).

(5) «جامِعُ العُلومِ والحِكَمِ» (1/336).

اللَّهُمَّ أصْلِحْ لنا دينَنَا الَّذِيْ هو عِصْمَةُ أَمْرِنا وَأَصْلِحْ لَنا دُنْيانا التي فيها مَعاشُنا، وأَصْلِحْ آخِرَتَنا الَّتي فيها معادُنا، واجْعَلِ الحياةَ زِيادَةً لنا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ والموتَ راحةً لنا منْ كلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ رحْمتَكَ نَرْجُو فلا تَكِلْنا إلى أَنْفُسِنا طَرْفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ لَنا شَأْنَنا كُلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ.

14 فضائلُ اليَمَنِ في الكتابِ والسُنَةِ[1]

الخُطْبةُ الأُولى :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ (آل عمران : 102).

ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ (النساء : 1).

ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب :70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ـ ﷺ ـ ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ ـ فحديثي معكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنِ **«فضائِلِ اليَمَنِ وأَهْلِهَا»**.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِأَهلِ اليَمَنِ مِنَّةً على كثيرٍ مِنْ أهل بلادِ اللهِ فَمِنْهُمُ المُجاهِدونَ والفاتِحُونَ ومنْهمُ القادَةُ المُصْلِحُونَ، ومنهُمُ العُلماءُ الرَّبَّانِيُّونَ، ومنهمُ الدُّعاةُ العامِلُونَ.

فَمِنْ حِفْظِ الجَميلِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنْ نَذْكُرَ ما جاءَ في فَضْلِ هذا البَلَدِ الطَّيِّبِ الطَّيِّبِ أَهْلُها في الكتابِ وصحيحِ السُّنَّةُ.

فَمِنْ فضَائِلِ اليَمَنِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ :

---

(1) انظرْ كتابَنا «بَلْدةٌ طَيِّبَةٌ» ففيهِ تفصيلُ ما أُجْمِلَ هُنا وهذِهِ الخُطْبَةُ مِنْهُ.

قولُ اللهُ ـ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ ﴾ (سَبَإ : 15).

فَسبأ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ قَبيلةٌ عَظيمَةٌ في اليَمَنِ سَمَّتِ اليَمَنَ بِاسْمِها وهي «بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ» ولا تزالُ كَذلِكَ لأنَّ مِنْ مِيْزَاتِ كلَامِ اللهِ الخُلُودَ فَيُؤْخَذُ مِنْهُ أَنَّ طِيْبَةَ هذا البَلَدِ أَمْرٌ مُسْتَمِرٌّ إلى يَومِ القيامَةِ.

ولأهْلِ هذا البَلَدِ الطَّيِّبِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ مَناقِبُ.

فمِنْ مناقِبِ أَهْلِ اليَمَنِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّ اللهَ وصَفَهُمْ بأَوصافٍ عظيمَةٍ، فقالَ سُبحانَهُ وتَعالَى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ (المَائِدَة : 54).

وَهَذِهِ الآيَةُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ نَزَلتْ في أَهْلِ اليَمَنِ؛ فَقدْ أَخْرجَ الحاكِمُ في «مُسْتَدْرَكِهِ» وابنُ أَبي شَيْبَةَ في «مُسْنَدِهِ» وابْنُ جَرِيرَ في «تَفْسِيرِهِ» والطَّبَرانيُّ في «الكَبيْرِ» بِسَنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألْبانِيُّ في «الصَّحيحَةِ»[1] منْ حديثِ عِياضٍ الأَشعَريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: لمَّا نَزَلَتْ هذِهِ الآيةُ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾. أَوماً رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أَبي موسى بشيْءٍ كانَ مَعَهُ، فقالَ: «**هُمْ قَومُ هذا**».

ومِنْ مناقِبِ أَهْلِ اليَمَنِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّ اللهَ وصَفَهُمْ أَنَّهُمْ يَدْخُلونَ في دينِ اللهِ أَفْواجًا.

قالَ اللهُ ـ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ ﴾ (النَّصْر : 1-2).

---

(1) «**صَحيحٌ**» أَخْرَجَهُ الحاكمُ (313/2)، وابنُ أَبي شَيْبَةَ في «مُسْنَدِهِ» (125/12)، وابْنُ جَريرَ في «تَفْسيرِهِ» (12193)، والطَّبَرانيُّ في «الكَبيْرِ» (371/17)، وصحَّحَهُ الألْبانِيُّ في «الصَّحيحَةِ» (3368).

وهذِهِ الآيةُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ نَزَلَتْ فِي أَهْلِ اليمنِ.

فقدْ أَخْرجَ عبدُ الرَّزَّاقِ الصَّنعانيُّ في «تَفْسيرِهِ» وتلميذُهُ الإمامُ أحمدُ في مُسنَدِهِ مِنْ طَرِيقِ عبدِ الرَّزاقِ بسَنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الأَلْبانيُّ في «الصَّحيحَةِ»[1] منْ حديثِ أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: لمَّا نَزَلَتْ هذِهِ الآيةُ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ . قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**أَتاكُمْ أهلُ اليمنِ؛ هُمْ أرَقُّ قُلوبًا، الإيمانُ يَمانٍ، والفِقْهُ يمانٍ، والحِكْمَةُ يَمانِيَّةٌ**».

وأَخْرجَ الطبرانيُّ في «الكَبيْرِ» والنسَّائِيُّ في «الكَبْرَى» والبُخاريُّ في «التَّاريخِ» بسَندٍ حَسَنٍ حسَّنَهُ الألبانيُّ في «الصَّحيحَة»[2] مِنْ حديثِ ابنِ عبَاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: كُنَّا عندَ النَّبيِّ ﷺ فَنزَلَتْ: ﴿إِذَا جَآءَ﴾ فقالَ: «**هُمْ أَهْلُ اليمنِ**».

وأَخْرجَ ابنُ حبانَ في مَوارِدِهِ بسَنَدٍ صحيحٍ لِغَيْرِهِ قالهُ الأَلبانيُّ في «التعليقاتِ الحِسانِ»[3] مِنْ حديثِ ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: بَيْنَما النَّبيُّ ﷺ بالمدينة؛ إذْ قالَ: «**اللهُ أَكْبَرُ! اللهُ أَكْبَرُ! جَاءَ نَصْرُ اللهِ والفَتْحُ، وجاءَ أَهْلُ اليَمنِ، قومٌ نَقِيَّةٌ قُلُوبُهُمْ، لَيِّنَةٌ طباعُهُمْ الإيمانُ يَمانٍ والفِقْهُ يَمانٍ، والحِكمةُ يَمانِيَّةٌ**».

أَيُّهَا النَّاسُ سُنَّةُ النَّبيِّ ﷺ حافِلةٌ بالثَّناءِ الحَسَنِ على أَهلِ اليَمنِ وذِكْرِ فضائِلِهِمْ.

فمن فضائِلِ اليَمنِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ ما جاءَ في «الصَّحيحَيْنِ»[4] منْ حديثِ أبي هُريْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**أَتاكُمْ أَهْلُ اليمنِ، أَرَقُّ أَفْئِدَةً وأَلْيَنُ**

---

(1) «**صَحيحٌ**» أَخْرَجَهُ عبدُ الرزَّاقِ في «تفسيرِهِ» (2/404)، وأحمد في «مُسْنَدِهِ» (7709) مِنْ طريقِ عبدِ الرزَّاقِ ـ أَيضًا ـ، وصحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ في «الصَّحيحَةِ» (3369)

(2) «**حَسَنٌ**» أخْرجَهُ الطَّبَرَانِيُّ في «الكَبيرِ» (11903)، والنسَّائيُّ في «الكُبْرى» (5/172)، والبُخاريُّ في «التَّاريخِ» (3/195)، وحسَّنَهُ الأَلبانيُّ في «الصَّحيحةِ» (3369).

(3) «**صحيح لغَيْرِهِ**» أخْرجَهُ ابنُ حِبَّانَ في مواردِهِ (2299) وقال الألبانيُّ في «صحيحُ مواردِ الظَّمآنِ» (1957) صحيحٌ لِغَيْرِهِ.

(4) رَواهُ البُخاريُّ (4390)،ومسلمٌ (52).

قُلُوبًا، الإِيمَانُ يمَانٍ والحِكْمةُ يَمَانِيَّةٌ، والفَخْرُ والخُيَلاءُ في أَصْحابِ الإِبِلِ، والسَّكِينَةُ والوَقَارُ في أَهْلِ الغَنَمِ».

وفي لَفْظٍ آخَرَ في «الصَّحيحَيْنِ»[1] - أيْضًا - منْ حديثِ أبي هُريْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**أَتَاكُمْ أَهْلُ اليَمنِ، أَضْعَفُ قُلُوبًا، وأَرَقُّ أَفْئِدةً الفِقْهُ يَمانٍ، والحكمةُ يمانيةٌ**».

ومِنْ فضائِلِ أهلِ اليمنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُمْ يَشْرَبونَ من حَوضِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبلَ غَيرِهِمْ.

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[2] منْ حديثِ ثَوْبانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّيْ لَبِعُقْرِ حَوْضِيَ أذُودُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ (أَيْ أطْردُ النَّاسَ عَنْه غَيْرَ أهلِ اليَمَنِ) حتَّى يَرْفَضَّ عليهِمْ (أَيْ: حتَّى يَسِيْلَ عَليهِمْ)**» فسُئِلَ عن عَرْضِهِ فقال: «**مِنْ مَقامِيْ إلى عَمَّانَ**» وسُئِلَ عن شَرابِهِ فقال: «**أَشَدُّ بيَاضًا من اللَّبَنِ وأَحْلَى مِنَ العَسَلِ، يَغَتُّ فيه ميزابانِ يَمُدَّ انِهِ من الجَنَّةِ أَحَدُهُما من ذَهَبٍ والآخَرُ من وَرِقٍ**».

قال النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا كَرامةٌ لأهلِ اليَمنِ في تقديمِهِمْ في الشُّرْبِ مِنْهُ؛ مُجازاةً لهم بِحُسْنِ صَنيعِهِمْ، وتقدُّمِهِمْ في الإسلام، والأَنصْارُ من اليَمنِ، فَيَدْفَعُ غَيْرَهُمْ حتَّى يَشْرَبُوا كما دَفَعُوا في الدُّنيا عَنِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْداءَهُ والمَكْرُوهاتِ»[3].

ومِنْ فضائِلِ أهلِ اليمنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - سُرعَةُ انْقِيادِهِمْ للحقِّ وقَبُوْلهمْ لَهُ.

ففي «صَحيحِ البُخاريِّ»[4] منْ حديثِ عمرانَ بنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: إِنِّيْ عِندَ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جاءَهُ قَوْمٌ من بني تَمِيْمَ فقال: «**اقْبَلُوا البُشْرى يا بني تَمِيمَ**». قالوا: بَشَّرتَنا

(1) رَواهُ البُخاريُّ (4390)،ومسلمٌ (52).
(2) رَواهُ مسلمٌ (3301).
(3) «شَرْحُ النَّوويِّ على مُسلمٍ» (15/62، 63).
(4) رَواهُ البُخاريُّ (7418).

فَأَعْطِنَا، فَدَخَلَ ناسٌ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ فقال: «**اقْبَلُوا البُشْرى يا أهلَ اليَمَنِ، إِذْ لَمْ يَقْبَلْها بَنُو تَمِيْمَ**». قالوا: قَبِلْنَا.

ومِنْ فضائِلِ أهلِ اليمنِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّهم أهلُ سَمْعٍ وطاعَةٍ.

ففي مُسنَدِ أحمدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الأَلْبانيُّ في «الصَّحِيحَةِ»[1] منْ حديثِ عُقْبَةَ بنِ عامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**أَهْلُ اليمنِ أَرَقُّ قلُوبًا، وأَلْيَنُ أَفْئدةً، وأَنْجعُ طاعةً**».

ومِنْ فضائِلِ اليمنِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أنَّها مُبارَكةٌ بدعاءِ النَّبيِّ ﷺ.

ففي «صحيح البُخاريِّ»[2] مِنْ حديثِ عبدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «**اللَّهُمَّ بارِكْ لنا في شامِنا اللَّهُمَّ بارِكْ لنا في يَمَنِنَا**». قالوا: ونَجْدِنَا، قال: «**اللَّهُمَّ بارِكْ لنا في شامِنا اللَّهُمَّ بارِكْ لنا في يَمَنِنَا**». قالوا: يا رسولَ اللهِ، وفي نَجْدِنا، فَأَظُنُّهُ قال في الثَّالِثَةِ: «**هناكَ الزَّلازِلُ والفِتَنُ، وبها يَطلُعُ قرنُ الشَّيْطانِ**».

ومِنْ فضائِلِ أهلِ اليمنِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أنَّ رجالَ اليَمَنِ منْ خَيْرِ الرِّجالِ.

ففي مُسْنَدِ أحمدَ بسَنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الأَلبانيُّ في «الصَّحِيحَةِ»[3] منْ حديثِ عَمْرو بنِ عَبَسَةَ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: كان رسولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُ يَوْمًا خيلًا وعِنْدَهُ عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنِ بْنِ بَدْرٍ الفَزارِيُّ فقالَ لَهُ رسولُ اللهِ ﷺ: «**أنا أَفْرَسُ بالخَيْلِ مِنْكَ**». فقالَ عُيَيْنَةُ: وأنا أَفْرَسُ بالرِّجالِ مِنْكَ، فقالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ: «**وكيفَ ذاك؟**». قالَ: خيرُ الرِّجالِ رجالٌ يَحْمِلُوْنَ سُيوفَهُمْ على عَواتِقِهِمْ، جاعلينَ رماحَهم على

(1) «**حَسَنٌ**» أخْرجَهُ أحمدُ (4/154) وقالَ الأَلبانيُّ في «الصَّحيحَةِ» (1775): حَسَنٌ.

(2) رَواهُ البُخاريُّ (1037).

(3) «**صَحيحٌ**» أخْرجَهُ أحمدُ (1945، 1946)، وصَحَّحَهُ الأَلبانيُّ في «الصَّحيحَةِ» (2606)، (3127).

مناسجِ خيُوطِهِمْ، لابِسُوا البرُودِ من أهلِ نَجْدٍ. فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**كَذَبْتَ، بَلْ خَيرُ الرِّجالِ رِجالُ أهْلِ اليَمَنِ**».

ومِنْ فضائِلِ أهلِ اليمنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهمْ خيارُ مَنْ في الأَرْضِ.

فَقَدْ أَخْرجَ الإمامُ أحمدُ في مسْنَدِهِ بسَنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحِيحَةِ»[1] وحسَّنَهُ الوادعيُّ في «الجامعِ الصّحيحِ» منْ حديثِ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: كُنَّا مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ بطريقٍ بينَ مكةَ والمدِينَةِ، فقالَ: «**يُوشِكُ أنْ يَطْلَعُ عليكمْ أهلُ اليَمَنِ؛ كأنَّهُمُ السَّحابُ، هُمْ خيارُ مَنْ في الأرْضِ**». فقالَ رجلٌ من الأنْصارِ: ولا نحنُ يا رسولَ اللهِ؟ فسَكَتَ. قالَ: ولا نحنُ يا رسولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ. قالَ: ولا نحنُ يا رسولَ اللهِ؟ قال في الثَّالِثَةِ كلمةً ضعيفةً: «**إلا أَنْتُمْ**».

وأَسْتغفِرُ اللهَ.

(1) «**صَحِيحٌ**» أخْرجَهُ أحمدُ (16724)، وصَحَّحَهُ الأَلبانيُّ في «الصَّحيحَةِ» (3437)، وحسَّنَهُ شيخُنا الوادعيُّ في «الجامعِ الصحيحِ» (84/4).

الخُطْبَةُ الثّانيةُ ـ فضائِلُ بعْضِ القبَائِلِ اليمَانِيَّةِ :

الْحَمْدُ للهِ ربِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أَمَّـا بَعدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ «**فضائِلِ اليَمَنِ وأَهْلِها في الكتابِ والسُّنَّةِ**» والآنَ حديثِي مَعَكُمْ عَنْ «**فضائِلِ بعضِ القبائِلِ اليمانيَّةِ**».

أَيُّهَا النَّاسُ حديثيْ معكمْ عنْ فضائِلِ القبائِلِ اليمانيَّةِ إنَّما هُوَ منْ بابِ حِفْظِ الجَميلِ؛ فَلَهَا القَدَحُ المعْلَى في الجهادِ كما لها الدَّوْرُ العظيمُ في الفتوحاتِ الإسلاميَّةِ.

فمنْ فضائِلِ القبائِلِ اليمانيَّةِ ما جاءَ في فَضْلِ هَمْدانَ.

ففي سُنَنِ البَيهقيِّ بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحِيحَةِ»[1] منْ حديثِ البراءِ بن عازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: بَعَثَ النَّبيُّ ﷺ خالدَ بْنَ الوليدِ إلى أهلِ اليمَنِ يدعُوهمْ إلى الإسلامِ، فلَمْ يُجِيبوه، ثُمَّ إنَّ النَّبيَّ ﷺ بعثَ عليَّ بْنَ أبي طالبٍ، وأَمَرَهُ أنْ يَقْفِلَ خالدًا ومنْ كان مَعَهُ إلا رَجلًا ممْن كان مَعَ خالدٍ أحبَّ أن يبقى مع عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فليُعَقِّبْ مَعَهُ.

قال البَرَاءُ: فكُنْتُ ممن عَقِبَ مَعَهُ، فلمَّا دنونا من القَومِ خرَجُوا إلينا فصلىَّ بنا عليُّ بنُ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصَفَّنا صفًّا واحدًا ثم تقدَّمَ بينَ أيدينا فقرأَ عليهمْ كتابَ رسولِ اللهِ ﷺ ، فأَسْلَمَتْ هَمدانُ جميعًا، فكتبَ عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ بإسلامِهِمْ فلمَّا قرأَ رسولُ اللهِ ﷺ الكتابَ خرَّ ساجدًا، ثُمَّ رفعَ رأسَهُ فقالَ: «**السَّلامُ على هَمْدانَ السَّلامُ على هَمْدانَ**».

---

(1) «**صَحيحٌ**» أخْرجَهُ البَيهقيُّ (2/369) بإسنادٍ صحيحٍ على شرطِ البخاريِّ، وأَخْرجَ البخاريُّ صدرَ هذا الحديثِ في «صحيحِهِ» (4349)، وصحَّحَهُ المُنْذِرِيُّ في «مختصَرِ السُّنَّةِ» (4/86)، وابنُ الهُمامِ في «فتحِ القَديْرِ» (1/425)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «الإرْوَاءِ» (474).

وهَمْدانُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ من أمَّهاتِ القبائِلِ اليمانِيَّةِ بلْ إنَّها لَتُشَكِّلُ أكْثَرَ منْ ثُلُثِ سكّان اليمنِ اليومَ ويتَفرَّعُ منها حاشدٌ وبَكِيلٌ.

ومنْ فضائِلِ القبائِلِ اليمانيَّةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ ما جاء في فضلِ حِميَرَ.

ففي مُسْنَدِ أحمدَ بسنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحِيحَةِ»[1] منْ حديثِ ذي مَخْبَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**كانَ هذا الأمرُ في حِميَرَ فنَزَعَهُ اللهُ منهمْ، وجعلَهُ في قُرَيشٍ وسيعودُ إليهمْ**».

وحِمْيَرُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ من أمَّهاتِ القبائِلِ اليمانِيَّةِ ـ أيضًا ـ.

ومنْ فضائِلِ القبائِلِ اليمانيَّةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ ما جاء في فضلِ الأشْعريِّينَ.

ففي «الصَّحِيحَةِ»[2] منْ حديثِ أبي موسى الأشْعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**إن الأَشْعَرِيِّينَ إذا أرْمَلُوا في الغَزْوِ أو قَلَّ طعامُ عيالِهِمْ بالمدينَةِ جَمَعُوا ما كان عِنْدهُمْ في ثَوبٍ ثُمَّ اقْتَسَمُوه بينَهم بالسَّوِيَّةِ، فهمْ منِّي وأَنا منهُمْ**».

ومنْ فضائِلِ القبائِلِ اليمانيَّةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ النَّخْعُ.

ففي مُسْنَدِ أحمدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حسَّنَهُ الأَرْناؤوطُ في «تعْليقِهِ على المُسْنَدِ»[3] منْ حديثِ عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: شَهِدْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يدْعُو لهذا الحَيِّ من النَخْعِ، أَو قالَ: يُثْنِيْ عَلَيْهِمْ، حتَّى تمنَّيْتُ أَنِّي رجلٌ مِنْهُمْ.

ومنْ فضائِلِ القبائِلِ اليمانيَّةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ ما جاء في فضلِ مَذْحَجَ.

---

(1) «**صَحيحٌ**» أخْرجَهُ أحمدُ في «مُسْنَدِهِ» (4/91)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحيحةِ» (2022).

(2) رَواهُ البُخاريُّ (2486)، ومسلم (2500).

(3) «**حَسَنٌ**» أخرجَهُ أحمدُ (3826) وقال الأرناؤوطُ في تعليقِهِ على المُسْنَدِ (6/376) حَسَنٌ.

ما جاءَ في مُسْنَدِ أحمدَ بسنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحِيحَةِ»[1] منْ حديثِ عَمْرو بنِ عَبَسَةَ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**شَرُّ قَبيلتين في العَرَبِ: نجْرانُ، وبنو تَغْلِبٍ، وأكْثَرُ القبائِلِ في الجَنَّة مَذْحَجٌ**».

ومَذْحَجُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ من أمَّهاتِ القبائِلِ اليمانيَّةِ وتُشَكِّلُ قريبًا من رُبُعِ سُكَّانِ اليَمَنِ.

ومنْ فضائِلِ القبائِلِ اليمانيَّةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ ما جاء في فضلِ الأَزْدِ.

ففي مُسْنِدِ أحمدَ بسَنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحِيحَةِ»[2] منْ حديثِ أبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**نِعْمَ القَومُ الأَزْدُ، طيِّبَةٌ أفواهُهُمْ، بَرَّةٌ أَيْمانُهُمْ، نقيَّةٌ قلوبُهُمْ**».

وقبيلةُ الأَزْدِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ من أمَّهاتِ القبائِلِ اليمانِيَّةِ وتَفَرَّعَ عن هذِهِ القبيلةِ الأَوْسُ والخَزْرَجُ وَهُمُ الأَنْصارُ.

ولا يُوجدَ قبيلةٌ نالتْ من الشَّرفِ العظيمِ، والثناءِ البالغِ من اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ ومن الرسَّولِ ﷺ كَقَبِيْلَةِ الأَنصارِ وهُمْ من أَزْدِ شَنُوءَةَ، وتَسْمِيَتُهُمْ في الأصْلِ: الأَوْسُ والخَزْرَجُ، فسَمَّاهُمُ اللهُ الأَنْصارَ؛ لِنُصْرَتِهِمْ رسولَ اللهِ ﷺ.

قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ (التوبة: 100).

وقد امْتَدَحَهُمُ اللهُ وأثْنَى عليهِمْ بقَوْلِهِ: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الحشر: 9).

---

(1) «**صَحيحٌ**» أخرجَهُ أحمدُ (1945) وصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحيحةِ» (2606)، (3127).

(2) «**صَحيحٌ**» أخرجَهُ أحمدُ (2/351) وصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحيحةِ» (1039).

وفي «الصَّحِيحَينِ»[1] منْ حديثِ البَرَاءِ بنِ عازبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**الأَنْصارُ لا يُحِبُّهُمْ إلا مُؤمنٌ ولا يَبْغَضُهُمْ إلا مُنافِقٌ، مَنْ أَحَبَّ الأنْصارَ أَحبَّهُ اللهُ ومنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ**».

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ولِإِخْوَانِنَا الَّذِيْنَ سَبَقُوْنَا بِالْإِيْمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوْبِنَا غِلًّا لِلَّذِيْنَ آمَنُوْا

اللَّهُمَّ باركْ لنا في شَامِنا اللَّهُمَّ باركْ لنا في يَمنِنا

اللَّهُمَّ من أرادَ بهذه البلادِ وغيرِها من بلادِ المُسلمينَ سوءً فأَشْغِلْهُ بنفْسِهِ وردَّ كيْدَه في نَحْرِهِ إنَّك وليُّ ذلكَ والقادرُ عليْهِ.

(1) رَواهُ البُخاريُّ (3783)، ومسلمٌ (75).

15 الثَّبَاتُ على دِينِ اللهِ

الخُطْبةُ الأُولى :

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محَمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ (آل عمران : 102).

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ (النساء : 1).

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب :70 - 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - ﷺ - ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ - فحديثي معكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ **«الثَّباتِ على دينِ اللهِ»**.

أَيُّهَا النَّاسُ الثباتُ هو الاستقامَةُ على الجادَّةِ ولزومُ الصِّراطِ المُسْتقيمِ مِنْ غَيْرِ عِوَجٍ ولا انحرافٍ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الثباتَ على دينِ اللهِ هو رأْسُ المالَ الذي لا يَحْتَمِلُ الخَسارةَ وهو وصيَّةُ الأوَّلين والآخِرين من النَّبِيِّنَ والصَّالحين.

قال يعقوبُ لِبَنِيْهِ: ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ۝١٣٢﴾ (البقرة : 132).

ولمَّا كانَ المسلمُ عُرضَةً للابْتلاءِ والمِحَنِ حتَّى في إيمانِهِ.

كما في مُستَدرَكِ الحاكمِ بسَندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ»[1] مِنْ حديثِ عبدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ الإيمانَ ليَخْلَقُ في جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَما يَخْلَقُ الثَّوْبُ، فَسَلُوا اللهَ ـ تَعَالَى ـ أَنْ يُجَدِّدَ الإيمانَ في قلُوبِكمْ**».

كانَ لزامًا علينا أنْ نُبيِّنَ لكمْ موانعَ الثَّباتِ على دِيْنِ اللهِ ثُمَّ بَعْدَهُ نَذْكُرُ أسبابَ الثَّباتِ. فمِنْ موانعِ الثَّباتِ ـ أيُّها النَّاسُ ـ طولُ الأمَلِ.

قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (الحديد: 16).

فهذَا ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ تَحذيرٌ من اللهِ لنا مِنْ طوُلِ الأمَلِ حَيثُ يتولَّدُ عنْهُ الكَسَلُ عن الطاعَةِ، والتَّسويفُ بالتَّوبةِ، والرَّغبةُ في الدنيا والنِّسيانُ للآخِرَةِ والقَسْوةُ في القلبِ.

وقالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (الحجر: 3).

والمعنى ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَيْ دَعْهُمْ يَعيشُوا كالأنعامِ ولا يَهتمُّوا بغيرِ الطَّعامِ والشَّرابِ والشَّهوَاتِ والتَّباهيْ في زِينَةِ الدُّنيا من السَكَنِ والمركوبِ وما إلى ذلكَ.

ومعنى ﴿ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ﴾ : أَيْ يَشْغَلُهمْ طولُ الأملِ والعُمُرِ عنْ استقامَةِ الحالِ على الإيمانِ، والأخذِ بطاعَةِ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ .

ومن موانعِ الثبَّاتِ التوسُّعُ في المُباحاتِ توسُّعًا يُخرِجُهُ عن حدِّ الاعْتدالِ.

قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ ﴾ (طه: ٨١).

---

(1) «**صَحيحٌ**» أخرجَهُ الحاكمُ (1/4)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صَحيحِ الجامعِ» (1590).

فأمرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالأكلِ من الطيِّباتِ ونهى عن الطُغْيانِ لأنَّه يَدْعُو إلى البطَالةِ والكَسَلِ وكلُّ شيْءٍ تجاوزَ حدَّهُ انقلبَ إلى ضِدِّهِ حتى في المُباحاتِ.

ومن موانعِ الثبَّاتِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ الابتعادُ عن الأجْواءِ الإيمانيَّةِ.

فمنَ المعلومِ أَنَّ الإيمانَ يَزِيْدُ وينْقُصُ كما أنَّ النفْسَ إذا لم تَشْغَلْها بالحقِّ والطاعَةِ شغَلَتْكَ بالمعْصِيةِ.

فالإيمانُ يَضْعُفُ ويَضْمَحِلُّ إذا تعرَّضَ العبدُ لأجْواءِ الإباحِيَّةِ والفُجُورِ والتبرُّجِ والسُّفورِ أو خالطَ أهلَ الدنيا في أسواقِهِمْ وأطالَ فيها البقاءَ وأجالَ فِيْها النَّظَرَ وهَجَرَ الجماعَةَ في المساجِدِ واكتفى بالصَّلاةِ في البيوتِ.

لِذلِكَ جاءَ في «صحيحِ مُسلمٍ»[1] منْ حديثِ أبي هُرَيرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: : «**أَحَبُّ البلادِ إلى اللهِ ـ تَعَالَى ـ مَسَاجِدُهَا، وأبْغَضُ البلادِ إلى اللهِ أَسْوَاقُها**».

وفي مُسنَدِ أحمدَ بسَندٍ حسنٍ صحيحٍ صَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ التَّرغيبِ»[2] منْ حديثِ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**أَحْسَنُ البِقاعِ إلى اللهِ المساجدُ وأبْغَضُ البقاعِ إلى اللهِ الأَسْواقُ**».

تِلْكَ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ بعضُ موانعِ الثَّباتِ، وسَأعَرِّجُ بكمُ الآنَ على وسائلِ الثَّباتِ على دِينِ اللهِ.

فمِنْ وسائِلِ الثَّباتِ على دينِ اللهِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ اسْتِشْعارُ عَظَمَةِ اللهِ .

قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ (الأنعام : 59).

---

(1) رَواهُ مسلمٌ (671).

(2) «**حَسَنٌ صَحيحٌ**» أخْرجَهُ أحمدُ (4/18)، وقال الألبانيُّ في «صَحيحِ التَّرغيبِ» (1/78) حَسَنٌ صحيحٌ.

وقالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (الزمر : 67).

ومِنْ وسائِلِ الثَّباتِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ الالتزامُ بالدِّيْنِ.

قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ ﴾ (النساء : 66-68).

ومِنْ وسائِلِ الثَّباتِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ المُسارعاتُ في الخَيْراتِ.

قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ : ﴿ **وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ** ﴾ (آل عمران : 133).

وقالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ : ﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (الحديد : 21).

والمُسارعاتُ إلى الطاعةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ بحاجةٍ إلى الاسْتمرارِ عليها.

ففي «صحيحِ مسلمٍ»[1] عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالتْ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**أَحَبَّ الأعمالِ إلى اللهِ أَدْوَمُهُ وإنْ قَلَّ**».

ومِنْ وسائِلِ الثَّباتِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ قراءةُ القرآنِ وتَدَبُّرُهُ والعملُ بِهِ فهو من أعظمِ وسائِلِ الثَّباتِ.

قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ (الفرقان : 32).

وقالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (النحل : 102).

---

(1) رَواهُ مسلمٌ (783).

ومن أسبابِ الثَّباتِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ الشُّعوْرُ بالافْتِقارِ إلى تثبيتِ اللهِ؛ لِأَنَّهُ مَنْ فَقَدَ اللهَ ماذا وَجَدَ ومَنْ وَجَدَ اللهَ ماذا فَقَدَ؟

قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ (الإسراء: 74-75).

وقالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ (الأنفال: 12).

ومن أسبابِ الثَّباتِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ الإيمانُ باللهِ وصِدْقُ التَّوكُّلِ عليهِ والالْتِجاءِ إليه والشُّعوْرُ الدائمُ بمَعِيَّتِهِ والاعتقادُ الجازمُ أنَّ ما أصابَكَ لم يكن لِيُخْطِئَكَ وأنَّ الأمَّةَ لو اجْتَمعوا على أنْ ينفَعوكَ بشيْءٍ لم ينفعوكَ إلا بشيْءٍ قد كتبَهُ اللهُ لَكَ والإيمانُ باسماءِ اللهِ وصِفاتِهِ وتحقيقُ العبوديةِ للهِ وَحدَهُ لا شَريكَ لَهُ والبراءَةُ من الشِّركِ وأهْلِهِ، والنفَّاقِ وأهْلِهِ فذلِكَ وغيرُهُ من الإيمانِ سببٌ عظيمٌ من أسبابِ الثَّباتِ.

قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ (إبراهيم: 27).

ومن أسبابِ الثَّباتِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ قِصَرُ الأمَلِ؛ لأنَّهُ كُلَّما قَصُرَ الأملُ جدَّ العملُ؛ لأَنَّ العبدَ يُقَدِّرُ أنَّهُ يموتُ اليومَ فيسْتَعِدُّ اسْتعدادَ مسافرٍ توشِكُ الرِّحلةُ أن تَفُوْتَهُ.

ففي «صحيح البُخاريِّ»[1] مِنْ حديثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**كُنْ في الدُّنيا كأَنَّكَ غريبٌ أو عابِرُ سَبيلٍ**».

وفي سُنَنِ التِّرمِذيِّ بِسَندٍ صحيحٍ صَحَّحَه الألبانيُّ في «الصَّحيحَةِ»[2] منْ حديثِ ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**ما لي ولِلدُّنيا ما أنا في الدُّنيا إلا كَراكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شجرةٍ ثُمَّ راحَ وترَكَها**».

---

(1) رَواهُ البخاريُّ (6416).

(2) «**صَحيحٌ**» أخْرجَهُ الترمذيُّ (2/60)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحيحَةِ» (438).

ومن أسبابِ الثَّباتِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ التعلُّقُ بالمسْجدِ وأهْلِهِ.

ففي التعلُّقِ بالمسْجِدِ وأهْلِهِ ما يُعِيْنُ على الثباتِ حيثُ المحافظةُ على صلاةِ الجماعةِ والصُّحبةُ الصالحةُ ودعاءُ الملائكةِ وحِلَقُ العلمِ.

قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ في وَصفِ المُلازِمِيْنَ للمساجِدِ المُنْشَغِلينَ بها عَنِ الدُّنيا: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ (النُّور: 37-38).

وفي «صحيحِ مُسلمٍ»[1] منْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«وما اجْتمعَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللهِ يتْلُون كتابَ اللهِ وَيتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إلا نَزَلتْ عليهم السَّكينةُ وغَشِيَتْهُمُ الرَّحمةُ وحفَّتْهُمُ الملائِكةُ وذَكَرَهُمُ اللهُ فيمَنْ عِنْدهُ»**.

وجَليسُ الصَّالحينَ ينْدرجُ معَهُمْ في جميعِ ما يتفضَّلُ اللهُ بِهِ عليهم إكرامًا لهم، ولَوْ لَمْ يُشارِكْهم في أَصْلِ الذِّكر

ففي «صحيحِ مسلمٍ»[2] منْ حديثِ أبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إنَّ للهِ** ـ تبارَكَ وتعالى ـ **ملائكةً سَيَّارةً فَضْلًا يَتْبَعون مجالسَ الذكرِ فإذا وجَدوا مجلسًا فيه ذكرٌ قعدوا معَهم وحَفَّ بعضُهم بعضًا بأجْنِحتِهم حتَّى يَمْلَئُوا ما بينَهم وبينَ السماءِ الدُّنيا فإذا تفرَّقُوا عَرَجُوا وصَعَدُوا إلى السَّماءِ ـ قال ـ : فيسألُهمْ اللهُ ـ عزَّ وجَلَّ ـ وَهُو أعلمُ بِهِمْ من أينَ جئتُمْ، فيَقولُونَ: جئْنا مِن عِنْدِ عبادٍ لَكَ في الأرضِ يسبِّحونك ويكبِّرونَك ويهلِّلونَكَ ويَحْمَدُونَكَ ويسْأَلُونَكَ. قال: وماذا يسْألونَني، قالوا: يسْألونَك جنَّتَكَ. قال: وهَلْ رأَوا جنَّتي، قالوا: لا أَيْ رَبِّ. قال: فكيفَ لَوْ رأَوا جَنَّتِي، قالوا:**

(1) **«صَحيحٌ»** أخْرجَهُ الترمذيُّ (2/60)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحيحَةِ» (438).

(2) رَواهُ البُخاريُّ (640) واللَّفْظُ لَهُ، ومسلمٌ (2689).

ويَسْتَجيرُونَكَ. قال: ومما يَسْتَجيرونَني. قالوا: من نارِكَ يا ربِّ، قال: وهَلْ رأَوا ناريْ، قالوا: لا قالوا: ويَسْتَغْفِرونَكَ، قال: فيَقولُ: قَدْ غَفَرْتُ لهمْ فأعْطيتُهمْ ما سألُوا وأَجَرْتُهم مما اسْتجارُوا، قال: فيقولون: ربِّ فيهمْ فُلانٌ عبدٌ خطَّاءٌ إنَّما جَلَسَ مَعَهم، قال: فيقول: ولَهُ غَفَرْتُ هُمُ القومُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيْسُهُمْ».

وبَيَّنَ ﷺ أَنَّ الملائِكَةَ تَدعُو لِمَنْ جَلَسَ بَعْد الصَّلاةِ للذِّكْرِ.

كما في «الصَّحيحيْنِ»[1] منْ حديثِ أبي هُريرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**الملائكةُ تُصَلِّي على أَحَدِكُمْ ما دامَ في مُصَلَّاهُ الذي صلَّى فِيْهِ ما لَمْ يُحْدِثْ: اللَّهُمَّ اغفرْ لَهُ واللَّهُمَّ ارْحَمْهُ**».

وأَخْبرَ النَّبيُّ أَنَّ مَنْ جَلَسَ ينْتظرُ الصلاةَ فَهُو في رِباطٍ.

ففي «صحيحِ مسلمٍ»[2] منْ حديثِ أبي هُريرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**ألا أَدُلُّكُمْ على ما يمْحُو اللهُ بِهِ الخطايا، ويرفَعُ بِهِ الدَّرَجاتِ؟**». قالوا: بَلَى يا رسولَ اللهِ. قال: «**إسْباغُ الوُضُوءِ على المكارِهِ، وكَثْرَةُ الخُطَا إلى المسَاجِدِ، وانْتظارُ الصَّلاةِ بعدَ الصَّلاةِ، فذلِكُمُ الرِّباطُ فذلِكُمُ الرِّباطُ**».

والرِّباطُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ هُوَ مرابَطَةُ العَدُوِّ وملازَمَتُهُمْ.

وأَسْتغْفِرُ اللهَ.

---

(1) رَواهُ البُخاريُّ (445)، ومسلمٌ (362).

(2) رَواهُ مسلمٌ (251).

الخُطْبَةُ الثّانيةُ ـ من أسبابِ الثَّباتِ :

الْحَمْدُ للهِ ربِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أَمَّـا بَعدُ، أيُّها الناسُ لازِلْنا وإيَّاكُمْ مَعَ **«أسبابِ الثَّباتِ»**.

فمن أسبابِ الثَّباتِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ الرجوعُ إلى أَهْلِ العلمِ عند وُروْدِ الشُّبُهَاتِ وحُلولِ الفِتَنِ.

قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ (النِّسَاءِ : 83).

فَهَذا ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ تأْديبٌ مِنَ اللهِ لِعبادِهِ وَأَنَّهُ ينْبَغي لَهُمْ إذا جاءَهُمْ أمرٌ من الأمورِ المُهِمَّةِ والمصالحِ العامَّةِ ما يَتَعلَّقُ بالأمْنِ وسُرورِ المؤمنينَ أو الخَوْفِ الَّذِيْ فيه مُصِيبةٌ عليهمْ أَنْ يَتَثَبَّتُوا ولا يَسْتَعْجِلوا في إشاعَةِ الخَبرِ بلْ يردُونَهُ إلى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ أَهلِ الرأْيِ والعِلمِ والنُّصْحِ[1].

وذلك لِأنَّ أهلَ العلمِ يعرِفونَ الفِتَنَ عندَ إِقبْالها والنَّاسُ يَعرِفونَ الفِتَنَ عندَ إدْبارِها.

قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ مُخْبِرًا عن مَوقِفِ عامَّةِ النَّاسِ مِنْ قارونَ: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾ (القَصَصِ : 79).

وقالَ في موقفِ أَهْلِ العِلْمِ مِنْ قارونَ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ (القَصَصِ : 80).

---

(1) تفسيرُ ابنِ سَعْدِيّ (190).

ثُمَّ تَغَيَّرَ مَوْقِفُ عَامَّةِ النَّاسِ، وَلَكِنْ بَعْدَ أَنْ أهلَكَ اللهُ قارونَ.

قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (القصص : 82).

فتَأَمَّلُوا ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ إلى مَوقفِ أهلِ العِلمِ وثَبَاتِهِمْ أمامَ الفِتَنِ إِنَّهُ مَوقِفٌ ثابتٌ لا يَتَزَعْزَعُ بِخِلافِ العَامَّةِ ولهذا قالَ الحَسَنُ البَصْريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «العِلمُ يَرى الفِتْنَةَ وهيَ مُقْبِلَةٌ والناسُ لا يَرَوْنها إِلَّا وَهِيَ مُدْبِرةٌ».

ومنْ وسائلِ الثَّباتِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ التطلُّعُ إلى ما عندَ اللهِ من النَّعيمِ المُقِيْمِ فما هذِهِ لحياةُ إِلَّا دارُ ابْتِلاءٍ ومِحَنٍ ومُنافَسَةٍ على أَحْسَنِ العَمَلِ.

قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ (الملك : 1-2).

وتَبْقَى الآخرةُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ هِيَ دارُ القَرارِ.

قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ عَنْ مُؤمِنِ آلِ فِرعونَ أَنَّه قالَ لِقومِهِ: ﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ ﴾ (غافر :39).

وفي «صحيحِ مُسْلمٍ»[1] من حديثِ المُغِيْرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عنْ رَسولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**سَأل مُوسى ﷺ ربَّهُ: ما أدنى أهلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قالَ: رَجُلٌ يجِيْءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، فيُقالُ لَهُ: أدْخُلِ الجَنَّةَ. فيقولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنازِلَهُمْ، وأَخَذُوا أَخْذَاتِهِمْ؟ فيقالُ لَهُ: أَترضى أَنْ يكونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ منْ مُلوكِ الدُّنْيا؟ فيقولُ: رَضِيْتُ رَبِّ، فيقولُ: لَكَ ذلِكَ ومثلُهُ ومثلُهُ ومثلُهُ**

(1) رَواهُ مُسْلمٌ (189) (312).

فيقولُ في الخامِسَةِ: رضيتُ ربِّ. فيقولُ: هذا لكَ وعشرةُ أمثالِها، ولَكَ ما أشْتهَتْ نَفْسُكَ، ولَذَّتْ عَيْنُكَ. فيقول: رَضيتُ، قال: رَبِّ فأعْلاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قال: أولئكَ الذينَ أردْتُ غَرَسْتُ كرامَتهم بِيدي، وختمتُ عليها لم تَرَ عينٌ، ولم تسمعْ أُذُنٌ، ولم يخْطرْ على قَلْبِ بَشَرٍ».

ومِصْداقُهُ في كتابِ اللهِ ـ عَزَّ وجلَّ ـ : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ (السَّجْدَة : 17).

ومِنْ وَسائِلِ الثَّباتِ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ الدعاءُ.

فمنْ صِفاتِ عبادِ اللهِ أَنَّهُم يتوَجَّهونَ إلى اللهِ بالدُّعاءِ أَنْ يُثَبِّتَهُمْ على الطاعَةِ.

قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ حاكِيًا عَنْهُمْ قَولَهُمْ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ (آل عِمْرَان : ٨).

ولمَّا كانتْ قلوبُ بني آدمَ كلُّها بينَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أصابعِ الرَّحمنِ كَقَلْبٍ واحدٍ يُصَرِّفُهُ حيثُ يَشاءُ كانَ رَسولُ اللهِ ﷺ يُكثِرُ أَنْ يقولَ: «**يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي على دِيْنِكَ**» فقيلَ لَهُ في ذلك؟ قالَ: «**إِنَّه ليسَ آدَمِيٌّ إِلَّا وَقلْبُهُ بين إِصْبعَيْنِ من أصابعِ اللهِ فمَنْ شاءَ أقامَ ومَنْ شاءَ أَزَاغَ**».

والحديثُ أخْرجَه التِّرمِذِيُّ في سُنَنِهِ بسَنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ»[1] عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنا بالقولِ الثَّابتِ في الحياةِ الدُّنيا وفِي الآخِرَةِ.

اللَّهُمَّ ربَّنا لَا تُزغْ قلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا.

اللَّهُمَّ يا مُقَلِّبَ القلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا على طاعَتِكَ.

---

(1) «**صَحيحٌ**» أخرجَهُ التِّرمذِيُّ (2792) وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (4801).

16 غزوة بدر

الخُطْبةُ الأُولى :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ (آل عمران : 102).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ (النساء : 1).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب :70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ـ ﷺ ـ ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ ـ فحديثي معكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنِ **«غَزْوَةِ بَدْرٍ»**.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ غَزْوَةَ بَدْرٍ مَلْحَمَةٌ مِنْ مَلاحِمِ الإسلامِ ويومٌ مِنْ أَيّامِهِ الجَلِيْلَةِ العِظامِ يومٌ أعزَّ اللهُ فيه جُنْدَهُ ونَصَرَ فيه عَبْدَهُ وأَذَلَّ فيه مَنْ عاداهُ، ورفعَ المَنارَ لِمَنْ وَالاهُ، يومُ الفُرقانِ يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعانِ.

يومٌ خاصَهُ رسولُ اللهِ مَعَ ثَلاثِ مِائَةٍ وأَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا هُمْ مِنْ خِيارِ أَهْلِ الأَرْضِ كُتِبَتْ لَهُمُ السَّعادةُ وَهُمْ في بُطونِ أُمهَّاتِهِمْ ونادَى عَلَيهِمْ مُنادِيْ اللهِ: يا أَهلَ بَدْرٍ اعْمَلُوْا ما شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ[1].

(1) انظر «غَزوةُ بدرٍ» للشَّنْقيطيِّ (ص1).

كما في مُسْنَدِ أَحْمدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صحَّحَهُ الأَلْبانيُّ في «الصَّحيحَةِ»[1] من حديثِ أَبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ اللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ (وفي لَفْظٍ: لَعَلَّ اللهَ) اطَّلَعَ على أَهْلِ بَدْرٍ فقالَ: اعْمَلُوْا ما شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»**.

وفي «الصَّحيحَينِ»[2] من حديثِ عَليِّ بْنِ أَبِيْ طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطَّوِيْلِ في قِصَّةِ حَاطِبِ بْنِ بَلْتَعَةٍ قالَ فيهِ رَسولُ اللهِ ﷺ: **«لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلى أَهْلِ بَدْرٍ فقالَ: اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لكُمُ الجَنَّةُ أَوْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»**.

وفي «صحيحِ البُخاريِّ»[3] من حديثِ رَافِعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزَّرْقيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: جاءَ جِبْرِيْلُ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: ما تَعُدُّوْنَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيْكُمْ؟ قال: **«مِنْ أَفْضَلِ المُسلمِيْنَ** ـ وَكَلِمَةً نَحْوَهَا ـ». قالَ: وكذَلِكَ مَا شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الملائِكةِ.

وفي مسندِ أحمدَ بِسَنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الأَلبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ»[4] مِنْ حديثِ جَابرِ بْنِ عَبدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«لَنْ يَدْخُلَ النَّارَ رَجُلٌ شَهِدَ بَدْرًا والحُدَيْبِيَةَ»**.

وكانتْ غَزْوةُ بَدْرٍ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ في السَّنَةِ الثانِيَةِ لِلهِجْرةِ.

وسَبَبُها ما ذكرهُ البيْهَقِيُّ في «دلائلِ النُّبُوَّةِ» بِسَندٍ صَحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «فِقْهِ السِّيْرَةِ»[5] مِنْ حديثِ ابْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لمَّا سَمِعَ رسولُ اللهِ ﷺ بِأَبِيْ سُفْيانَ مُقْبلًا مِنَ الشَّامِ نَدَبَ المُسْلمينَ إليْهِمْ وقال: **«هَذِهِ عِيْرُ قُرَيْشٍ فِيْها أَمْوالُهُمْ فاْخْرُجُوا لَعَلَّ اللهَ أَن يُنْفِلَكُمُوْهَا»**.

---

(1) **«صَحيحٌ»** أخرجَهُ أحمدُ (2/295)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحيحَةِ» (6/521).

(2) رَواهُ البُخاريُّ (6279)، ومُسْلمٌ (2494).

(3) رَواهُ البُخاريُّ (3992).

(4) **«صَحيحٌ»** أخرجَهُ أحمدُ (3/396)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صَحيحِ الجامعِ» (5227).

(5) **«صَحيحٌ»** أخرجَهُ البَيْهَقِيُّ في «دلائلِ النُّبُوَّة» (5/261)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «فِقْهِ السِّيْرَةِ» (ص218).

ولمْ يَعْزِمْ على أَحدٍ بالخروجِ فسارَ رسولُ اللهِ ﷺ بالجَيْشِ فِيْهِ ثَلاثُمائةٍ وأَرْبعَةَ عَشَرَ رَجُلًا بِفَرَسَيْنِ وسَبْعينَ بَعيرًا يَتَعاقَبُونَها وكانَ النَّبيُّ ﷺ وعَليٌّ ومَرْثَدُ بْنُ أَبي مَرْثَدٍ يَعْتَقِبُونَ بَعِيْرًا واحِدًا ودَفَعَ لِواءَ القِيادَةِ لمُصْعَبَ بِنِ عُمَيْرٍ وكانَ أبْيَضًا وَقَسَمَ الجَيْشَ إلى كَتِيبَتَيْنِ كَتِيْبَةِ المُهاجرِينَ وأَعْطى عَلَمَها عَليَّ بنَ أَبي طالبٍ، وكتيبةِ الأَنْصارِ وأَعْطى عَلَمَها سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، وجَعَلَ على قِيادةِ المَيْمَنَةِ الزُّبَيْرَ بنَ العَوَّامِ وعَلى المَيْسَرَةِ المِقْدَادَ بْنَ عَمْرٍو، وعَلى السَّاقَةِ قَيْسَ بنَ أَبي صَعْصَعَةَ، وَهُوَ ﷺ القائدُ الأعلى لِلْجَيْشِ وعَلِمَ أبو سُفيانَ بِجوَاسِيْسِهِ مَسِيْرَ عَسْكَرِ المؤمنين فأَرْسَلَ ضمضم بنَ عمرو الغِفَّاريَّ إلى مَكَّةَ، فصر بِبَطْنِ الواديْ واقفًا على بَعِيْرِهِ، وَقَدْ جَدَعَ أَنْفَهُ وحَوَّلَ رَحْلَهُ، وشَقَّ قَمِيْصَهُ وهُوَ يقولُ: يا معشرَ قُرَيْشٍ، اللَّطِيْمَةَ، اللَّطيمَةَ أَمْوالُكُمْ مَعَ أَبي سُفيانَ قَدْ عَرَضَ لها محَّمدٌ في أصحابِهِ لا أرى أَنْ تُدْرِكُوها الغَوْثَ الغَوْثَ. فتَحَفَّزَ الناسُ سِرَاعًا وتجمَّعَ نَحْوَ أَلْفٍ وثلاثِمائةٍ مُقاتلٍ في مِائَةِ فَرسٍ وستِّمِائَةِ دِرْعٍ وجمالٍ كَثِيْرَةٍ لا يُعْرَفُ عَدَدُها بِقيادَةِ أبي جَهْلٍ وقدْ أَفْلَتَ أبو سُفيانَ بالعِيْرِ فسارَ باتِّجاهِ السَّاحِلِ، وأَرسَلَ رِسالَةً إلى جَيْشِ قُريشٍ وهمْ في الجَحْفَةِ: إِنَّكُمْ خرَجْتُمْ لِتَحْرِزُوا عِيْرَكُمْ ورِجالَكُمْ وأموالَكُمْ، وقدْ نَجَّاهَا اللهُ فَارْجِعُوا، فَهَمَّ الجَيْشُ بالرُّجوعِ، عِندَها قامَ أبو جَهْلٍ وقال: واللهِ لا نَرْجِعُ حتى نَرِدَ بَدْرًا فَنُقِيْمَ بِها ثلاثًا فَنَنْحَرَ الجَزُورَ، ونَطْعَمَ الطَّعامَ، ونَسْقِيَ الخَمْرَ وتَعْزِفَ لنا القِيَانُ، وتَسْمَعَ بنا العربُ وبمسيرِنا وجَمْعِنا، فلا يزَالون يهابُونَنا أبَدًا، فَرَجَعَتْ بنو زُهْرَةَ وكانُوا حَوَالَيْ ثلاثِمِائَةِ رَجُلٍ، وقَدَّرَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ تَدْبِيْرَهُ بِنَجاةِ أَبي سُفيانَ ومَنْ مَعَهُ لِيُحِقَّ الحَقَّ ويُبْطِلَ الباطِلَ ويَقْطَعَ دابرَ الكافِرين.

قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (الأنفال : 7).

فسارَ الجَيْشُ مِنْ أَلْفِ مُقَاتِلٍ حتَّى نَزَلَ قَرِيبًا من بَدْرٍ بالعُدْوَةِ القُصْوَى.

قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَـٰدِ ۙ وَلَـٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال: 42).

وَلـمَّا تبيَّنَ رسولُ اللهِ ﷺ إفلاتَ العِيْرِ وأتاهُ خَبَرُ خرُوجِ قُرَيشٍ بسِلاحِها وقِيَانِها وخَمْرِها وجَيْشٍ يَفُوقُ أَصْحابَهُ عَدَدًا وَعُدَّةً لَمْ يُبادِرْهُ بِمالَهُ مِنْ مَقامِ النُّبوَّةِ يأمرُ وينْهى يَبْغِي المُواجهةَ بَلْ جَمَعَ مَنْ حَولَهُ من أنْصارٍ ومُهاجرين يُشَاوِرُهُمْ ـ إعمالًا لأمْرِ اللهِ ـ ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ (آل عمران: 159).

واتَّخَذَ النَّبِيُّ ﷺ عَرِيشًا على تَلٍّ مُرتَفِعٍ في الشَّمالِ الشَّرقِيِّ لِمَيْدَانِ القِتالِ، ثُمَّ عبَّأَ رسولُ اللهِ ﷺ جَيْشَهُ، وَمَشَى في مَوضِعِ المعْركةِ وجَعَلَ يُشِيرُ بِيَدِهِ: «**هذا مَصْرَعُ فُلانَ غَدًا ـ إنْ شاءَ اللهُ ـ وهذا مَصْرَعُ فُلانَ غدًا إنْ شاءَ اللهُ**». كما في «صحيحِ مُسْلِمٍ»[1].

وفي «صحيح مسلم»[2] من حديثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: لـمَّا كانَ يومُ بَدْرٍ نَظَرَ رسولُ اللهُ ﷺ إلى المُشْركين وهمْ أَلفٌ، وأصحابُهُ ثلاثُمائةٍ وَتِسْعَةَ عشَرَ رَجُلًا، فاسْتقبلَ نَبيُّ اللهِ ﷺ القِبْلةَ ثُمَّ مدَّ يَدَهُ فجعَلَ يهتفُ بربِّهِ: «**اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِيْ ما وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِيْ، اللَّهُمَّ إنْ تَهْلِكْ هذِهِ العصابةُ من أهْلِ الإسلامِ لا تُعْبَدْ في الأرضِ**»، فما زالَ يهتفُ بربِّهِ، مادًّا يَدَيْهِ مستقبلَ القِبْلةِ، حتَّى سقَطَ رِداؤه عن مِنْكَبَيْهِ.

فأَتاهُ أبو بَكرٍ فأَخَذَ رداءَهُ فألقاهُ على مِنْكَبَيْهِ، ثُمّ التَزَمَهُ مِن وَرَائِهِ، وقال: «يا نَبيَّ اللهِ، كفاكَ مُناشَدتَكَ ربَّك، فإنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ ما وَعَدَكَ»، فَأَنْزَلَ اللهُ ـ عزَّ وجَلَّ ـ: ﴿إِذْ

---

(1) رَواهُ مسلمٌ (1779).

(2) رَواهُ مسلمٌ (1763).

تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ (الأنفال: 9).
فأَمَدَّهُ اللهُ بالملائكةِ.

وفي «صحيحِ البُخاريِّ»[1] مِنْ حديثِ ابْنِ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ بدرٍ: «**اللَّهُمَّ إني أُنْشِدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إنْ شِئْتَ لمْ تُعْبَدْ**». فأخذَ أبو بكرٍ بيَدِهِ، فقال: حَسْبُكَ فخرجَ وهو يقولُ: ﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ (القمر: 45).

وبَدَأَتْ المعركةُ بالمُبارزةِ كما في سُنَنِ أبي داودَ بسَنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ أبي دَاودَ»[2] عنْ عليٍّ بنِ أَبِي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: تَقَدَّمَ - يعني عُتْبَةَ بنَ رَبيعَةَ - وتَبِعَهُ ابنُهُ وأَخوهُ، فنادى مَنْ يُبارِزُ فانْتَدَبَ لَهُ شبابٌ من الأنصارِ، فقالَ: مَنْ أنتم؟ فأَخْبَروهُ فقالَ: لا حاجَةَ لنا فيكمُ، إنَّما أروْنا بني عَمِّنا فقالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قُمْ يا حَمزَةُ! قمْ يا عليُّ! قُمْ يا عُبيدةُ بنُ الحارث!**».

فأَقْبَلَ حمزةُ على عُتْبَةَ وأقْبَلْتُ إلى شَيْبَةَ، واخْتَلَفَ بينَ عُبَيْدَةَ والوَليدِ ضَرْبتان فأَثْخَنَ كُلُّ واحدٍ منهما صاحِبَهُ، ثُمَّ مِلْنا على الوَليدِ فقَتَلْناهُ واحْتَمَلنا عُبيدَةَ.

ثُمَّ ماذا بعدَ ذلِكَ - أَيُّهَا النَّاسُ - لَقَدِ اخْتَلَطَتِ الصُّفوفُ، وتلاقَتِ السيوفُ وحَسَمَ أَمْرُ اللهِ للملائِكةِ اللِّقاءَ.

قالَ اللهُ - سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ - : ﴿ إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴿١٢﴾ ﴾ (الأنفال: 12).

وتُتَابعُ السُّيوفُ والرِّماحُ مغلَها في القومِ حتَّى أَذَلَّ اللهُ أَعْداءَهُ فَوَقَعُوا بينَ قَتيلٍ وأَسيْرٍ.

---

(1) رَواهُ البُخاريُّ (3953).

(2) «**صَحيحٌ**» أخرجَهُ أبو دَاودَ (2392)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ أبي دَاودَ» (7/417).

واستجابَ اللهُ دعاءَ نَبِيِّهِ كما جاء في سُنَنِ أبي داودَ بِسَنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحيحَةِ»[1] مِنْ حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عَمْرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . «**اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ حفاةٌ فاحْمِلْهُمْ، اللَّهُمَّ إنَّهم عُراةٌ فاكسُهُمْ، اللَّهُمَّ إِنَّهمْ جياعٌ فأَشْبِعْهُمْ**». فَفَتَحَ اللهُ لَهُ يومَ بَدْرٍ، فانْقلبُوا حينَ انقَلبُوا وما مِنهمْ رجلٌ إلَّا وقدْ رَجِعَ بِحِمْلٍ أو حِمْلَيْنِ واكتَسَوْا وشَبِعُوا.

وأَسْتغفِرُ اللهَ.

(1) «**صَحيحٌ**» أخرجَهُ أبو دَاودَ (2747)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحيحَةِ» (3/4).

الخُطْبةُ الثّانيةُ ـ فوائِدُ من غَزْوَةِ بَدْرٍ :

الْحَمْدُ للهِ ربِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمعِينَ.

أَمَّـا بَعدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ «**غَزوَةِ بدرٍ**» والآنَ حديثِي مَعَكُمْ عَنْ «**فَوائدَ من تِلكَ الغزوةِ**».

فمنْ فوائِدِ غَزوةِ بدرٍ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّ الاسْتِغاثَةَ باللهِ سببٌ عظيمٌ من أسبابِ النَّصرِ.

قالَ اللهُ ـ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ٩﴾ (الأنفال : 9).

ومنْ فَوائِدِ غَزوَةِ بَدْرٍ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّ نُزُولَ الملائِكَةِ للبُشْرى والطُّمأْنينَةِ.

قالَ اللهُ ـ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١٢٦﴾ (آل عمران : 126).

ومنْ فَوائِدِ غَزوَةِ بَدْرٍ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّ الماءَ والنُّعاسَ من جنودِ اللهِ.

قالَ اللهُ ـ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ﴾ (الأنفال : 11).

ومنْ فَوائِدِ غَزوَةِ بَدْرٍ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّ اللهَ ـ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ يُدِيرُ المعْركةَ.

قالَ اللهُ ـ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ١٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١٣ ذَٰلِكُمۡ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٤﴾ (الأنفال : 12-14).

ومنْ فَوائِدِ غَزوَةِ بَدْرٍ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّ اللهَ ـ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ هُوَ الَّذِي أَخرَجَ رسولَهُ ومَنْ مَعَهُ إلى المعركَةِ لِيُحِقَّ الحقَّ ويُبْطِلَ الباطلَ.

قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ ﴾

(الأنفال : 5-8).

وأسْأَلَ اللهَ بأسمائِهِ الحُسْنَى وصفاتِهِ العُلى أَنْ يَحْفظَ عَلينا إسلامَنا ذلكَ الإسلامَ الَّذي جَاهدَ عَنْهُ الرسولُ ﷺ وأصْحابُهُ حقَّ الجهادِ حتَّى أخْرجَ بِهِ الدنيا من ظُلماتِ الجَهلِ إلى نورِ الإيمانِ والتوحيدِ.

اللَّهمَّ ألهمْنا رُشدَنا واهْدِنا سواءَ السَّبيلِ وَثَبِّتْنَا عليهِ حتَّى نلقاكَ غَيْرَ خزَايا ولا مَفْتُونِينَ ولا مُبدِّلين ولا مُغَيِّرِّينَ.

17 عُلُوُّ الهِمَّةِ

الخُطْبةُ الأُولى :

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ (آل عمران : 102).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ (النساء : 1).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب :70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ـ ﷺ ـ ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ ـ فحديثي معكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنِ **«عُلُوِّ الهِمَّةِ»**.

علوُّ الهمَّةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ «هوَ اسْتصغارُ ما دونَ النهايةِ من معالي الأُمورِ، وطلبُ المَراتبِ السَّامِيَةِ، واسْتِحْقارُ ما يجودُ بِهِ الإِنْسَانُ عِندَ العَطِيَّةِ، والاستخفافُ بأَوساطِ الأمورِ، وطلبُ الغاياتِ، والتهاونُ بما يملِكُهُ، وبَذْلُ ما يُمْكِنُهُ لمنْ يسألُهُ من غَيْرِ امْتنانٍ ولا اعتدادٍ بِهِ» كما قالَ الجاحظُ في كتابِهِ «تهْذيبُ الأخلاقِ»[1].

(1) «تهذيبُ الأخلاقِ» للجاحِظ (28).

وقال في «دُنُوِّ الهِمَّةِ»: «هو ضعفُ النَّفْسِ عن طلبِ المراتبِ العاليةِ، وقُصورُ الأملِ عن بُلوغِ الغاياتِ، واسْتكْثارُ اليَسيرِ من الفضائِلِ، واسْتِعظامُ القليلِ من العطايا والاعتدادُ بِهِ، والرِّضَى بأوساطِ الأُمورِ وصِغارِها»[1].

وقالَ الخَضِرُ حُسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «عُلُوُّ الهِمَّةِ: هو اسْتصغارُ ما دونَ النِّهايَةِ من معالي الأُمُورِ»[2].

أَيُّهَا النَّاسُ الإسلامُ دينُ العِزَّةِ والكرامَةِ، ودينُ السموِّ والارْتفاعِ، ودينُ الجِدِّ والاجتهادِ، فليسَ دينَ ذِلَّةٍ ومَسْكَنةٍ، ولا دينَ كسَلٍ وخمولٍ ودَعَةٍ. إنه دِينٌ يَحُضُّ على عُلُوِّ الهِمَّةِ ويَحُثُّ المسلمينَ على التَحَلِّيْ بِهَذا الخُلُقِ[3].

فقَدْ أخرجَ الطَّبَرَانيُّ في الكبيرِ بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ»[4] مِنْ حديثِ الحُسَيْنِ بنِ عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**إنَّ اللهَ ـ تعالى ـ يُحِبُّ مَعاليَ الأُمورِ وأَشرَافهَا، ويَكْرَهُ سفَاسِفَها**».

وفي «صحيحِ مُسلمٍ»[5] من حديثِ أبي هُرَيرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**المؤمنُ القَويُّ خيْرٌ وأحبُّ إلى اللهِ منِ المؤمنِ الضَّعيفِ، وَفي كُلٍّ خَيْرٌ، اِحْرِصْ على ما يْنفَعُكَ، واسْتعِنْ باللهِ، ولا تَعْجَزْ، وإنْ أصابَكَ شيءٌ فلا تَقُلْ لَوْ أَنِّيْ فعلتُ كانَ كَذا أَوْ كَذا، ولكِنْ قُلْ قَدَّرَ اللهُ وما شاءَ فَعَلَ**».

---

(1) «تهذيبُ الأخلاقِ» للجاحِظ (34).

(2) «رسائلُ الإصلاحِ» (57).

(3) انظر «الهمةُ العاليةُ» للحَمَد (119).

(4) «**صَحيحٌ**» أخرجهُ الطبرانيُّ في «الكبيرِ» (2894)، وابن عَدِيٍّ في «الكاملِ» (3/879)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (1886).

(5) رَواهُ مسلمٌ (2664).

قال النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قولُهُ ﷺ: «**المؤمنُ القَويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ منِ المؤمنِ الضَّعيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ**» والمرادُ بالقوَّةِ هنا عَزيمَةُ النَّفْسِ والقَريحَةُ في أمورِ الآخِرةِ فيكونُ صاحبُ هذا الوَصْفِ أكْثَرَ إقْدامًا على العَدوِّ في الجهادِ وأسْرعَ خُروجًا إليهِ وذهابًا في طَلَبِهِ وأشدَّ عزيمةً في الأمْرِ بالمعروفِ والنَّهي عن المُنْكرِ والصَّبرِ على الأذى في كلِّ ذلكَ واحتمالِ المشاقِّ في ذاتِ اللهِ تعالى وأرْغَبَ في الصَّومِ والصَّلاةِ والأذْكارِ وسائرِ العباداتِ وأنْشَطَ طلبًا لها ومحافظةً عليها ونَحْوِ ذلكَ»[1].

ومن اللَّطائِفِ في علوِّ الهمَّةِ - أيُّها النَّاسُ - ما جاءَ في «الصَّحيحَيْنِ»[2] من حديثِ أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**إنَّ اللهَ يحبُّ العُطَاسَ، ويكرَهُ التَّثاؤُبَ، فإذا عَطَسَ أحدكمْ فَحَمِدَ اللهَ - تعالى - فحقٌّ على كُلِّ مسلمٍ سَمِعَهُ أَنْ يُشَمِّتَهُ، أما التَّثاؤبُ فإنَّما هو من الشَّيطانِ، فإذا تَثَاءَبَ أحدُكم فَلْيَرُدَّهُ ما استطاعَ؛ فإنَّ أحدَكُمْ إذا تثاءَبَ ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيطانُ**».

قال العلامةُ ابنُ عُثَيمينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «العُطاسُ يَدُلُّ على النَّشاطِ والخِفَّةِ ولهذا تَجِدُ الإنسانَ إذا عَطَسَ نَشِطَ واللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يُحِبُّ الإنسانَ النَّشِيطَ الجادَّ.

وفي «الصحيح» عَنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قالَ: «**المؤمنُ القويُّ أَحَبُّ إلى اللهِ من المؤمنِ الضَّعيفِ وفي كُلٍّ خَيْرٌ**» والعُطاسُ يدلُّ على الخفَّةِ والنشاطِ فلِهَذا كانَ مَحْبوبًا إلى اللهِ وكانَ مَشْروعًا للإنسانِ إذا عَطَسَ أَنْ يقولَ الحَمْدُ للهِ؛ لأَنَّها نعمةٌ أُعْطيها فلْيَحْمَدِ اللهَ عَليها فيَقولُ: «الحمدُ للهِ».

وأَمَّا التَّثاؤبُ فإنَّهُ من الشَّيطانِ ولهذا كانَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يكْرَهُهُ لماذا؟ لِأَنَّ التثاؤبَ يدلُّ على الكَسَلِ»[3].

---

(1) «شرحُ النوويِّ على مسلم» (16/215).

(2) رَواهُ البُخاريُّ (6223) واللَّفْظُ لَهُ، ومسلمٌ (2994).

(3) «شرحُ رياضِ الصَّالحينَ» (1/998).

أَيُّها النَّاسُ إِنَّ الإسلامَ لَيَحُثُّ على السُّمُوِّ والارْتِفاعِ حتَّى في التَّسْمِيَةِ.

فَفي «سُنَنِ أبي داودَ»[1] بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ من حديثِ أبي دَهْبٍ الجُشَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**أَحَبُّ الأَسْماءِ إلى اللهِ عبدُ اللهِ وعبدُ الرَّحمنِ وأصْدَقُها حارثٌ وهَمَّامٌ**».

قالَ الإمامُ البَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّما صارَ الحارثُ وهمامٌ مِنْ أصْدقِ الأسماءِ من أجلِ مُطابَقَةِ الاسمِ معْناهُ»[2].

أَيُّها النَّاسُ لِتكُنْ همَّتُكُمْ الآخِرَةَ فَنعِيمُها خَيْرٌ وأَبْقى.

قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ (الإنسان: 20).

وفي «الصَّحيحَيْنِ»[3] من حديثِ سَهلِ بْنِ سَعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**لَمَوْضِعُ سَوطِ أَحَدِكُمْ في الجَنَّةِ خيرٌ من الدُّنْيا ومَا فِيهَا، وَلَغَدْوَةٌ في سَبِيْلِ اللهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وما فِيها**».

أَيُّها النَّاسُ لَقَدْ أنْكرَ النَّبيُّ ﷺ على الأَعْرابِيِّ الَّذِيْ قَصُرَتْ بِهِ هِمَّتُهُ فَجَعَلَهَا في نَاقَةٍ بِرَحْلِهَا وأَعْنُزٍ يَحْلُبُها أَهْلُهُ.

فقدْ أخرجَ أبو يَعْلى في «مُسنَدِهِ» والحاكِمُ في «مُسْتَدْرَكِهِ» بِسَنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحيحَةِ»[4] من حديثِ أبي موسى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ نَزَلَ بِأَعْرابيٍّ فأكْرَمَهُ، فقالَ لَهُ: «**يا أَعْرَابِيُّ سَلْ حَاجَتَكَ**». قال: يا رسولَ اللهِ،

---

(1) «**صَحيحٌ**» أخرجَهُ أبو داودَ (4950)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحيحةِ» (904).

(2) «شرحُ السُّنةِ» للبَغَوِيُّ (334/12).

(3) رَواهُ البُخاريُّ (6415)، ومسلمٌ (1881).

(4) «**صَحيحٌ**» أخرجَهُ أبو يَعلى في «مُسْنَدِهِ» (7093)، والحاكمُ في «مُسْتَدْرَكِهِ» (3458)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحيحةِ» (313).

ناقةٌ بِرَحْلِهَا، وأَعْنُزٌ يَحْلُبُها أَهْلِيْ. قالَها مرَّتَيْنِ، فقالَ لَهُ رسولُ اللهِ ﷺ: «**أَعَجَزْتَ أَنْ تكُوْنَ مِثْلَ عَجُوْزِ بَني إِسْرائِيْلَ؟**». فقالَ أَصْحابُهُ: يا رسولَ اللهِ، وما عَجوزُ بَني إسرائِيلَ؟ قالَ: «**إِنَّ مُوسى أرادَ أَنْ يَسِيْرَ بِبَنِيْ إِسْرائِيلَ فَأَضَلَّ الطَّرِيقَ، فقالَ لَهُ عُلماءُ بَنْي إِسْرائيلَ: نَحنُ نُحَدِّثُكَ أَنَّ يُوسُفَ أَخَذَ عَلَيْنا مَواثِيقَ اللهِ أَنْ لَا نَخْرُجَ مِنْ مِصْرَ، حتَّى نَنْقُلَ عِظامَهُ مَعَنا، قالَ: وأَيُّكُمْ يَدْرِيْ أَينَ قَبْرُ يُوسُفَ؟ قالُوا: ما تَدْرِيْ أَيْنَ قَبْرُ يُوسُفَ إِلَّا عَجُوزُ بَني إِسْرائِيلَ، فأَرْسَلَ إِلَيها، فَقالَ: دُلِّيْنِيْ عَلى قَبْرِ يُوسُفَ، فَقَالَتْ: لا واللهِ لا أَفْعَلُ حتَّى أَكُوْنَ مَعَكَ في الجَنَّةِ، قالَ: وَكَرِهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ما قَالتْ، فَقِيْلَ لَهُ: أَعْطِها حُكْمَها فأَعْطاها حُكْمَها فَأَتَتْ بُحَيْرَةً، فقالتْ: أَنْضِبُوا هَذا الماءَ. فلمَّا نَضَّبُوهُ قالتْ: احْفِرُوا هَا هُنا، فلمَّا حَفَرُوا إِذا عِظامُ يُوسُفَ، فَلمَّا أَقَلُّوْها مِنَ الأَرْضِ، فَإِذا الطَّرِيقُ مِثْلُ ضَوْءِ النَّهارِ**».

أَيُّهَا النَّاسُ هَلْ طَلَبَ الأَعْرابيُّ شَيئًا مُحرَّمًا أَمْ أَنَّهُ طلبَ شَيئًا مِنْ ضَرُورِيَّاتِ الحياةِ وَمَعَ هَذا وجَّهَهُ النَّبيُّ ﷺ إلى أَرْفَعِ مَقامٍ وَأَسْمَى غَايَةٍ[1].

أَيُّهَا النَّاسُ عَظِيْمُ الهِمَّةِ يَشْتَدُّ حِرْصُهُ عَلى الجَنَّةِ حتَّى لَا يَكَادَ يَشْعُرُ بما يُلاقِيْهِ في طَرِيْقِهِ.

ففي «صَحيح مسلم»[2] من حديثِ أَنَسِ بْنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: (في يَوْمِ بَدْرٍ) قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**قُومُوا إِلى جَنَّةٍ عَرْضُها السَّمواتُ والأَرْضُ**».

قالَ: يقولُ عُميْرُ بْنُ الحَمامِ الأنْصاريُّ: يا رسولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُها السَّماواتُ والأَرْضُ؟ قالَ: «**نَعَمْ**». قال: بَخٍ بَخٍ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**ما يَحْمِلُكَ على قَولِكَ بَخٍ بَخٍ**». قال: لَا واللهِ! يا رسولَ الله! ، إِلَّا رَجاءَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا؟ قالَ: «**فَإِنَّكَ**

(1) انظر «قصّةُ عَجوزِ بني إسرائيلَ» للمقْطَرِيِّ (95).

(2) رَواهُ مسلمٌ (1901).

مِنْ أَهْلِهَا». وقالَ: فَأَخْرَجَ تمْرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قالَ: لَئِنْ حَيِيْتُ حَتَّى آكُلَ تمْرَاتي هَذِهِ، إِنَّها لَحَياةٌ طَويْلَةٌ، قال: فَرَمَى بما كانَ مَعَهُ من التَّمْرِ ثُمَّ قاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ.

وفي «صَحيحِ مسلمٍ»[1] عَنْ أبي بَكْرِ بْنِ عبدِ اللهِ بنِ قَيْسٍ عَنْ أَبيْهِ قالَ: سَمِعْتُ أبي وَهُوَ بحَضْرَةِ العَدوِّ يقولُ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**إِنَّ أَبْوابَ الجَنَّةِ تَحْتَ ظِلالِ السُّيوفِ**».

فقامَ رَجُلٌ رَثُّ الهَيْئَةِ، فقالَ: يا أَبا مُوسى! أَنْتَ سَمِعْتَ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ هَذا؟، قال: نَعَمْ، قال: فَرَجِعَ إلى أَصْحابِهِ فقال: أَقْرَأُ عَليكُمُ السَّلامَ، ثُمَّ كَسَرَ جَفْنَةَ سَيْفِهِ فأَلْقاهُ، ثُمَّ مشَى بسيْفِهِ إلى العَدُوِّ فَضَرَبَ بِهِ حتَّى قُتِلَ.

وأَسْتغْفِرَ اللهَ.

---

(1) رَواهُ مسلمٌ (1902).

الخُطْبَةُ الثّانيةُ ـ عُلُوُّ هِمَّةِ سلمانَ في البَحْثِ عن الحقِّ:

الْحَمْدُ للهِ ربِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمعِينَ.

أَمَّا بَعدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ «**عُلُوُّ الهِمَّةِ**» والآنَ حديثِي مَعَكُمْ عَنْ «**عُلُوُّ هِمَّةِ سلمانَ في البَحْثِ عن الحَقِّ**».

يَقُولُ سَلْمَان الفَارِسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْمٍ مِنْ أَبْنَاءِ مِلْتِه خَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشامَ، فلَمَّا قَدِمْتُها قُلْتُ: مَنْ أَفْضَلُ هَذا الدِّينِ؟

قالُوا: الأُسْقُفُ في الكَنِيسَةِ. قالَ: فَجِئْتُهُ، فَقُلْتُ: إني أَرْغَبُ في هَذا الدِّينِ، وأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ؛ أَخْدُمُكَ في كَنِيسَتِكَ، وأَتعلَّمُ مِنْكَ، وأُصَلِّي مَعَكَ.

قالَ: فادْخُلْ، فَدَخَلْتُ مَعَه، قال: فكانَ رَجُلَ سُوءٍ؛ يأمرُهم بالصَّدَقَةِ ويُرَغِّبُهمْ فيها؛ فإذا جَمَعُوا إليهِ منْها أشياءَ اكْتَنَزَهُ لِنَفْسِهِ ولمْ يُعْطِهِ المساكيْنَ، حتَّى جَمعَ سَبْعَ قِلالَ من ذَهَبٍ وَوَرِقٍ، قالَ: وأَبْغَضْتُهُ بُغْضًا شَديدًا لِمَا رَأَيْتُهُ يصْنعُ، ثُمَّ ماتَ، فاجْتَمَعَتْ إليهِ النَّصارى لِيَدْفِنُوْهُ، فقلتُ لَهُمْ: إنَّ هَذا كانَ رَجُلَ سُوءٍ يأْمُرُكُمْ بالصَّدَقَةِ ويرغبُكُمْ فيها؛ فإذا جِئْتُمُوهُ بها؛ اكْتَنَزَهَا لِنَفْسِهِ ولم يُعْطِ المساكينَ منها شَيئًا. قالُوا: وما عِلمُكَ بذلِكَ؟ قالَ: قُلتُ: أنا أدلُّكُمُ على كَنْزِهِ. قالُوا: فَدُلَّنا عليْهِ. قال: فأَرَيتُهمْ مَوْضِعَهُ، قال: فاسْتَخْرَجُوا منهُ سَبْعَ قلالٍ مملوءةً ذهَبًا وَوَرِقًا، (أَيْ: فِضَّةٌ) قالَ: فلَمَّا رأَوها قالوا: واللهِ لا نَدْفِنَهُ أَبَدًا فَصَلَبُوهُ ثُمَّ رَجَمُوهُ بالحِجارةِ.

ثُمَّ جاؤوا بِرَجُلٍ آخَرَ فجَعَلوه بمكانِهِ. قالَ: يقولُ سلمانُ: فمَا رأيتُ رَجُلًا لا يُصلي الخمسَ أرى أَنَّهُ أفْضَلُ مِنه؛ أَزْهَدُ في الدُّنْيا، ولا أَرْغَبُ في الآخرَةِ، ولا أَدْأَبُ لَيلًا ونهارًا مِنْهُ، قال: فأَحْبَبْتُهُ حبًّا لم أُحِبَّهُ من قَبْلِهِ، وأَقَمْتُ مَعَهُ زمانًا، ثُمَّ حَضَرَتْهُ الوفاةُ، فقلتُ لَهُ: يا فلانُ! إني كُنْتُ مَعَكَ، وأَحْبَبْتُكَ حبًّا لم أُحِبَّهُ من قَبْلِكَ، وقَدْ

حَضَرَكَ ما تَرى من أمرِ اللهِ، فإِلَى مَنْ تُوصِيْ بِيْ؟ وما تَأْمُرُنِيْ؟ قال: أَيْ بُنَيَّ! واللهِ ما أعلمُ أحَدًا اليومَ على ما كنتُ عليْهِ، لَقَدْ هَلَكَ النَّاسُ وبَدَّلُوا، وتَرَكُوا أكْثَرَ ما كانُوا عَلَيْهِ إِلّا رَجُلًا بِـ(المَوْصِلِ) وهو فلانُ، فَهُوَ على ما كُنتُ عليه فالْحِقْ بِهِ.

قال: فلَّما ماتَ وغُيِّبَ؛ لَحِقْتُ بصاحبِ (المَوْصِلِ)، فقلتُ لَهُ: يا فلانُ إنَّ فلانًا أوصاني عندَ موتِهِ أَنْ أَلْحِقَ بِكَ، وأخبرني أَنَّك عَلى أَمْرِهِ، قالَ: فقالَ لي: أَقِمْ عِنْدِيْ. فأقمتُ عِنْدَهُ، فَوَجَدْتهُ خيْرَ رجلٍ على أمْرِ صاحِبِهِ، فلمْ يَلْبثْ أَنْ ماتَ، فلَّما حَضَرَتْهُ الوَفاةُ قلتُ لَهُ: يا فلانُ! إنَّ فُلانًا أوصى بي إلَيْكَ، وأَمَرَني باللُّحُوقِ بِكَ، وقدْ حَضَرَكَ من اللهِ ـ عزَّ وجَلَّ ـ ما ترى، فإلى مَنْ تُوصِي بِي؟ وما تأمُرُني؟ قال: أَيْ بُنَيَّ! واللهِ ما أعلمُ رجلًا على مِثْلِ ما كُنَّا عليهِ إلا رَجُلًا بـ (نِصَيبينَ) فَجِئْتُهُ فأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِيْ وما أَمَرَني بِهِ صَاحِبيْ، قالَ: فأَقِمْ عِنْدي. فأَقَمْتُ عِندَه، فوجَدْتُهُ على أمرِ صاحِبَيْهِ، فأقمْتُ مع خيرِ رَجُلٍ، فواللهِ ما لَبِثَ أنْ نَزَلَ بِهِ الموتُ، فلمَّا حَضِرَ قلتُ لَهُ: يا فلانُ! إنَّ فلانًا كانَ أوصى بِي إلى فُلانٍ، ثُمَّ أوصى بي فلانٌ إليكَ؛ فإلى مَنْ تُوصِيْ بِيْ؟ وما تَأْمُرُنِيّ؟ قال: أَيْ بُنَيَّ! واللهِ ما نَعْلمُ أحَدًا بَقِيَ على أمْرِنا آمرُكَ أنْ تأتيَهُ إلَّا رجلًا بـ (عَمُّورِيَّةَ)؛ فإِنَّهُ بِمِثْلِ ما نحنُ عليهِ، فإِنْ أَحْبَبْتَ فَأْتِهِ، قال: فإِنَّهُ على أمْرِنا. قال: فلمَّا ماتَ وغُيِّبَ، لَحِقْتُ بصاحبِ (عَمُّوْرِيَّةَ) وأخْبَرْهُ خَبَري، فقال: أَقِمْ عِنْدِيْ. فقمتُ مَعَ رجلٍ على هَدْيِ أصحابِهِ وأمْرِهِمْ، قال: واكْتَسَبْتُ حتَّى كانَ لي بَقَراتٌ وَغَنِيْمَةٌ، قالَ: ثُمَّ نَزَلَ بِهِ منْ أمرِ اللهِ، فَلمَّا حُضِرَ قلتُ لَهُ: يا فلانُ! إنِّي كُنتُ معَ فلانَ، فأوصى بي فلانُ إلى فلانَ وأوصى بي فلانُ إلى فلانَ ثم أوصى بي فُلانُ إليْكَ؛ فإِلَى مَنْ تُوصِي بِيْ؟ وما تَأْمُرُنِيْ؟ قال: أي بُنَيَّ! ما أَعْلَمُهُ أصْبحَ على ما كنَّا علَيْهِ أحدٌ من النَّاسِ آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ، وَلكِنَّهُ قَدْ أظَلَّكَ زمانُ نَبِيٍّ، هو مبعوثٌ بدِينِ إبراهيمَ، يَخْرجُ بأرضِ العَربِ، مُهاجرًا إلى أرضٍ بينَ حَرَّتَيْنِ بينهما نَخْلٌ، بِهِ علاماتٌ لا تَخْفَى، يأكُلُ الهَدِيَّةَ،

ولا يأْكُلُ الصَّدَقَةَ بين كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبوَّةِ، فإنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْحِقَ بِتِلْكَ البلادِ فافْعَلْ.
قالَ: ثُمَّ ماتَ وغُيِّبَ، فمكَثْتُ بعَمُّوْرِيَّةَ ما شاءَ اللهُ أنْ أَمْكُثَ، ثُمَّ مَرَّ بِيْ نَفَرٌ مِنْ كَلبٍ تُجارًا، فقلتُ لهمْ: تَحْمِلُوني إلى أرضِ العَربِ وأُعطِيكمْ بَقراتي هَذِهِ وغَنِيْمَتَيْ هَذِهِ؟ قالوا: نَعَمْ. فَأَعْطَيْتُمُوهَاْ، وحملُوني حتَّى إذا قَدِمُوا بي وادِيَ القُرى ظلَمُوني، فبَاعُوني مِن رجلٍ من اليهودِ عبدًا، فكنتُ عندَه، ورأيتُ النَّخْلَ ورجَوْتُ أن تكونَ البلدَ الذي وَصَفَ لي صَاحبي، ولم يَحِقَّ لي في نَفْسي، فبيْنَما أنا عندَهُ قَدُمَ عليه ابنُ عمٍّ لَهُ من المدينةِ من بَني قُرَيْظَةَ، فابْتاعَني منهُ، فاحْتَمَلَني إلى المدينةِ، فواللهِ ما هُو إلا أَنْ رأيتُها فعرفْتُها بصِفَةِ صَاحِبي، فأَقَمْتُ بها.

وبعثَ اللهُ رسولَهُ فأقامَ بمكَّةَ ما أقامَ لا أَسْمعُ لَهُ بذكرٍ مَعَ ما أنا فيه من شُغْلِ الرِّقِّ، ثُمَّ هَاجَرَ إلى المدينةِ، فواللهِ إنِّي لفي رأسِ عِذْقٍ لسيِّدِي أَعملُ فيه بعضَ العَمَلِ، وسيِّديْ جالسٌ إذا أقبلَ ابنُ عمٍّ لَهُ حتَّى وَقَفَ عليهِ فَقالَ: فلانٌ! قاتَلَ اللهُ بَني قَيْلَةَ؛ واللهِ إنهمُ الآنَ لمجتمِعون بـ (قُبَاءَ) على رجلٍ قَدُمَ عليهم من مَكَّةَ اليومَ يزعُمُونَ أَنَّه نَبيٌّ. قالَ: فلمَّا سمعْتُها أَخَذَتْنِيْ العُرِوْاءُ (أَيْ الرَّعْدَةُ) حتَّى ظَنَنْتُ أني سأَسْقُطُ على سيِّدي، قالَ: ونَزَلْتُ عن النَّخْلَةِ فجعلتُ أقولُ لابنِ عمِّهِ ذلك: ماذا تقولُ؟ قال: فَغَضِبَ سيِّديْ فلكمني لكمةً شديدةً، ثُمَّ قال: ما لَكَ ولِهَذا؟! أَقْبِلْ على عَمَلِكَ. قال: قلتُ: لا شيءَ إنَّما أردتُ أن أَسْتَثْبِتَ عمَّا قال.

وقدْ كان عندِي شيءٌ قد جَمَعْتُهُ، فلمَّا أَمْسَيْتُ أَخَذْتُهُ ثم ذهبْتُ بِهِ إلى رسولِ اللهِ ﷺ وهو بـ (قُبَاءَ)، فدخلْتُ عليه فقلتُ لَهُ: إِنَّهُ قدْ بَلَغَني أنَّك رجلٌ صالحٌ، ومَعَكَ أصحابُ لَك غُرباءُ ذَوُوْ حاجةٍ، وهذا شيءٌ كانَ عِنْدي للصَّدَقَةِ، فَرَأَيْتُكُمْ أَحَقَّ بِهِ من غَيْرِكُمْ، قال: فقرَّبْتُهُ إليْهِ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ لأصحابِهِ: «**كُلُوا**». وأمْسَكَ يَدَه فلمْ يَأْكُلْ، قال: فقلتُ في نَفْسِي: هَذِهِ واحدةٌ، ثُمَّ انْصَرفْتُ عنْهُ، فجمْعتُ شيئًا

وتحوَّلَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى المدينةِ، ثُمَّ جِئْتُ به فقلْتُ: إني رأيتك لا تأكُلُ الصَّدَقَةَ، وهذه هَدِيَّةٌ أكْرَمْتُكَ بها، قال: فَأَكَلَ رسولُ اللهِ ﷺ مِنْها، وأَمَرَ أصحابَهُ فَأَكَلُوا مَعَهُ، قال: فقلتُ في نَفْسي: هاتانِ اثْنتانِ، ثُمَّ جِئْتُ رسول الله ﷺ وهو بِبَقيعِ الفَرْقَدِ، قال: وقدْ تَبع جنازةً من أَصْحابِهِ، عليه شَمْلتانِ لَهُ، وهو جالسٌ في أصحابِهِ، فسلَّمتُ عليْهِ، ثُمَّ اسْتدرْتُ أنظُرُ إلى ظَهْرِهِ، هل أرى الخاتَمَ الَّذِيْ وَصَفَ لِيْ صَاحِبي، فلما رآني رسولُ اللهِ ﷺ اسْتَدَرْتُهُ؛ عَرَفَ أَنّي أَسْتَثْبِتُ في شيءٍ وُصِفَلي، قال: فأَلقى رداءَه عن ظَهره، فنظرْتُ إلى الخاتَمِ فَعرفْتُهُ فانْكَبَبْتُ عليه أُقَبِّلُهُ وأَبْكِيْ فقالَ لي رسولُ اللهِ ﷺ : «**تَحَوَّلْ**». فقصَصْتُ عليهِ حَديثي ـ كما حدَّثْتُك يا ابنَ عباسٍ! ـ قال: فأَعْجَبَ رسولَ اللهَ ﷺ أَنْ يَسْمَعَ ذلكَ أصحابُهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ لقد ضَرَبَ لنا الصحابيُّ الجليلُ سلْمانُ الفارسيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المثَلَ الأعلى في عُلُوِّ الهمَّةِ في طَلَبِ الحَقِّ حتَّى وَجَدَهُ وإنْ كان قدْ قاسَى الشَّدائدَ واحْتَمَلَ المَتاعبَ فعظيمُ الهمَّةِ يسْتهينُ بذلِكَ كُلِّهِ، كما قال الأوَّلُ:

تَهونُ علينا في المعالي نفوسُنا ○●○ ومَنْ يَخْطُبِ الحسْناءَ لم يَغْلُهُ المَهْرُ

وقالَ الآخَرُ وهو الباروديُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومَنْ تَكُنِ العَلْياءُ هِمَّةَ نَفْسِهِ ○●○ فكُلُّ الَّذِيْ يلْقاهُ فِيها مُحَبَّبُ

اللَّهُمَّ إنَّا نعوذُ بِكَ من العَجْزِ والكَسَلِ ونَعُوذُ بِكَ من الضَّعَةِ والقِلَّةِ والذِّلَّةِ.

اللَّهُمَّ وَفِّقْنا لِمعالي الأمورِ وأَشْرافِها والعَزيمةِ على الرُّشْدِ.

اللَّهُمَّ إنَّا نسأَلُكَ من خيرِ ما سألَكَ مِنْهُ نَبيُّك مُحمّدٌ وعبادُكَ الصَّالحونَ ونَسْتعيذُ بِكَ ممَّا اسْتعاذَك مِنْهُ نَبيُّكَ محمدٌ وعبادُكَ الصَّالحونَ.

18 أَهَمِيَّةُ النَّصِيحَةِ

الخُطْبَةُ الأُولى :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران : 102).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء : 1).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب :70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ـ ﷺ ـ ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ ـ فحديثي معكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنِ **«أهميَّةِ النَّصيحَةِ»**.

أَيُّهَا النَّاسُ النصيحةُ لُبُّ الدينِ وجَوْهَرُ الإيمانِ.

وقد قالَ رسولُ الله ﷺ كما في «صَحيحِ مسلمٍ»[1] من حديثِ تميمٍ الداريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «**الدِّينُ النَّصيحةُ**». قالوا : لِمَنْ يا رسولَ اللهِ؟! قالَ: «**للهِ ولِرسُولِهِ ولكتَابِهِ وَلِأَئمَّةِ المُسْلمِينَ وعامَّتِهِمْ**».

(1) رَواهُ مسلمٌ (55).

قال النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا حديثٌ عظيمُ الشَّأنِ وعليْهِ مدارُ الإسلامِ كما سنذْكُرُ في شَرْحِهِ، وأمَّا ما قالَهُ جماعاتٌ من العلماءِ أنَّه أَحَدُ أرْباعِ الإسلامِ أَيْ أحدُ الأحادِيثِ الأرْبعةِ الَّتي تَجْمَعُ أمورَ الإسلامِ فليسَ كمَا قالوهُ، بَلْ المَدارُ على هذا وَحْدَهُ»[1].

ومعنى النَّصيحَةِ للهِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ باتِّباعِ أَمْرِهِ والتَّسليمِ لَهُ في حُكْمِهِ.

قال الخَطَّابيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وحَقيقةُ هذهِ الإضافةِ راجِعَةٌ إلى العَبْدِ في نُصْحِهِ نَفْسَهُ، فاللهُ غنيٌّ عن نُصْحِ النَّاصِحِ»[2].

والنَّصيحةُ لِرَسُولِهِ ﷺ باتِّباعِ سُنَّتِهِ وإكرامِ قرَابَتِهِ والشَّفَقَةِ على أُمَّتِهِ.

ولكتابِهِ، بِتَدَبُّرِ آياتِهِ، واتباعِ مأْمُورَاتِهِ، وتَحْيِنِ تلاوتِهِ.

والنَّصيحَةُ لِأَئِمَّةِ المسلمين بالطَّاعَةِ للأُمراءِ إلّا في مُحَرَّمٍ مُجْمَعٍ عَليهِ والتَّصْدِيقِ للعُلماءِ إلّا فيما لا يَهْديْ العِلمُ إليهِ.

والنَّصيحةُ لعامَّةِ المُسلِمينَ بالذَّبِّ عَنْ أعراضِهِمْ، وإِقامَةِ حُرْمَتِهِمْ والنُّصْرةِ لَهُمْ في جميعِ أَحْوالِهِمْ جَلْبًا ونَفْعًا.

والنَّصيحَةُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ فرضُ كفايةٍ.

قالَ ابنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والنَّصيحَةُ فرضٌ يجزيء فِيْهِ من قامَ بِهِ، ويَسْقُطُ عن البَاقِين»[3].

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ للنَّاصِحِ من الشَّرَفِ العَظيمِ ما لا يُدْرَكُ ويَكْفِيْ أَنَّ النَّصيحَةَ وَظِيْفَةُ الأَنْبياءِ عليهم السلام.

---

(1) «شرحُ النوويِّ على مسلمٍ» (2/37).

(2) «شرحُ النوويِّ على مسلمٍ» (2/39).

(3) شرحُ «صحيحِ مسلمٍ» (2/39).

قال اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ عَنْ نُوحٍ إِنَّهُ قالَ لِقوْمِهِ: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ (الأعراف: 61-62).

وقال اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ عَنْ هُوْدَ إِنَّهُ قالَ لِقوْمِهِ: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ (الأعراف: 67-68).

وقال اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ عَنْ صالحٍ إِنَّهُ قالَ لِقوْمِهِ: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾ (الأعراف: 79).

وقال اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ عَنْ شُعَيْبٍ إِنَّهُ قالَ لِقوْمِهِ: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ (الأعراف: 93).

وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قالَ لِقَوْمِهِ في حِجَّةِ الوَداعِ كما في «صحيحِ مسلمٍ»[1] مِنْ حديثِ جابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**وَأَنْتُمْ تُسْأَلُوْنَ عَنِّيْ فَما أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟**». قالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ ونَصَحْتَ، فقالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إلى السَّماءِ، وَيَنْكِتُها إلى النَّاسِ: «**اللَّهُمَّ! اشْهَدْ اللَّهُمَّ اشْهَدْ**». ثَلاثَ مرَّاتٍ.

أَيُّها النَّاسُ النَّصيحةُ حقٌّ من حُقوقِ المُسْلمِ على أَخِيهِ المسلمِ كَما في «صَحيحِ مسلمٍ»[2] من حديثِ أَبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**حَقُّ المُسْلِمِ على المُسْلِمِ سِتٌّ**». قيلَ: مَا هُنَّ يا رسولَ اللهِ؟

قال: «**إِذَا لَقِيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وإِذاْ دعَاكَ فأَجِبْهُ، وإذا اسْتَنْصَحَكَ فانْصَحْ لَهُ، وإذا عَطَسَ فَشَمِّتْهُ، وإذا مَرِضَ فَعُدْهُ، وإذا مَاتَ فَاتْبَعْهُ**».

---

(1) رَواهُ مسلمٌ (1218).

(2) رَواهُ مسلمٌ (2162).

وفي «صَحيحِ مسلمٍ»[1] من حديثِ جَرِيْرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: بَايَعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ على إِقَامِ الصَّلاةِ، وإِيْتاءِ الزَّكاةِ والنُّصْحِ لِكُلِّ مُسلمٍ.

ولِلنَّصِيحَةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَرْكَانٌ وَشُرُوطٌ، وَآدَابٌ.

فأَرْكانُ النَّصيحَةِ ثَلاثَةٌ وَهِيَ:

1 - النَّاصِحُ وهُو الذِيْ ينْصح غَيرَهُ.

2 - المنْصوحُ وهو الَّذِيْ ينصَحُهُ غيْرُهُ.

3 - المنْصُوحُ بِهِ وهو الأَمْرُ الذي يَنْصَحُ بِهِ النَّاصِحُ المنْصُوحَ.

وأَمَّا شُروطُ النَّصيحَةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ والَّتي لا بُدَّ أَنْ تَتوَفَّرَ في النَّاصِحِ والمنْصُوحِ فهي ما يَأْتي ذِكْرُهَا:

أوَّلًا ـ الإسلامُ: فالأَصْلُ في أَنْ يَكونَ مُسلمًا والمنْصُوحُ كَذلِكَ لِلْحَدِيثِ المُتقَدِّمِ **«والنُّصْحُ لِكلِّ مُسْلمٍ»**.

لَكِنَّ التَقَيُّدَ لِلْمُسلمِ لِلأَغْلَبِ وإِلَّا فَإِنَّهُ يَجُوزُ بَذْلُ النَّصيحَةِ للكافِرِ ودعْوتُهُ إلى الإِسْلامِ.

قالَ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «والتَّقَيُّدُ بالمُسْلمِ لِلأَغْلَبِ، وإِلَّا فالنُصْحُ لِلْكافِرِ مُعْتَبَرٌ بَأَنْ يُدْعَى إلى الإسلامِ ويُشَارَ عَليْهِ بالصَّوابِ»[2].

والشرطُ الثَّانِيْ من شُروطِ النَّصيحَةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ **البُلوغُ**.

فَيُشْتَرطُ فيهما أَنْ يَكُونا بالِغَيْنِ؛ لِأَنَّ البُلوغَ مَنَاطُ التَّكلِيفِ، ومَنْ لم يَكنْ بالغًا فليسَ عليهِ تَكْلِيفٌ.

---

(1) رَواهُ البُخاريُّ (1401)، ومسلمٌ (56).

(2) «فتحُ البَاريْ» (1/140).

لما في سُنَنِ أَبي دَاودَ بِسندٍ صحيحٍ صَحَّحَهُ الألبانيُّ في «الإِرْواءِ»[1] من حديثِ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالتْ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**رُفِعَ القَلَمُ عنْ ثلاثَةٍ: عن النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وعن الصَّغِيرِ حتَّى يَكْبُرَ، وعن المجْنُونِ حتَّى يَعْقِلَ أَوْ يَفِيْقَ**».

والشرطُ الثالثُ من شُروطِ النَّصيحَةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنْ يكونا **عاقِلَيْنِ**؛ لأنَّ العقلَ مَناطُ التَّكْلِيفِ.

وقد رُفِعَ القلمُ عمَّنْ ليسَ بِعاقِلٍ وفي الحَديثِ: «**وعن المجْنُونِ حتَّى يَفِيْقَ**».

ويُشْتَرَطُ في الأمْرِ الذي يُنْصَحُ بِهِ ما يَأْتِيْ:

ـ أنْ يكونَ ممَّا أمرَ بِهِ اللهُ ورسُولُهُ ﷺ أَوْ مِمَّا نَهى اللهُ ورسُولُهُ ﷺ عَنْهُ.

ـ وأَنْ يكونَ ممَّا اتَّفَقَ أَهْلُ العِلمِ على طَلَبِ فِعْلِهِ أو تَرْكِهِ.

وأَسْتَغفِرُ اللهَ.

(1) «**صَحيحٌ**» رَواهُ أبو داودَ (4398)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «الإِرْواءِ» (297).

الخُطْبةُ الثّانيةُ ـ آدابُ النَّصيحَةِ :

الْحَمْدُ للهِ ربِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أَمَّـا بَعدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ «**النَّصِيحَةِ**» والآنَ حديثِي مَعَكُمْ عَنْ «**شَيْءٍ من آدَابِها**».

فَمِنْ آدابِ النَّصيحَةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ الإِخْلاصُ؛ لِإَنَّ النَّصيحَةَ عبادةٌ يَتَقَرَّبُ بِهَا العَبْدُ إلى اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ وعَملٌ صَالحٌ يرْجُو بِهِ ثوابَ اللهِ والنِّيَّةُ الصَّالحَةُ أساسُ أَيِّ عَمَلٍ صالحٍ.

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[1] من حديثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «**إِنَّما الأعمالُ بالنِّيَّتِ، وإِنَّما لِكُلِّ امْرِيءٍ ما نَوى**».

فَصَلاحُ الأَعْمالِ وفسَادُها بِحَسَبِ صَلاحِ النِّيَّاتِ وفسادِها وقَبُولِها وعَدمِهِ كما قالَ الحافظُ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ.

فمَنْ أرادَ أَنْ يَنْصَحَ أخاه فلْيُقَدِّمْ بينَ يديْهِ نِيَّةً حَسَنَةً يجِد الأَجْرَ يَطْلُبُهُ كما يَطلبُ السَّيْلُ الحَدْورَةَ ويجِدْ لِنَصيحَتِهِ روحًا من التَأْثِيرِ وَلَابُدَّ.

قال اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (الواقعة : 64).

ومنْ آدابِ النَّصيحَةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ التَحَلِّيْ بالعِلمِ.

ويَكْفِيْ أَنْ يَكونَ عالمًا أَنَّ ما ينْصَحُ بِهِ أخاه ممَّا أَمَرَ اللهُ بِهِ ورسُولُهُ أو ممَّا نَهى اللهُ عنهُ ورسولُهُ فَيَنْصَحُ بحدودِ ما يَعْلَمُهُ.

ومنْ آدابِ النَّصيحَةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ لُزُوْمُ الحِكْمَةِ.

---

(1) «جامعُ العُلومِ» (1/65).

قال اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل : 125).

والحِكْمَةُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ هي الإِصَابَةُ في الأَقْوالِ والأَفْعالِ ووَضْعُ الشَّيْءِ في مَوْضِعِهِ.

والنَّاصِحُ الحَكيمُ يَسْتعمِلُ أَفْضَلَ الكَلامِ وأَبْيَنَهُ وأَحْسَنَ الأوقاتِ وأنْسَبَها وأرفَقَ الأَساليبِ وأجملَها، ويُؤْثِرُ الإِشارةَ على العِبارَةِ وقَليلَ الكلامِ على كَثِيرِهِ، والسِّرَّ على العَلَنِ فإِنَّ السِّرَّ نَصِيحَةٌ والجَهْرَ فَضِيحَةٌ.

ومنْ آدابِ النَّصيحَةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَدَمُ التَّشْهِيْرِ بالمَنْصُوحِ لَهُ.

فإِنَّ التَّشْهِيْرَ بالمَنْصُوحِ لَهُ لَيْسَ من أخلاقِ المُسْلمينَ.

قال ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : «وهَذا داخلٌ فيما ذَمَّهُ اللهُ ـ تعالى ـ في كِتَابِهِ وتَوَعَّدَ عليْهِ في الهَمْزِ واللَّمْزِ ودَاخلٌ ـ أيضًا ـ في قولِ النَّبيِّ ﷺ كما في مُسْنَدِ أَحْمَدَ وسُنَنِ أبي داودَ بِسندٍ قالَ عنهُ الألبانيُّ في «المِشْكَاةِ»[1] حَسَنٌ صَحِيحٌ من حديثِ أبي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «**يا معْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ ولمْ يَدْخُلِ الإيمانُ قَلْبَهُ لا تَغْتابُوا المُسْلِمينَ ولا تَتَّبِعُوا عَوْراتِهِمْ فإِنَّهُ من اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتْبَعِ اللهُ عَوْرَتَهُ ومَنْ يَتْبعِ اللهُ عَورَتَهُ يَفْضَحْهُ في بَيْتِهِ**».

وهذا كُلُّهُ في حقِّ العلماءِ المُقْتَدَى بِهِمْ في الدِّينِ فأَمَّا أَهْلُ البِدَعِ والضَّلالَةِ ومَنْ تَشَبَّهَ بالعُلَماءِ وليْسَ مِنْهُمْ فَيَجُوْزُ بيانُ جَهْلِهِمْ وإِظْهارُ عُيوبِهِمْ تَحْذيرًا من الاقْتِداءِ بِهِمْ»[2].

(1) «**حَسَنٌ صَحيحٌ**» أخرجَهُ أحمدُ (19791)، وأبو داودَ (4480)، وقال الألبانيُّ في «المشكاةِ» (5044) حسنٌ صحيحٌ.

(2) «الفرقُ بينَ النَّصيحَةِ والتَّعْيِيْرِ» (ص8).

ومنْ آدابِ النَّصيحَةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنْ تكونَ النَّصيحَةُ في السِّرِّ.

فالنَّصيحَةُ في السِّرِّ أَنْفَعُ وأبْرَكُ فلا يَسْلمُ المرءُ مِنْ حَظِّ نَفْسِهِ إلَّا في لحْظَةِ خَلْوَةٍ وصَفَاءٍ، وهذِهِ اللَّحْظَةُ تكونُ عندَ المُسَارَّةِ في السِّرِّ وعنْدَها تُؤْتِيْ النَّصيحةُ ثَمَرَتَهَا ولا يَكُونُ النَّاصِحُ عَونًا للشَّيْطانِ على أَخِيه.

فإنَّ النَّاصِحَ في مَلأٍ يُعِيْنُ الشَّيْطانَ على صاحِبِهِ، ويوْقِظُ في نَفْسِهِ مَدَاخِلَ الشَّيْطانِ، ويُغْلقُ أَبوابَ الخَيْرِ، ولهذا حَرِصَ السَّلَفُ على النُّصحِ في السِّرِّ دُوْنَ العَلَنِ.

قال ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وكانَ السَّلَفُ إذا أرادُوا نَصِيحَةَ أَحَدٍ وَعَظُوْهُ سِرًّا». حتَّى قالَ بَعضُهُمْ: «مَنْ وَعَظَ أَخاه فيما بَيْنَهُ وبَيْنَهُ، فهي نَصِيحْةٌ، ومَنْ وَعَظَهُ على رؤُوْسِ النَّاسِ فإنَّما وَبَّخَهُ»[1].

وقال الفُضَيلُ بنُ عِياضٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «المؤْمنُ يسْتُرُ وينْصَحُ، والفَاجِرُ يَهْتِكُ وَيُعَيِّرُ»[2].

وَيُعَقِّبُ الحافِظُ أَبْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على كَلِمَةِ الفُضَيلِ بقَوْلِهِ: «فهذا الذيْ ذَكَرهُ الفُضَيلُ مِنْ علاماتِ النُّصْحِ وهو أنَّ النُّصْحَ يقترِنَ بِهِ السَّتْرُ والتَعْيِرُ يقترنُ بِهِ الإِعْلانُ»[3].

ومنْ آدابِ النَّصيحَةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أنْ تكونَ بِلُطْفٍ ورِفْقٍ.

فكُنْ ـ يا عبدَ اللهَ لَطِيفًا رَفِيقًا في نُصْحِكَ لِأَخيكَ؛ لأنَّ قَبُوْلَ النَّصيحَةِ كفَتْحِ البابِ، والبابُ لا يُفتَحُ إلا بمِفْتاحٍ مُناسِبٍ.

فمنْ نَصَحَ أخاهُ بِغِلْظَةٍ وفَضاضَةٍ نَفَرَ مِنْهُ وَلمْ يَفْتَحْ لَهُ قَلْبَهُ.

وَقَدِ امْتَنَّ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ على نبيِّهِ محمدٍ ﷺ بأَنْ جَبَلَهُ على الرِّفْقِ ومحبَّةِ الرِّفْقِ، وأَنْ جنَّبَهُ الغِلْظَةَ والفَضَاضَةِ.

---

(1) «جامعِ العلومِ» (1/77).

(2) «جامع العلوم» (1/77).

(3) «الفرقُ بينَ النَّصيحةِ والتَّعْييرِ» لابنِ رَجَبٍ (ص36).

فقالَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ (آل عمران : 159).

وَقَدْ كانتْ سيْرَتُهُ ﷺ حَافِلةً بهذا الخُلُقِ الكَرِيْمِ الذِيْ مَنْ مَلَكَهُ بَسَطَ سُلْطَانَهُ على القُلوبِ.

وكانَ ﷺ يأْمرُ بالرِّفقِ ويُبيِّنُ فَضْلَهُ.

ففي «صحيحِ مُسْلمٍ»[1] من حديثِ عائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: **«يا عائشة! إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، ويُعْطِيْ على الرِّفْقِ مَا لَاْ يُعْطِيْ عَلَى العُنْفِ، وَما لا يُعطِيْ على ما سِوَاهُ»**.

وفي «صحيحِ مُسْلمٍ»[2] ـ أيضًا ـ من حديثِ عائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: **«إِنَّ الرِّفْقَ لا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إلا زَانَهُ، ولا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»**.

ومنْ آدابِ النَّصيحَةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَدَمُ الإِلْزامِ.

فلا تُلْزِمْ أخاكَ بقَبُولِ نَصيْحَتِكَ فَنَفْعُ النُّصحِ مَرْهونٌ بإرادةِ اللهِ.

قال اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٣٤ ﴾ (هود : 34).

قالَ ابنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «ولا تَنْصَحْ على شَرْطِ القبولِ مِنْكَ، فإِنْ تَعدَّيْتَ هذِهِ الوُجُوْهَ فأَنْتَ ظالمٌ لا ناصِحٌ وطالِبُ طاعةٍ ومُلْكٍ، لا مُؤَدِّيَ حقِّ أَمانةٍ وأُخُوَّةٍ، ولَيْسَ هذا حُكْمَ العَقْلِ ولا حُكْمَ الصَّداقَةِ، لَكِنْ حُكْمُ الأَميرِ مَعَ رعِيَّتِهِ، والسَّيِّدِ مَعَ عَبْدِهِ»[3].

(1) رَواهُ مسلمٌ (2593).

(2) رَواهُ مسلمٌ (2594).

(3) «الأَخلاقُ والسِّيَرُ» (44).

اللَّهُمَّ إِنَّا عَبيدُكَ بَنُو عَبِيْدِكَ بَنُو إِمائِكَ نواصِينَا بِيَدِكَ، ماضٍ فينا حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِينا قَضَاؤُكَ، نَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْم هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ في كِتابِكَ، أَوْ علَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَو اسْتَأْثَرْتَ بِهِ في عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ القُرآنَ رِبِيْعَ قُلوبِنَا، ونُورَ صُدُورِنَا وجَلاءَ أَحْزانِنا وذَهابَ غُمومِنا.

اللَّهُمَّ اشْرَحْ صدُورَنا ويَسِّرْ أُمورَنا، وهَيِّءْ لنا مِن أَمْرِنا رَشَدًا.

19 فَضْلُ صِلَةِ الرَّحِمِ

الخُطْبَةُ الأُولى :

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أَنْ لا إله إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ (آل عمران : 102).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ (النساء : 1).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب :70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ـ ﷺ ـ ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ ـ فحديثي معكُمْ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ عَنِ **«فَضْلِ صِلَةِ الرَّحِمِ»**.

أَيُّها النَّاسُ صِلَةُ الرَّحِمِ عَلامَةُ كمالِ الإيمانِ وحُسْنِ الإسلامِ ولَها من الفَضَائِلِ ما لَوْ جُمِعتْ لكانتْ سِفْرًا مِنَ الأَسْفارِ.

وقَبْلَ أَنْ أَذْكُرَ لكُمْ فَضْلَ صِلَةِ الرَّحِمِ أُذَكِّرُكُمْ بِحَدِّ الرَّحِمِ وحَقِيْقَةِ الصِّلَةِ وحُكْمِها وبماذا تكونُ إجْمالًا.

فأَمَّا حدُّها فالرَّحِمُ اسمٌ شامِلٌ لكافَّةِ الأَقارِبِ من غَيْرِ تَفْريقٍ بينَ المحارِمِ وغَيْرِهِمْ. وقدْ ذَهَبَ بَعْضُ أَهلِ العِلمِ إلى قَصْرِ الرَّحِمِ على المحارِمِ، بَلْ ومنهُمْ مَنْ

قَصَرها على الوَارِثِيْنَ مِنْهُمْ وهذا مَذْهَبُ أبي حَنِيفَةَ ورِوايَةٌ عَنْ أَحْمَدَ ـ رحمهما الله ـ والراجِحُ الأوَّلُ.

قال الحافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «يُطْلَقُ على الأَقَارِبِ وهُمْ مَنْ بَيْنَهُ وبَيْنَ الآخَرِ نَسَبٌ، سواءً أكَانَ يَرِثُهُ أَمْ لَا، سواءً أكانَ ذَا مَحْرَمٍ أَمْ لا، وقِيْلَ هُمُ المحارِمُ فَقَطْ، والأَوَّلُ هو الرّاجِحُ؛ لأَنَّ الثَّاني يَسْتلزِمُ خُروجَ أولادِ الأعْمامِ وأَوْلادِ الأخْوالِ مِن ذَوِي الأَرْحامِ، ولَيْسَ كذلِكَ».

وحَقِيْقَةُ الصِّلَةِ هي العَطْفُ والرَّحْمَةُ.

وأمَّا حُكْمُها فَهِيَ واجِبَةٌ وقَطِيعَتُها مُحرَّمَةٌ، ومن الكَبائِرِ.

قال القُرْطُبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اتَّفَقَتْ المِلَّةُ على أَنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ واجِبَةٌ وأَنَّ قطيعَتَها مُحرَّمةٌ».

وقالَ القاضِي عِياضٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «لا خِلافَ أنَّ صِلَّةَ الرَّحِمِ واجِبَةٌ في الجُمْلَةِ وقَطِيْعَتُها معْصِيَةٌ كبيرةٌ والأَحاديثُ تَشْهَدُ لهذا، ولكنَّ الصَّلَةَ دَرَجاتٌ بعضُها أرفَعُ من بَعْضٍ، وأدْناها تَرْكُ المهاجَرَةِ بالكلَامِ ولو بالسَّلامِ ويَخْتَلِفُ ذلكَ باختِلافِ القُدْرةِ والحاجَةِ فمنْها واجِبٌ ومنها مُسْتَحَبٌ. ولَوْ وصَلَ بَعْضَ الصِّلَةِ، ولم يَصِلْ غايَتَها لا يُسمَّى قاطِعًا، ولو قَصَّرَ عمَّا يَقْدِرُ عليهِ ويَنْبَغِيْ لَهُ لا يُسَمَّى واصِلًا»[1].

وتكونُ صِلَةُ الرَّحمِ بالفِعلِ وهو الإحْسانُ أو بالتَّرْكِ وهو كَفُّ الأَذَى.

قال النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «صِلَةُ الرَّحِمِ هي الإِحْسانُ إلى الأَقارِبِ على حَسَبِ حالِ الواصِلِ والمَوصُولِ، فَتارَةً تكونُ بالمالِ وتارةً بالخدمَةِ، وتارةً بالزِّيارَةِ والسَّلامِ وغيْرِ ذلِكَ»[2].

---

(1) «شَرحُ مُسْلم» (112/16).

(2) «شرحُ النَّوويِّ على مُسْلِمٍ» (201/2).

وقال العلامةَ ابنُ عُثَيْمينَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «قَرابَةُ الإنسانِ هُمْ من يَجْتَمِعُونَ بالأبِ الرابعِ فما دُونَ ولكنْ يَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الإحسَانَ يَتفاوتُ، فكُلُّ مَنْ كانَ أقربَ فَهُوَ أَوْلَى بالإحْسانِ، لأَنَّ الحكمَ إذا أعْلَقَ فهو بوصفٍ قَوِيٍّ بِحَسَبِ قُوَّةِ ذلِكَ الوَصْفِ فمثلًا يَجِبُ عليكَ من صِلَةِ الخالِ أَكْثَرُ مما يَجِبُ عَلَيْكَ مِنْ صِلَةِ أَولادِ الخالِ»[1].

أَيُّهَا النَّاسُ دُونَكُمْ بَعْضُ ما جاءَ في فَضْلِ صِلَةِ الرَّحِمِ.

فمِنْ فَضَائِلِ صِلَةِ الرَّحِمَ أَنَّ اللهَ مَدَحَ الواصِلِيْنَ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوْصَلَ.

فقال اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ ﴾ (الرعد: 21).

ومِنْ فَضَائِلِ صِلَةِ الرَّحِمِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ أَوْصَى بِذَوِيْ الأَرحَامِ خيرًا.

فقالَ عَزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النِّسَاءِ : 1).

وقال اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ (الإِسْرَاءِ : 26).

وقال اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ (الأَنفَالِ : 75).

ومِنْ فَضَائِلِ صِلَةِ الرَّحِمِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّها سَبَبٌ في دُخُولِ الجَنَّةِ مع أَوَّلِ الدَّاخِلينَ.

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[2] من حديثِ أَبي أَيُّوبَ الأَنْصارِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قالَ للنَّبيِّ ﷺ : أَخْبِرْني بعَمَلٍ يُدْخِلُني الجَنَّةَ. قالَ: مَا لهُ مَا لَهُ. وقالَ النَّبيُّ ﷺ: «**أَرَبٌ**

---

(1) «تَفْسِيرُ القرآنِ» للعُثيمين (2/194).

(2) رَواهُ البُخاريُّ (1396) واللَّفْظُ لَهُ، ومسلمٌ (13).

مَا لَهُ ـ يَعْنِي حاجةً لَهُ ـ تعْبُدُ اللهَ، ولا تشرِكُ بِهِ شَيئًا، وتُقِمُ الصَّلاةَ، وتؤتِي الزكاةَ، وتصِلُ الرَّحِمَ».

ومِنْ فَضَائِلِ صِلَةِ الرَّحِمِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ صِلَةُ اللهِ للوَاصِلِ في الدُّنيا والآخِرَةِ.

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[1] من حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ اللهَ خَلَقَ الخَلْقَ، حتَّى إذا فَرَغَ مِن خَلْقِهِ قامَتِ الرَّحِمُ فقالتْ: هذا مَقامُ العائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قال: نَعَمْ، أما تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قالتْ: بَلَى يا ربِّ. قالَ: فَذاكَ لَكِ»**.

ومِنْ فَضَائِلِ صِلَةِ الرَّحِمِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّهَا سببٌ في زِيادَةِ الأَرْزاقِ والأعمارِ.

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[2] من حديثِ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ في رِزْقِهِ ويُنْسَأَ لَهُ في أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»**.

وفي مُسْنَدِ أحمدَ بِسنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ»[3] من حديثِ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ ما تَصِلُونَ بِهِ أَرْحامَكُمْ؛ فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ في الأَهْلِ، مَثْراةٌ في المالِ، مَنْسأَةٌ في الأَثَرِ»**.

وفي مُسْنَدِ أحمدَ بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحِيحَةِ»[4] من حديثِ عائِشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالتْ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«صِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الخُلُقِ وحُسْنُ الجِوارِ يَعْمُرْنَ الدِّيارَ ويَزِدْنَ في الأَعْمارِ»**.

وهُنا ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ سؤالٌ وهو: كَيْفَ يَطُولُ العُمرُ والعُمرُ مُقَدَّرٌ.

---

(1) رَواهُ البُخاريُّ (3830)، ومسلمٌ (2554).

(2) رَواهُ البُخاريُّ (2067)، ومسلمٌ (2557).

(3) **«صَحيحٌ»** أخرجَهُ أحمدُ (2/374)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (2965).

(4) **«صَحيحٌ»** أخرجَهُ أحمدُ (6/159)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (519).

فالجوابُ عليهِ قالَ العلامةُ العبَّادُ ـ حفظه الله ـ : «اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ قَدَّرَ أَنْ يطولَ عُمرُهُ وقَدَّرَ أَنْ يَكُونَ ذلِكَ بسَبَبِ فِعْلٍ يَحْصُلُ وهو البِرُّ وصلَةُ الرَّحِمِ يَعْني قَدَّرَ السَّبَبَ والمُسَبَّبَ فالسَّبَبُ مُقَدَّرٌ والمُسَبَّبُ مُقَدَّرٌ»[1].

فلا تعارُضَ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ بينَ هذِهِ الأحاديثِ وبينَ قولِهِ تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾؛ لأَنَّ هذِهِ الزِّيادَةَ وهي في حَقِيْقَتَها بالنسْبَةِ إلى عِلْمِ المَلَكِ الموَكَّلِ بكِتَابَهِ الأَجَلِ، وشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ أَمَّا الآيَةُ فهذِهِ بالنِّسْبَةِ إلى علمِ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ ، فعِلْمُ اللهِ لا زِيادةَ فيه ولا نُقْصَانَ، ولكِنْ يُوحِيْ للمَلَكِ بِأَنَّ عُمُرَ فُلانٍ ستُّونَ سَنَةً وبسبَبِ صِلَتِهِ لِرَحِمِهِ يَبْلغُ عُمرُهُ ثَمانين سَنَةً مثلًا، وهُوَ الَّذِيْ أَشَارَ إِلَيْهِ ربُّنا جَلَّ في عُلاهُ بقَوْلِهِ: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ ﴾.

ومِنْ فَضَائِلِ صِلَةِ الرَّحِمِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّها دَعْوةُ النَّبِيِّ وَوَصِيَّتُهُ لِأُمَّتِهِ.

ففي «الصَّحيحَينِ»[2] مِنْ حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عَباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لما سأَلَ هِرقلُ أَبا سُفْيانَ ـ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ وكانَ في تجارَةٍ في بلادِ الشَّامِ ـ عَنْ صِفاتِ النَّبِيِّ ﷺ وبماذا يَأْمُرُهُمْ؟ قالَ: يقولُ: «**اعبدُوا اللهَ ولا تُشْرِكوا بِهِ شيئًا، واتْرُكُوا ما يقولُ آباؤُكُمْ**»، ويأْمُرُنا بالصَّلاةِ والصِّدْقِ والعَفافِ والصِّلَةِ.

وفي صحيحِ ابنِ حِبّانَ ومُعْجَمِ الطَبرانيِّ «الصَّغيرِ» بسَندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ التَّرغِيبِ»[3] من حديثِ أَبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: أوصَاني خَلِيلِيْ ﷺ بِخِصَالٍ من الخَيْرِ: أَوصَاني أَنْ لا أَنْظُرَ إلى مَنْ هو فَوْقِي، وأَنْ أَنْظُرَ إلى مَنْ هو

(1) «شَرحُ سُننِ أَبي داودَ» للعَبَّادِ (8/74).

(2) رَواهُ البُخاريُّ (7) واللَّفظُ لَهُ، ومسلمٌ (1773).

(3) «**صَحيحٌ**» رَواهُ ابنُ حِبَّانَ في صَحِيحِهِ (8/194)، والطبرانيُّ في «الصَّغيرِ» (2/84)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ التَّرغِيبِ» (2525).

دُوْنِي، وأَوْصاني بِحُبِّ المساكينِ، والدُّنُوِّ مِنْهُمْ، وأَوصَاني أَنْ أَصِلَ رَحِمِيْ وَإِنْ أَدْبَرَتْ، وأَوْصاني أَنْ لا أخافَ في اللهِ لومَةَ لائمٍ، وأوصاني أَنْ أقولَ الحقَّ وإن كان مُرًّا، وأوصاني أَنْ أُكْثِرَ من لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ، فإنَّها كنزٌ مِنْ كنوزِ الجَنَّةِ.

ومِنْ فَضَائِلِ صِلَةِ الرَّحِمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ الصَّدَقَةَ على ذِيْ الرَّحِمِ تَتَضَاعَفُ أُجُورُها عَن غَيرِهِ.

ففي سُنَنِ النَّسائيِّ بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الأَلبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ»[1] من حديثِ سَلْمانَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الصَّدَقَةَ على المِسْكِيْنِ صَدَقَةٌ، وعلى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ**».

وفي «الصَّحِيحينِ»[2] عنْ زَيْنَبَ امْرَأَةِ عبدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ قَالتْ: سَأَلْتُ رسولَ اللهِ ﷺ: أَيُجْزِيءُ عَنِّي مِنَ الصَّدقَةِ النَّفَقَةُ على زَوْجِيْ وأَيْتامٍ في حِجْرِيْ؟ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ لها أَجْرانِ أَجْرُ القَرابَةِ وأجْرُ الصَّدَقَةِ**».

وفي «الصَّحيحَيْنِ»[3] من حديثِ أُمِّ المؤمنينَ مَيْمُوْنَةَ بِنْتِ الحارثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّها أَعْتَقَتْ وَلِيْدَةً (أَيْ أَمَةً) في زَمانِ رسولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرْنَ ذَلِكَ لرَسُولَ اللهِ ﷺ فقالَ: «**لَوْ أَعْطَيْتِها أَخْوالَهَا كَانَ أَعْظَمَ لِأَجْرِهَا**».

وفي «الصَّحيحَينِ»[4] من حديثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قالَ: كانَ أبو طَلْحَةَ أكثرَ الأنْصارِ بالمدينَةِ مالًا من نَخْلٍ، وكانَ أحبُّ أموالِهِ إليهِ بيرُحَاءَ وكانتْ مُسْتَقْبِلَةَ المسْجِدِ وكانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَدْخُلُها ويَشْرَبُ مِنْ ماءٍ فيها طيبٍ.

---

(1) «**صَحيحٌ**» أخرجَهُ النَّسائيُّ (5/92)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (3752).

(2) رَواهُ البُخاريُّ (14) من حديثِ أَبي سَعيدٍ، ومسلمٌ (1000).

(3) رَواهُ البُخاريُّ (2592)، ومسلمٌ (999).

(4) رَواهُ البُخاريُّ (1461) واللَّفظُ لَهُ، ومسلمٌ (998).

قالَ أَنَسٌ: فلَّما أُنْزِلَتْ هذِهِ الآيَةُ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل عمران: 92). قامَ أبو طَلْحَةَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقالَ: يا رسولَ اللهِ! إنَّ اللهَ - تبارَكَ وتعالى - يقولُ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ . وإنَّ أحبُّ أمْوالي إليَّ بَيْرُحَاءُ، وإنَّهُ صَدَقَةٌ لِلهِ أَرْجُو بِرَّها وذُخْرَهَا عِنْدَ اللهِ، فَضَعْها يا رسولَ اللهِ حيثُ أَرَاكَ اللهُ، قال: فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**بَخٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وقد سَمِعْتُ ما قُلْتَ، وإني أَرَى أنْ تجْعَلَها في الأقْرَبِيْنَ**».

فقال أبو طَلْحَةَ: أفْعَلُ يا رسولَ اللهِ. فَقَسَّمَهَا أَبو طَلْحَةَ في أقارِبِهِ وبَني عَمِّهِ.

وما أَجْمَلَ أَنْ تَكُوْنَ الصَّدَقَةُ على ذي الرَّحِمِ الكاشِحِ الذِي يُضْمِرُ العداوَةَ في كَشْحِهِ أَيْ باطِنِهِ.

فقدْ أَخْرجَ الطبرانيُّ في «الكبيرِ» بسندٍ صحيح صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح التَّرغيبِ»[1] عَن أمُ كُلْثُومٍ بِنْتِ عُقْبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهَا أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «**أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ على ذي الرَّحِمِ الكاشِحِ**».

قال المناوِي رَحِمَهُ اللهُ في «فَيْضِ القَدِيْرِ»: «يَعْني أَفْضَلُ الصَدَقَةِ على ذي الرَّحِمِ المُضْمِرَ العَداوَةَ في باطِنِهِ فالصَّدَقَةُ عليه أَفْضَلُ مِنها على ذي الرَّحِمَ غَيْرِ الكاشِحِ لما فِيهِ من قَهْرِ النَّفْسِ للإِذْعانِ لمُعَادِيها وعلى ذي الرَّحِمِ المُصَافي أفْضَلُ أجْرًا منها على الأَجْنَبِي لِأَنَّهُ أَولَى النَّاسِ بالمَعْروفِ»[2].

وأَسْتغْفِرُ اللهَ.

---

(1) «**صَحيحٌ**» أَخْرجَهُ الطَّبَرانيُّ في «الكَبيرِ» (4/138)، وصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ التَّرغِيْبِ» (2/338).

(2) «فيضُ القَدِيْر» (2/49).

الخُطْبَةُ الثّانيةُ ـ عُقوبَةُ قطيعَةِ الرَّحِمِ :

الْحَمْدُ للهِ ربِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أَمَّـا بَعدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ «**فَضْلِ صِلَةِ الرَّحِمِ**» والآنَ حديثِي مَعَكُمْ عَنْ «**عُقوبَةِ قطيعَةِ الرَّحِمِ**».

فمنْ عُقوبَةِ قَطيعَةِ الرَّحِمِ أَنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ ذمَّ القاطِعِينَ ذمًّا شديدًا فقال ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾ (الرعد : 25).

ومن عُقوبَةِ قَطيعَةِ الرَّحِمِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ ما أوعدَ اللهُ المُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ وقاطِعَ الأرحامِ من الطَّرْدِ من رحمتِهِ والخَتْمِ على أسماعِهِمْ فلا يسمَعُوْنَ داعيَ الحَقِّ وأَبصارِهِم عن رُؤيَةِ أنوارِهِ.

قال ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ (محمد : 22-23).

ومن عُقوبَةِ قَطيعَةِ الرَّحِمِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ يقْطَعُ مَنْ قَطَعَها كَمَا يَصِلُ مَنْ وَصَلَها.

ففي «الصحيحينِ»[1] من حديثِ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالَتْ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بالعَرْشِ تَقُولُ مَنْ وَصَلَنِيْ وَصَلَهُ اللهُ وَمَنْ قَطَعَنْي قَطَعَهُ اللهُ**».

ومن عُقوبَةِ قَطيعَةِ الرَّحِمِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ تعجيلُ العُقوبَةِ للقاطِعِ فِي الدُّنيا قبلَ الآخِرَةِ.

---

(1) رَواهُ البُخاريُّ (5989)، ومسلمٌ (2555).

ففي سُنَنِ التِّرمِذِيِّ بِسَندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحيحَةِ»[1] من حديثِ أَبي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **«ما مِنْ ذنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ لصاحِبِهِ العُقُوبَةَ في الدنيا مَعَ ما يدَّخِرُ لَهُ في الآخِرَةِ من البَغْيِ وقطِيْعَةِ الرَّحِمِ»**.

ومن عُقوبَةِ قَطيعَةِ الرَّحِمِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّ أعمالَ ابنِ آدَمَ تُعْرَضُ على اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ كُلَّ خميسٍ لَيْلَةَ الجُمُعَةِ فلا يَقْبَلُ عَمَلَ قاطِعِ رَحِمٍ.

ففي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حسَّنَهُ الأَلبانيُّ في «صحيحِ التَّرغِيبِ»[2] من حديثِ أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: **«إِنَّ أَعْمالَ بَني آدَمَ تُعْرَضُ كُلَّ خَمِيْسٍ لَيْلَةَ الجُمُعَةِ، فَلا يَقْبَلُ عَمَلَ قاطِعِ رَحِمٍ»**.

ومن عُقوبَةِ قَطيعَةِ الرَّحِمِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّهُ لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ في أَوَّلِ وَهْلَةٍ مع الدَّاخِلِينَ.

ففي «الصَّحيحَينِ»[3] من حديثِ جُبيرِ بنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: **«لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قاطِعٌ»**. قال سُفيانُ: يعني قاطِعَ رَحِمٍ.

أَيْ أَنَّهُ لا يدخُلُ الجنَّةَ مع أوَّلِ الدَّاخِلينَ إن كان من المُوَحِّدِيْنَ، ولكِنْ بعدَ أَنْ يُطَهِّرَهُ اللهُ بالنَّارِ مِنْ تِلْكَ المخالَفَةِ؛ لأَنَّهُ لا يَبْقى في النَّارِ مَنْ كانَ في قلبِهِ ذرةٌ مِن إيمانٍ.

ومن عُقوبَةِ قَطيعَةِ الرَّحِمِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّ القاطِعَ يُسَفُّ المَلَّ وهو الرَّمادُ الحارُّ.

ففي «صحيحِ مُسْلمٍ»[4] من حديثِ أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قال: يا رسولُ اللهِ، إِنَّ لي قَرابةً أَصِلُهُم وَيَقْطَعُونَني، وأُحْسِنُ إليهم ويُسِيئُونَ إِلَيَّ، وأَحْلُمُ عَليهِمْ،

(1) **«صَحيحٌ»** أخرجَهُ الترمذيُّ (1/83)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحيحةِ» (2/623).

(2) **«حَسَنٌ»** أخرجَهُ أحمدُ (4842)، وحَسَّنَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ التَّرغيبِ» (2538).

(3) رَواهُ البُخاريُّ (5984)، ومسلمٌ (2556).

(4) رَواهُ مُسلمٌ (2558).

ويَجْهَلونَ عَليَّ، فقال ﷺ: «**إنَّ كُنْتَ كما قُلتَ، فكأنمّا تُسِفُّهُمُ الملَّ، ولا يَزالُ مَعَكَ من اللهِ ظهيرٌ عليهِمْ ما دُمْتَ على ذلِكَ**».

قال النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كأنَّما تُطْعُمُهُمْ الرَّمادَ الحارَّ، وهو تَشْبِيهٌ لما يلحِقُهُمْ من الألَمِ بما يَلْحِقُ آكِلَ الرَّمادِ الحارِّ مِن الألمِ»[1].

أيُّها النَّاسُ تِلْكَ بعْضُ عُقوبَةِ قطيعَةِ الرَّحِمِ فلا يَجْعَلُ أحَدُنا صِلَتَهُ لِأَرْحامِهِ صِلَةَ مُكافِيءٍ للمعْروفِ بمِثْلِهِ بِحَيْثُ إنْ وصَلُوهُ وَصَلَهُمْ، وإنْ قطعُوهُ قَطَعَهُمْ وهذا ليسَ بِواصلٍ في الحقيقَةِ بل الواصلُ مَنْ يَصِلُ قَرابَتَهُ ابْتِغاءَ وَجْهِ اللهِ ولا يُبالِيْ وَصَلُوْهُ أَمْ لاْ.

ففي «صحيحِ البُخاريِّ»[2] مِنْ حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «**ليسَ الواصِلُ بالمُكافِيءِ ولكنِ الواصِلُ الذي إذا قُطعَتْ رحِمُهُ وصَلَهَا**».

أيُّها النَّاسُ قبل أَنْ أُودِّعَ مَقامي هذا أذكِّرُكُمْ بقولِ اللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ (النحل: 90).

اللَّهُمَّ أَعِنَّا على صِلَةِ الأَرْحامِ إنَّكَ على كلِّ شيءٍ قَدْيرٌ.

اللَّهُمَّ أَعِنَّا على كُلِّ خَيرٍ وجنِّبْنا الفِتَنَ ما ظَهَرَ مِنْها وما بَطَنَ.

(1) «شرحُ النَّوويِّ على مُسلمٍ» (16/115).

(2) رَواهُ البُخاريُّ (5991).

20 آدابُ الجِوارِ

الخُطْبةُ الأُولى :

إنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ (آل عمران : 102).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ (النساء : 1).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب :70 - 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ـ ﷺ ـ ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ ـ فحديثي معكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنِ **«آدابِ الجِوارِ»**.

أيُّها النَّاسُ حُسْنُ الجِوارِ بابٌ مِنْ أبْوابِ الجَنَّةِ وسُوءُهُ بابٌ منْ أَبْوابِ النَّارِ.

وَحَدُّ الجِوارِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ يرْجِعُ إلى العُرْفِ فقدْ يكونُ السَّاكِنُ مَعَكَ في المدينَةِ جارًا كما قال اللهُ ـ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ ـ: ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ (الأحزاب : 60).

وأخرجَ البُخاريُّ في «الأدبِ المُفْرَدِ» بِسَندٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الأدبِ المُفردِ»[1] عن الحَسَنِ أَنَّهُ سُئِلَ عن الجارِ. فقالَ: «أربَعينَ دارًا أمامَهُ، وأَربعينَ خَلْفَهُ، وأربعينَ عن يَمينِهِ، وأربعينَ عن يَسارِهِ».

---

(1) **«حَسَنٌ»** أخرجَهُ البُخاريُّ في «الأدبِ المفردِ» (109)، وحسَّنَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الأدبِ المفردِ» (ص49).

والجِيرانُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ ثَلاثَةٌ:

جارٌ لَهُ ثلاثَةُ حُقوقٍ، وجارٌ لَهُ حقَّانِ، وجارٌ لَهُ حقٌّ واحِدٌ.

فأَمَّا الجارُ الذي لَهُ ثلاثةُ حُقُوقٍ فهو الجارُ ذو القُرْبَى، فَلَهُ حقُّ القَرَابَةِ وحَقُّ الجِوارِ وحَقُّ الإسْلامِ.

وأمَّا الجارُ الذي لَهُ حَقَّانِ فجارُكَ المُسلمُ غيرُ القَريبِ، فَلَهُ حقَّانِ حَقُّ الإسْلامِ وحَقُّ الجِوارِ.

وأمَّا الجارُ الذي لَهُ حَقٌّ واحدٌ فهو الجارُ الكافِرُ فَلَهُ حَقٌّ واحدٌ حَقُّ الجِوارِ فقط.

وحَقُّ الجارِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ لَعَظِيمٌ.

فيَكْفي أَنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ أَوصَى عبادَهُ بالجَارِ.

فقالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (النِّسَاءِ : 36).

قال ابنُ سَعديٍّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « ﴿ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ أي: الجارُ لبقَريْبُ الذِي له حَقَّانِ حَقُّ الجِوارِ وحَقُّ القَرابَةِ فَلَهُ على جارِهِ حقٌّ وإحسانٌ راجعٌ إلى العُرْفِ، وكذلك ﴿ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ ﴾ أَيْ: الذي ليسَ لَهُ قرابةٌ وكلَّما كانَ الجارُ أَقْرَبَ بابًا كان آكَدَ حَقًّا فيْنبَغي للجارِ أَنْ يتعاهد جارَهُ بالهَدِيَّةِ والصَّدَقَةِ والدَّعوَةِ واللَّطافَةِ بالأقوالِ والأفعالِ وعدمِ أَذيَّتِه بقَولٍ أو فِعْلٍ»[1].

وأَوْصَى الرَّسُولُ ﷺ بالجارِ.

---

(1) «تفسيرُ ابنِ سَعْدِيٍّ» (1/177).

ففي «الصَّحيحَينِ»[1] مِنْ حديثِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**ما زالَ جِبْرِيلُ يوصِيْني بالجَارِ حتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**».

ومعنى يُوصِيني بِهِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَيْ بالاعتناءِ بِهِ والاحْتِفاءِ بشَأْنِهِ وعدَمِ إِهمالِهِ أو تجاهُلِهِ وقولُهُ: «**حتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**». أَيْ يَجْعَلَ لَهُ مُشارَكةً في المالِ بِفَرْضِ سَهْمٍ يُعطاهُ مَعَ الأَقارِبِ.

وفي «صحيحِ مُسْلمٍ»[2] من حديثِ أبي شُرَيحٍ الخُزَاعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «**مَنْ كانَ يؤمِنُ باللهِ واليَومِ الآخرِ فَلْيُحْسِنْ إلى جارِهِ، ومَنْ كانَ يؤمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ**».

وأَخْبرَ ﷺ أَنَّ الجارَ الصالحَ مِنْ أسبابِ السَّعادةِ.

فَقَدْ أَخْرَجَ ابنُ حبَّانَ في «صَحِيحِهِ» بسنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ التَّرغيبِ»[3] من حديثِ سَعْدِ بنِ أبي وقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**أَرْبَعٌ مِنَ السَّعادةِ: المرْأَةُ الصَّالحةُ، والمسْكَنُ الواسعُ، والجارُ الصَّالِحُ، والمَرْكبُ الهَنِيءُ، وأَرْبَعٌ مِنَ الشَّقاءِ: الجارُ السُّوءُ، والمرأةُ السُّوءُ، والمركبُ السُّوءُ، والمسْكَنُ الضَّيِّقُ**».

فالجارُ الصالحُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ نِعمةٌ عَظِيمةٌ فمَنْ رُزِقَ جارًا صالحًا يَجِبْ عَلَيهِ شكرَ اللهَ على ذلِكَ، فإِنَّ الشَّكورَ يَزْدادُ خَيرًا إلى خَيْرٍ.

---

(1) رَواهُ البُخاريُّ (6014)، ومُسلمٌ (2625) ولهما اللَّفْظُ نَفْسُهُ عنْ عائِشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(2) رَواهُ مُسلمٌ (48).

(3) «**صَحيحٌ**» أخْرجَهُ ابنُ حِبَّانَ في «صَحيحِهِ» (9/340)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ التَّرغيبِ» (2576).

وأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ خيرَ الجيرانِ عندَ اللهِ مَنْ كانَ مُحسِنًا لجارِه.

ففي سُنَنِ التِّرمِذِيِّ بسَنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «المِشْكاةِ»[1] من حديثِ عبدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**خَيرُ الأصحابِ عندَ اللهِ خَيرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وخَيرُ الجيرانِ عندَ اللهِ خَيرُهُمْ لِجَارِهِ**».

ومعنى «**خَيرُ الجيرانِ عندَ اللهِ**» - أَيُّهَا النَّاسُ - أَيْ أَكْثَرُهُمْ ثوابًا عِندَهُ.

ومعنى «**خَيرُهُمْ لِجَارِهِ**» أَيْ أكثَرُهُمْ إحْسَانًا إليْهِ وَلَوْ بالنَّصِيحَةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ يَجْمُلُ بالجارِ أَنْ يُحْسِنَ إلى جارِهِ بإيْصالِ ضُرُوبِ الإِحْسَانِ إليْهِ بِحَسَبِ الطَّاقَةِ كالهَدِيَّةِ والسَّلامِ وطلاقَةِ الوَجْهِ عندَ لِقَائِهِ، وتَفَقُّدِ حالِهِ، ومعاوَنَتِهِ فيما احْتاجَ إليهِ إلى غيرِ ذلِكَ، وكفِّ الأَذَى عنهُ على اخْتلافِ أنواعِهِ حِسِّيَّةً كانتْ أَوْ مَعْنَوِيَّةً[2].

ففي «صحيحِ مُسلمٍ»[3] من حديثِ أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إنَّ خَليليْ ﷺ أوصَاني: «**إذا طَبَخْتَ مَرَقًا فَأَكْثِرْ ماءَهُ. ثُمَّ انْظُرْ أَهْلَ بيتٍ مِنْ جيرانِكَ، فَأَصِبْهُمْ منها بمعْروفٍ**».

ومعنى «**أَكْثِرْ ماءَهُ**» - أَيُّهَا النَّاسُ - أَيْ زِدْهَا مِنَ الماءِ لتَكْثُرَ وتُوَزَّعَ على جِيرانِكَ.

ومعنى «**فَأَصِبْهُمْ منها بمعْروفٍ**» أي أَعْطِهِمْ مِنْها شيئًا بِوَجْهٍ طَلْقٍ سَهْلٍ مُنْبَسِطٍ.

فالجارُ - أَيُّهَا النَّاسُ - يَشُمُّ رائِحَةَ الطَّعامِ في بَيْتِ جارِهِ فَلا أَفْضَعُ من مَنْعِ الشَّيْءِ اليَسِيْرِ، وهُنا فائدةٌ أَنَّهُ لا يَنْبَغِيْ للمُهْدِي لجَارِهِ أَنْ يَحْتَقِرَ القَلِيلَ لأَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال كما

---

(1) «**صَحيحٌ**» أخرجَهُ التِّرمِذِيُّ (1944)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «المِشْكاةِ» (4987).

(2) انظرْ «الفتحَ» (456/10).

(3) رَواهُ مسلمٌ (2625).

في سُنَنِ التِّرمِذِيِّ بسنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الأَلبانيُّ في «صحيح الجامعِ»[1] من حديثِ أبي ذَرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**لا يَحْقِرَنَّ أَحَدُكُمْ شَيئًا من المعْرُوفِ فإنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَلْقَ أَخَاهُ بِوَجْهِ طَلْقٍ، وإذا اشْتَرَيْتَ لحمًا أو طبَخْتَ قِدْرًا فأَكْثِرْ مَرَقَتَهُ واغْرِفْ مِنْهُ لِجَارِكَ**».

ولا يَنْبَغِي للجارِ أَنْ يحْتَقِرَ هَدِيَّةَ جارِهِ ولو قلَّتْ فقَدْ وَرَدَ النَّهْيُ عَنْ ذلِكَ.

ففي «الصَّحيحَينِ»[2] من حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كانَ النَّبيُّ ﷺ يقولُ: «**يا نِساءَ المسْلِماتِ، لا تَحْقِرَنَّ جارةٌ لِجارِتِها ولَوْ فِرْسَنَ شَاةٍ**».

قالَ النَّووِيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ: «هَذا النَّهْيُ عَن الاحْتِقَارِ نَهيٌ للمُعْطِيَةِ ومعناهُ لا تَمْتَنِعْ جارَةٌ من الصَّدَقَةِ والهَدِيَّةِ لجارَتِها لاسْتِقْلالِها واحْتقارِها الموجُوْدَ عندَها بلْ تَجودُ بما تَيَسَّرَ وإنْ كَانَ قليلًا كَفِرْسَنِ شَاةٍ وهوَ خَيْرٌ من العَدَمِ، وقدْ قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾، وقالَ النَّبيُّ ﷺ: «**اتَّقُوْا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»»[3].

والجارُ القَرِيبُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَولى بالإحْسانِ ثُمَّ الأقربُ فالأَقْربُ.

لما في «صحيحِ البُخاريِّ»[4] من حديثِ عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالتْ: قلتُ: يا رسولَ اللهِ، إنَّ لي جارَتَيْنَ فإلى أَيِّهِما أُهْدِيْ؟ قال: «**إلى أَقْرَبِهِما مِنْكِ بَابًا**».

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ يَحْسُنُ بالمُسْلِمِ أَنْ يَتَفَقَّدَ جيرانَهُ فقدْ يَكُونُ جارُهُ مَرِيضًا أو جائِعًا أو مُحْتاجًا وهو لا يَعْلَمُ.

---

(1) «**صَحيحٌ**» أَخْرَجَهُ التِّرمِذِيُّ (1833)، وصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجَامِعِ» (7634).
(2) رَواهُ البُخاريُّ (6017)، ومسلمٌ (1030).
(3) «شرحُ النَّوويِّ على مُسلمٍ» (7/119).
(4) رَواهُ البُخاريُّ (2259).

فقدْ أَخْرجَ الطبرانيُّ بسنَدٍ صحيحٍ لِغَيْرِهِ قالَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ التَّرغيبِ»[1] من حديثِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**ليسَ المؤمِنُ الَّذِي يَشْبَعُ وجارُهُ جائعٌ**».

وأخْرجَ البُخاريُّ في «الأَدَبِ المُفْرَدِ» بسندٍ قال عنهُ الألبانيُّ في «الصَّحِيحةِ»[2] حَسَنٌ لِغَيْرِهِ عن نافعٍ عَنِ ابنِ عُمَرَ قال: لقدْ أَتى علينا زمانٌ أو قال: حِيْنٌ - وما أَحَدٌ أَحَقُ بِدِينارِهِ ودِرْهمِهِ مِنْ أَخِيهِ المسْلمِ، ثُمَّ الآنَ الدينارُ والدِّرْهَمُ أَحَبُّ إلى أحدِنَا من أخيه المُسلمِ، سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: «**كَمْ مِنْ جارٍ مُتَعَلِّقٍ بجارِهِ يومَ القِيامَةِ، يقولُ: يا ربِّ! هذا أغلَقَ بَابَهُ دُوْنِيْ، فَمَنَعَ معرُوفَه!**».

وأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

---

(1) «**صَحيحٌ لِغَيْرِهِ**» أخرجَهُ الطبرانيُّ في «الكبيرِ» (12/154)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صَحيحِ الترغيبِ» (149).

(2) «**حَسَنٌ لِغَيْرِهِ**» أخرجَهُ البُخاريُّ في «الأَدبِ المُفْردِ»، وقالَ الألبانيُّ في «الصَّحيحَةِ» (2646) حسنٌ لِغَيْرِهِ.

الخُطْبَةُ الثّانيةُ ـ تحريمُ أذِى الجارِ :

الْحَمْدُ للهِ ربِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أَمَّـا بَعدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ «**آدابِ الجِوارِ**» والآنَ حديثِي مَعَكُمْ عَنْ «**تَحْرِيمِ أَذَى الجارِ**».

أَيُّهَا النَّاسُ أَذَى الجارِ كبيرةٌ من كبائِرِ الذُّنوبِ.

قالَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابِهِ الكَبائِرِ: «**الكبيرَةُ الثَّانِيَةُ والخَمْسونَ أَذَى الجارِ**».

واللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ قدْ تكَفَّلَ لِمَن اجْتَنَبَ الكبائِرَ أَنْ يُكَفِّرَ عنْهُ الصَّغائِرَ وَيُدْخِلَهُ الجَنَّةَ

فقالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ (النِّسَاءِ: 31).

أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ أَقْسَمَ النَّبيُّ ﷺ على نَفْيِ الإِيْمانِ ـ ثَلاثًا ـ على مَنْ لَا يأْمَنُ جارُهُ بَوَائِقَهُ أَيْ غوائِلَهُ وشَرَّهُ أو ظُلْمَهُ.

فقالَ كما في «صحيحِ البُخاريِّ»[1] منْ حديثِ أبي شُرَيْحٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «**واللهِ لا يُؤْمِنُ، واللهُ لا يُؤْمِنُ، واللهِ لا يُؤمِنُ**». قِيلَ: مَنْ يا رسولَ اللهِ؟ قالَ: «**الذي لا يَأْمَنُ جارُهُ بَوَائِقَهُ**».

قال العلامَةُ ابنُ عُثَيْمِيْنَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى بَوَائِقِهِ: «يعني غَدْرَهُ وخِيَانَتَهُ وظُلْمَهُ وعُدْوانَهُ، فالذي لا يَأْمَنُ جارُهُ من ذلكَ ليسَ بِمُؤْمنٍ وإذا كان يفعلُ ذلكَ ويُوْقِعُهُ فِعلًا فهو أَشَدُّ. وفي هذا دليلٌ على تحريمِ العُدْوانِ على الجارِ سواءً أكانَ ذلك

(1) رَواهُ البُخارِيُّ (6016).

بالقَولِ أو بالفِعْلِ أَمَّا بالقَولِ بأَنْ يَسْمَعَ مِنهُ ما يزْعِجُهُ ويُثْلِقُهُ كالَّذِيْنَ يفْتَحُونَ الرَّاديُو أو التِّليفِزْيُونَ أو غيرَهُما مِمَّا يُسْمَعُ فَيُزْعِجَ الجيرانَ، فَإِنَّ هذا لا يَحِلُّ لَهُ، حتَّى ولوْ فَتَحَهُ على كتابِ اللهِ وهُوَ مِمَّا يُزْعِجُ الجيرانَ بصَوْتِهِ فإِنَّهُ مُعْتدٍ عليهِمْ ولا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَفْعَلَ ذلكَ، وأَمَّا بالفِعْلِ فيَكُونُ بإِلْقاءِ الكنَاسَةِ حولَ بَابِهِ، والتَّضْيِيْقِ عليهِ عندَ مداخلِ بابِهِ أو بالدَّقِّ أو ما أَشْبَهَ ذلكَ مِمَّا يضُرُّهُ، ومِنْ هذا ـ أَيْضًا ـ إذا كانَ لَهُ نَخْلَةٌ أَو شَجَرةٌ حَوْلَ جِدارِ جارِهِ فكانَ يَسْقِيها حتَّى يُؤْذِي جارَهُ بِهَذا السَّقْيِ، فإنَّ ذلكَ مِن بوائِقِ الجارِ فلَا يَحِلُّ لَهُ، إذنْ يَحْرُمُ على الجارِ أَنْ يُؤْذِيَ جارَهُ بأَيِّ شَيْءٍ. فإنْ فَعَلَ فإِنَّهُ ليسَ بمؤمنٍ والمعنى أَنَّهُ ليْسَ متَّصِفًا بصفاتِ المؤمنينَ في هذه المسْأَلَةِ التي خالفَ بها الحقَّ»[1].

وفي «صحيح مسلم»[2] منْ حديثِ أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ لا يَأْمَنُ جارُهُ بَوَائِقَهُ**».

وأَذِيَّةُ الجارِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ تَتَفاوَتُ فبعضُها أَعْظَمُ من بعْضٍ.

وأعْظَمُ أَذِيَّةٍ تنالُ الجارَ هي أَذِيَّتُهُ في أَهْلِهِ وهي مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ عندَ اللهِ.

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[3] منْ حديثِ عبدِ اللهِ بنِ مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: سَأَلْتُ النَّبيَّ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أعْظَمُ عندَ اللهِ؟ قالَ: «**أَنْ تَجْعَلَ لِلهِ نِدًّا وهو خَلَقَكَ**». قلتُ: إِنَّ ذلكَ لعظيمٌ، قُلتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قالَ: «**وأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخافُ أَنْ يطعَمَ مَعَكَ**». قلتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قالَ: «**أَنْ تَزْنِي حَلِيْلَةَ جارِكَ**».

ومَنْ آذى جارَهُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ فقد اسْتَحَقَّ لعْنَةَ النَّاسِ.

---

(1) شرحَ كتابِ «الكبائِرِ» للحافِظِ الذَّهَبِيِّ شَرْحُ ابنِ عُثَيْمِيْنَ رَحِمَهُ اللَّهُ (ص332).
(2) رَواهُ مُسلمٌ (46).
(3) رَواهُ البُخارِيُّ (4477)، ومسلمٌ (86).

ففي سُنَنِ أبي داودَ بسَنَدٍ حَسَنٍ صحيحٍ كما قال الألبانيُّ في «صحيحِ التَّرغيبِ»[1] منْ حديثِ أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: جاءَ رجلٌ إلى رسولِ اللهِ يشكُو جارَهُ. فقال لَهُ ﷺ : «**اذْهَبْ فاصْبِرْ**». فأتاهُ مرَّتَيْنِ أو ثَلاثًا، فقال: «**اذْهَبْ فاطْرَحْ مَتَاعَكَ في الطَّرِيقِ**». فَفَعَلَ، فجعلَ النَّاسُ يَمرُّونَ ويسْألُونَهُ، فيُخْبِرَهُمْ خَبرَ جارِهِ، فجعَلَوْا يلْعَنُونَهُ، فَعَلَ اللهُ بِهِ وفَعَلَ وبَعْضُهُمْ يدْعونَ عليْهِ، فجاءَ إليهِ جارُهُ، فقال: ارْجِعْ فإنَّكَ لَنْ تَرَى منِّ شيئًا تَكْرَهُهُ.

وفي مسنَدِ أحمدَ بسنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ التَّرغيبِ والتَّرهِيبِ»[2] منْ حديثِ أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رجلٌ: يا رسولَ اللهِ، إن فُلانَةَ تُكْثِرُ من صَلتِها وَصَدَقَتِها وصيامِها غيرَ أَنَّها تُؤْذِيْ جيرانَها بِلِسَانِها. قال ﷺ : «**هي في النَّارِ**».

قالَ: يا رسولَ اللهِ، فإنَّ فُلانَةَ يُذْكَرُ مِن قلَّةِ صيامِها وصَدَقَتِها، وأَنَّها تَتَصَدَّقُ بالأَثْوَارِ مِن الأَقِطِ، ولا تؤْذِيْ جِيرانَها بلسَانِها. قالَ: «**هي في الجَنَّةِ**».

أَيُّها النَّاسُ من مِنَّا يُحِبُّ أَنْ يكونَ جارُهُ خَصْمَهُ يومَ القِيامَةِ.

ففي مسْنَدِ أحمدَ بسندٍ حَسَنٍ حسَّنَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ التَّرغيبِ»[3] منْ حديثِ عُقْبَةَ بنِ عامرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**أَوَّلُ خصْمَيْنِ يَوْمَ القِيامَةِ جارَانِ**».

أيُّها النَّاسُ ليسَ حَقُّ الجارِ بِكَفِّ الأَذَىْ عنْهُ فَحَسْبُ بَلْ حَقُّهُ كما يكونُ بِكَفِّ الأَذَى عَنْهُ فيكونُ بالصَّبْرِ على أَذَاهُ.

---

(1) «**حَسَنٌ صحيحٌ**» أخرجَهُ أبو داودَ (5153)، وقال الألبانيُّ في «صحيحِ التَّرغِيبِ» (2559) حَسَنٌ صحيحٌ.

(2) «**صحيحٌ**» أخرجَهُ أحمدُ (2/440)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ التَّرغِيبِ» (2560).

(3) «**حَسَنٌ**» أخرجَهُ أحمدُ (4/151)، وقالَ الألبانيُّ في «صحيحِ التَّرغِيبِ» (2557) حَسَنٌ.

كما تقدَّمَ في الحديثِ وفِيْهِ قالَ الرَّسُولُ ﷺ للرَّجُلِ الذي جاءَ يشْكُو إليهِ جارَهُ: «**اذْهَبْ فاصْبِرْ**». قالَهُ ثلاثًا.

وأَجْرُ الصَّبْرِ على أَذِيَّةِ الجارِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ لَعَظِيْمٌ.

وهو أَنْ يَكونَ الصابرُ على أذيَّةِ الجارِ ممَّنْ يُحِبُّهُ اللهُ.

ففي مُسْنَدِ أحمدَ بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ التَّرغيبِ»[1] عن مَطْرَفِ بنِ عبدِ اللهِ قالَ: كان يَبْلُغُني عن أَبي ذرٍّ حَديثٌ، وكنتُ أَشْتهِي لِقاءَهُ، فلَقِيْتُهُ. فقلتُ: يا أَبا ذرٍّ، كانَ يبْلُغُني عنْكَ حديثٌ، وكنتُ أَشْتَهي لقاءَك. قالَ: للهِ أَبوك قدْ لَقِيتَنِيْ، فَهاتِ، قلتُ: حَدِيثٌ بَلَغَنِيْ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ حَدَّثَكَ قال: «**إنَّ اللهَ عزَّ وجَلَّ يُحِبُّ ثَلاثَةً ويَبْغَضُ ثَلاثَةً**». قال: فما أخالني أَكْذِبُ على رسولِ اللهِ ﷺ، قالَ: فَقُلْتُ: فمَنْ هَؤلاءِ الثلاثَةُ الذينَ يُحِبُّهم اللهُ ـ عزَّ وجَلَّ ـ ؟ قال: رجلٌ غزا في سبيلِ اللهِ صابرًا مُحْتَسِبًا، فقاتلَ حتَّى قُتِلَ وأَنْتُمْ تَجِدُونَهُ عِندَكُمْ في كتابِ اللهِ ـ عزَّ وجَلَّ ـ ثُمَّ تَلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾. قلتُ: ومَنْ؟ قالَ: رَجُلٌ كانَ لَهُ رَجُلُ سُوْءٍ يُؤْذِيْهِ فيَصْبِرُ على أَذاهُ حتَّى يَكْفِيَهُ اللهُ إيَّاهُ بحياةٍ أو مَوْتٍ.

أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ بَلَغَهُ هذا الحديثُ عن الصَّادقِ المَصْدُوقِ تَمَنَّ أن يَكونَ له جارٌ يُؤْذِيْهِ فَيَصْبِرَ رَجَاء أن يكونَ مِمَّنْ يُحِبُّه اللهُ ـ تعالى ـ.

فعاقبةُ الصَّبرِ الجميلِ جميلٌ فهذا سَهلُ بنُ عبدِ اللهِ التَّسْتُرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان له جارٌ ذِمِّيٌّ كما ذَكَرَ ذلِكَ عنهُ الذَّهَبِيُّ في «الكبائِرِ» وكانَ قَدِ انْبَثَقَ من كَنِيْفِهِ (أَيْ حَمَّامِ بَيْتِهِ) إلى بيتٍ في دارِ سَهلٍ بَثْقٌ (والبَثْقُ هو اندفاعُ شيْءٍ من البالوعَةِ) فكان سهلٌ يَضَعُ كُلَّ

(1) **«صحيحٌ»** أخرجَهُ أحمدُ (5/153)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ التَّرغيبِ» (2569).

يومِ الجَفْنَةَ تحتَ ذلك البَثَقِ فيَجْتَمِعُ ما يَسْقُطُ فيهِ من كَنِيْفِ (جارِهِ) المجُوسيِّ ويطرحُهُ باللَّيلِ حيثُ لا يراهُ فمكَثَ رَحِمَهُ اللَّهُ على هَذِهِ الحَالِ زَمانًا طَوِيلًا إلى أَنْ حَضَرَتْ سَهلًا الوَفاةُ، فاسْتدْعى جارَهُ المجوسِيَّ وقالَ لَهُ: ادْخُلْ ذلِكَ البَيتَ وانْظُرْ ما فِيْهِ، فَدَخَلَ فَرأَى ذلِكَ البَثَقَ والقَذَرَ يَسْقُطُ منه في الجَفْنَةِ، فقالَ: ما هذا الَّذي أَرَى؟ قال سَهلٌ: هذا منذُ زمانٍ طويلٍ يَسْقُطُ من دارِكَ إلى هذا البيتِ وأنا أَتَلَقَّاهُ بالنَّهارِ وأُلقِيْهِ باللَّيلِ، ولولا أَنَّهُ حَضَرَنِيْ أَجَلِيْ، وأنا أَخَافُ أن لا تَتَّسِعَ أخلاقُ غَيرِيْ لذلِكَ، وإلَّا لمْ أُخْبِرْكَ فافعَلْ ما ترى، فقال المجوسِيُّ: أَيُّهَا الشَّيْخُ أَنْتَ تُعَامِلُنِيْ بهذِهِ المعامَلَةِ منذ زمانٍ طويلٍ وأنا مقيمٌ على كُفْري؟ مدَّ يَدَكَ فأنا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأَنَّ محمدًا رسولُ اللهِ، ثُمَّ ماتَ سهلٌ رَحِمَهُ اللَّهُ.

فَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَهْدِيَنا وإِيَّاكُمْ لِأَحْسَنِ الأَخْلاقِ والأعْمالِ والأَقْوالِ، وأَنْ يُحْسِنَ عَاقِبَتَنا إِنَّهُ جوادٌ كَرِيمٌ رؤوفٌ رحيمٌ[1].

(1) انظرْ «شرحَ الكبائرِ» للعلَّامَةِ ابن عُثَيْمِيْن رَحِمَهُ اللَّهُ (ص332 – 333).

21 الأَمانَةُ

الخُطْبَةُ الأُولى :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ (آل عمران: 102).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ (النساء: 1).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: 70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ـ ﷺ ـ ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ ـ فحديثي معكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنِ **«الأَمَانَةِ»**.

أَيُّهَا النَّاسُ الأمانةُ مِنْ أعظمِ الصِّفاتِ الخُلُقِيَّةِ التي وَصَفَ اللهُ بها المؤْمنينَ بقولِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾ (المؤمنون: 8، المعارج: 32).

قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَيْ: إِذا ائْتُمِنُوا لمْ يَخُونُوا، وإذا عاهَدُوا لم يَغْدُرُوا وهذه صفاتُ المؤمنينَ، وضدُّها صفاتُ المنافِقِينَ»[1].

أَيُّهَا النَّاسُ الأمانةُ لا تَقْتَصِرُ على حِفْظِ الودَائعِ بل هي أَعَمُّ من ذلكَ بِكَثيرٍ.

(1) «تفسيرُ ابنِ كثيرٍ» (5/463).

قال اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ (النِّسَاءِ : 58).

قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «يُخبرُ اللهُ أَنَّهُ يأْمُرُ بأَدَاءِ الأَماناتِ إلى أهلِها... وهو يَعُمُّ جميعَ الأماناتِ الواجبَةِ على الإنسانِ من حقوقِ اللهِ ـ عزَّ وجَلَّ ـ على عبادِهِ من الصَّلاةِ والزَّكاةِ والصيَّامِ والنَذْرِ وغيرِ ذلِكَ ممَّا هو مُؤْتَمَنٌ عليهِ لا يَطَّلِعُ عليهِ العبادُ. ومن حقوقِ العِبادِ بعضِهِمْ على بَعْضٍ كالوَدائِعِ وغيرِ ذلكَ مما يأتمنون به من غير إطلاع بينه على ذلك، فَأَمَرَ اللهُ ـ عزَّ وجَّلَ ـ بأَدَائِها فمَنْ لم يَفْعَلْ ذلك في الدنيا أُخِذَ مِنْهُ ذلك يَومَ القيامَةِ»[1].

وقال اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الأَنْفَالِ : 27).

قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «والخيانَةُ تَعُمُّ الذُّنُوبَ الصِّغارَ والكِبارَ اللَّازمَةَ والمتَعَدِّيَةَ.

قال عليُّ بنُ أبي طَلْحَةَ عن ابنِ عباسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا : (ولا تَخُوْنُوْا أَمَانَاْتِكُمْ) الأمانةُ هي الأَعمالِ التي ائْتَمَنَ اللهُ عليها العِبادَ ـ يعني الفَرِيْضَةَ. يقولُ: لا تَخُونُوا: لا تَنْقُضُوها.

وقال في روايةٍ: ﴿لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ . يقولُ: بتَرْكِ سُنَّتِهِ وارْتِكابِ مَعْصِيَتِهِ»[2].

أَيُّهَا النَّاسُ لقد رَغَّبَ نَبِيُّنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حِفْظِ الأمانَةِ وحذَّرَ من إِضاعَتِها في أحاديثَ كثيرةٍ فمنْها:

ما جاءَ في «صحيحِ البُخاريِّ»[3] منْ حديثِ أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ: بينما النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مجلسٍ يُحَدِّثُ القومَ، جاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فقال: متى السَّاعةُ؟ فمضى رسولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(1) «تفسيرُ ابنِ كثيرٍ» (2/232).

(2) «تفسيرُ ابنِ كثيرٍ» (4/41).

(3) رَواهُ البُخاريُّ (59).

يُحدِّثُ، فقالَ بعضُ القومِ: سَمِعَ ما قالَ فَكَرِهَ ما قالَ. وقال بعْضُهُمْ: بلْ لَمْ يَسْمَعْ، حتَّى إذا قَضَى حدِيْثَهُ. قالَ: «**أَينَ أراهُ السَّائِلَ عن السَّاعَةِ؟**». قال: ها أنا يا رسولَ اللهِ، قالَ: «**إذا ضُيِّعَتِ الأمانَةُ**»، قال: كَيفَ إضاعَتُها؟ قالَ: «**إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غيرِ أهْلِهِ فانْتَظِرِ السَّاعَةَ**».

وفي سُننِ التِّرمِذِيِّ وأَبي داودَ بسَنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحيحَةِ»[1] منْ حديثِ أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَدِّ الأمانَةَ إلى مَنِ ائْتَمَنَكَ، ولا تَخُنْ من خانَكَ**».

وأخرجَ الخرائطيُّ في «مكارمِ الأخلاقِ» بسَندٍ حَسَنٍ حسَّنَهُ الألبانيُّ في «الصَّحيحَةِ»[2] منْ حديثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَوَّلُ ما تَفْقِدُوْنَ مِنْ دينِكُمُ الأمانَةُ وآخِرُها الصَّلاةُ**».

كما أخبرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ خيانَةَ الأمانَةِ صِفَةٌ مِنْ صِفاتِ المنافقينَ.

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[3] منْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**آيَةُ المنافِقِ ثلاثٌ: إذا حدَّثَ كَذَبَ، وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإذا اؤْتُمِنَ خَانَ**».

أَيُّها النَّاسُ ما أكثر ميادِينَ الأمانَةِ فسَأَقْصِرُ حديثي مَعَكُمْ في هذِهِ العَجَلَةِ على أمانَةِ التَّوظِيْفِ!

أَيُّها النَّاسُ الأَساسُ في اختيارِ كلِّ موظَّفٍ أو عاملٍ أن يَكونَ قَوِيًّا أمينًا؛ لأنَّهُ بالقُوَّةِ يَسْتطيعُ القيامَ بالعملِ المطلوبِ منْهُ، وبالأمانَةِ يُؤدِّيهِ على وجْهٍ تَبْرَأُ بِهِ ذمَّتُهُ.

---

(1) «**صحيحٌ**» أخرجه أبو داود (3535)، والترمذيُّ (1246)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحيحةِ» (424).

(2) «**حَسَنٌ**» أخرجه الخرائطي في «مكارم الأخلاقِ» (ص28)، والضياء في «المختارة» (1/495)، وحسنه الألبانيُّ في «الصَّحيحةِ» (4/319).

(3) رَواهُ البُخاريُّ (33)، ومسلمٌ (59).

وقد أخبرَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ عن إحْدَى ابْنَتَيِّ صاحِبِ مَدْيَنَ أَنَّها قالَتْ لِإِبِيْها لمَّا سَقى لهما موسى ﷺ : ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦﴾ (القَصَص : 26).

وقال اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ عَنِ العِفْرِيتِ من الجِنِّ الذي أَبْدى استعدادَهُ لسليمانَ ﷺ بالإتيانِ بعَرْشِ بَلقيسَ: ﴿قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ٣٩﴾ (النَّمل : 39).

والمعنى: أَنَّهُ جمعَ بين القُدْرَةِ على حَمْلِهِ وإِحْضارِهِ والمحافَظَةِ على مُحْتَوياتِهِ.

وأخبرَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ عَنِ يُوسُفَ ﷺ أَنَّهُ قال لِلْمَلِكِ: ﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥﴾ (يُوسُف : 55).

والمعنى: أَنَّهُ خازنٌ أمينٌ ذو علمٍ وبصيرةٍ بما يتولَّاهُ.

وضدُّ القُوَّةِ والأمانَةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ العجزُ والخِيانَةُ.

كما في «صحيحِ البُخاريِّ»[1] منْ حديثِ عمرو بن مَيْمُونٍ قال: قال عُمَرُ بنُ الخطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «فإنْ أصابَتِ الإمْرَةُ سَعْدًا فهوَ ذاكَ، وإلا فَلْيَسْتَعِنْ بِهِ أيُّكم ما أُمِّرَ، فإني لَمْ أعْزِلْهُ عن عَجْزٍ ولا خِيانَةٍ».

وفي «صحيحِ مسلمٍ»[2] منْ حديثِ أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قلتُ: يا رسولَ اللهِ، ألا تَستَعْمِلُني؟

قال: فضربَ بيدِهِ على مِنكَبِي، ثُمَّ قالَ: **«يا أبا ذرٍ إنَّكَ ضَعِيفٌ، وإنَّها أَمَانَةٌ، وإِنَّها يومَ القيامَةِ خِزْيٌ ونَدَامَةٌ إلا مَنْ أَخَذَها بِحَقِّها وأَدَّى الذي عليهِ فيها»**.

(1) رَواهُ البُخاريُّ (3700).

(2) رَواهُ مسلمٌ (1825).

وفي «صحيحِ مسلمٍ»[1] منْ حديثِ أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**يا أبا ذرٍّ إني أراكَ ضَعِيفًا، وإنِّيْ أحبُّ لَكَ ما أُحِبُّ لنفْسِي، لا تَأَمَّرَنَّ على اثْنَيْنِ، ولا تَوَلَّيَنَّ مالَ يتيمٍ**».

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ يَجْمُلُ بالموظَّفِ أَنْ يُعامِلَ غيرَهُ مِن النَّاسِ بما يُحِبُّ أَنْ يُعَامَلَ بِهِ.

ففي «صحيحِ مسلمٍ»[2] منْ حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**مَنْ أحبَّ أن يُزَحْزَحَ عن النَّارِ ويُدْخَلَ الجَنَّةَ فلْتَأْتِهِ منيَّتُهُ وهو يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ، ولْيَأْتِ إلى النَّاسِ الذي يُحِبُّ أَنْ يؤتَى إليْهِ**».

والمعْنى - أَيُّهَا النَّاسُ - عامِلِ النَّاسِ بمِثْلِ ما تُحِبُّ أَنْ يُعامِلُوكَ بِهِ.

وفي «الصَّحيحَيْنِ»[3] منْ حديثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**لا يَؤُمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيْهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**».

وقدْ ذَمَّ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - من يُعامِلُ غَيْرَهُ على خِلافِ ما يُحِبُّ أَنْ يُعَامَلَ بِهِ.

فقال - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ .

وفي «الصَّحيحَيْنِ»[4] منْ حديثِ المُغِيْرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**إِنَّ اللهَ - عزَّ وجَلَّ - حَرَّمَ عليكُمْ عُقُوقَ الأُمَّهاتِ، وَوَأْدَ البَنَاتِ، ومَنْعًا وَهاتِ، وكَرِهَ لَكُمْ قِيْلَ وقالَ، وكَثْرَةَ السُّؤالِ، وإِضاعَةَ المالِ**».

(1) رَواهُ مسلمٌ (1826).

(2) رَواهُ مسلمٌ (1844).

(3) رَواهُ البُخاريُّ (13)، ومسلمٌ (45).

(4) رَواهُ البُخاريُّ (2408)، ومسلمٌ (593).

والشَّاهدُ مِن الحديثِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ في قَوْلِهِ ﷺ : «**ومَنْعًا وَهاتِ**». فإنَّهُ ذَمَّ الجَمُوعَ المَنُوعَ الذي يأْخُذُ ولا يُعْطِيْ.

وقدْ ذَكَرَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ أَوْلياءَ اليَتَامَى بأَنَّهُمْ يَخْشَوْنَ على ذرِّيَّاتِهِمْ الصغارِ لو تَرَكُوْهُمْ.

فقال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾ (النِّسَاءِ : 9).

والمعنى ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ كَمَا أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ أَنْ يُحْسَنَ إلى ذُرِّيَتِهِمُ الضِّعَافِ من بَعْدِهِمْ، فإِنَّ عليهِمْ أَنْ يُحْسِنُوا إلى اليَتَامى الَّذينَ لهم ولايَةٌ عليهم.

أَيُّهَا النَّاسُ أنَّهُ يَجْمُلُ بالمُوَظَّفِ تقديمُ الأَسْبَقِ فالأسْبَقِ من أصحابِ الحاجاتِ.

فمن العَدْلِ والإنْصافِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ ألا يُؤَخِّرَ المُوَظَّفُ مُتَقَدِّمًا من أصحابِ الحاجاتِ ولو كانَ بَغِيْضًا أو يُقدِّمَ مُتأخِّرًا ولو كانَ قَريبًا بلْ يكونُ التَّقْدِيْمُ عِنْدَهُ على حَسَبِ السَّبْقِ، وفي ذلك رَاحةٌ للمُوَظَّفِ وأَصحابِ الحَاجاتِ، وقد جاءَ في سُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ ما يَدُلُّ على ذلِكَ.

ففي «صحيحِ البُخاريِّ»[1] منْ حديثِ أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: بينما النَّبيُّ ﷺ في مجلسٍ يُحَدِّثُ القومَ، جاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فقال: متى السَّاعةُ؟ فمضى رسولُ اللهِ ﷺ يُحدِّثُ، فقالَ بعضُ القومِ: سَمِعَ ما قالَ فكَرِهَ ما قالَ. وقال بعْضُهُمْ: بلْ لَمْ يَسْمَعْ، حتَّى إذا قَضَى حدِيْثَهُ. قالَ: «**أَينَ أراهُ السَّائِلَ عن السَّاعَةِ؟**». قال: ها أنا يا رسولَ اللهِ، قالَ: «**إذا ضُيِّعَتِ الأمانَةُ فانْتَظِرِ السَّاعَةَ**»، قال: كَيفَ إضاعَتُها؟ قالَ: «**إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غيرِ أهْلِهِ فانْتَظِرِ السَّاعَةَ**».

---

(1) رَواهُ البُخاريُّ (59).

والشَّاهِدُ من الحديثِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَمْ يُجِبِ السَّائِلَ عن السَّاعَةِ إلَّا بَعْدَ فَرَاغِهِ مِن تَحْدِيْثِ مَنْ سَبَقُوْهُ.

قال الحافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويُؤْخَذُ مِنْهُ أَخْذُ الدُّرُوسِ على السَّبْقِ، وكذلك الفتَاوى والحُكُوْمَاتِ وَنَحْوِها»[1].

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ يَجِبُ على كُلِّ مُوَظَّفٍ أَنْ يَشْغَلَ الوَقْتَ المُخَصَّصَ للعَمَلِ في العَمَلِ الذي أَخَذَ الأَجْرَ في مُقَابِلِهِ، وكَمَا أَنَّ الإنْسانَ يَرْغَبُ في أَخْذِ أَجْرِهِ كاملًا ولا يُحِبُّ أَنْ يُبْخَسَ منهُ شيئًا فعَليهِ أَنْ لا يَبْخَسَ شَيْئًا من وقْتِ العَمَلِ يَصْرِفُهُ في غَيْرِ صَالِحِ العَمَلِ، وقَدْ ذمَّ اللهُ المُطَفِّفِيْنَ في المكاييْلِ والموازِينِ الَّذينَ يَسْتَوفُونَ حُقوقَهُمْ ويَبْخَسُونَ حُقوقَ غَيْرِهِمْ فقالَ: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ ﴾ (المُطَفِّفِين: 1-6).

وأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

(1) «الفَتْحُ» (1/142).

الخُطْبةُ الثّانيةُ ـ من صِفاتِ الموظفِ :

الْحَمْدُ للهِ ربِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمعِينَ.

أَمَّـا بَعدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ «**الأمانَةِ**» والآنَ حديثِي مَعَكُمْ عَنْ «**شيءٍ من صفاتِ المُوَظَّفِ**».

أيُّها النَّاسُ إِنَّهُ يَجِبُ على كُلِّ مُوَظَّفٍ أَنْ يَكُونَ عَفِيفًا عَزِيزَ النَّفْسِ غَنِيَّ القَلْبِ، بَعِيدًا عن أَكْلِ أموالِ النَّاسِ بالباطلِ، مِمَّا يُقَدَّمُ لِهُ من رشْوَةٍ ولو سُمِّيَ هَدِيَّةً؛ لِأَنَّهُ إذا أَخَذَ أموالَ الناسِ بغيرِ حَقٍّ أَكَلَها بالباطِلِ.

وقد حذَّرَ النَّبيُّ ﷺ العُمَّالَ من أَخْذِ شَيْءٍ من المالِ ولو سُمِّيَ هَدِيَّةً.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»[1] منْ حديثِ أبي حَمِيْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: اسْتَعْمَلَ رسولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا مِنَ الأَسْدِ يُقالُ لَهُ ابْنُ اللَّتْبِيَةِ على الصَّدَقَةِ، فلمَّا قَدِمَ قال: هذا لكمْ وهذا أُهْدِيَ لِيْ، قالَ: فقامَ رَسولُ اللهِ ﷺ على المِنْبَرِ فَحَمِدَ اللهَ وأَثْنى عليهِ، وقالَ: «**ما بَالُ عَامِلٍ أَبْعَثُهُ فَيَقُولُ: هذا لكمْ وهذا أُهْدِيَ لي! أَفلَا قَعَدَ في بَيْتِ أَبِيْهِ أَوْ بَيتِ أُمِّهِ حَتَّى يَنْظُرَ أَيُهدَى إليْهِ أَمْ لَا؟!، والَّذي نَفْسُ مُحمدٍ بِيَدِهِ! لا يَنَالُ أَحدٌ مِنكُمْ مِنها شَيئًا إلا جاءَ بِهِ يومَ القِيامَةِ يحْمِلُهُ على عُنقِهِ، بَعِيْرٌ لَهُ رُغَاءٌ، أو بَقَرَةٌ لها خُوارٌ، أَو شَاةٌ تَيْعَرُ**». ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حتَّى رأَيْنا عُفْرَتَيْ إِبْطَيْهِ، ثُمَّ قال: «**اللَّهُمَّ! هَلْ بَلَّغْتُ؟ مرَّتَيْنِ**».

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»[2] منْ حديثِ أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قامَ فينا رسولُ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ الغلُولَ فَعَظَّمَهُ وعظَّمَ أَمْرَهُ، ثُمَّ قال: «**لَأُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءَ يوم القيامةِ**

---

(1) رَواهُ البُخاريُّ (7174)، ومُسْلمٌ (1822) واللَّفْظُ لَهُ.

(2) رَواهُ البُخاريُّ (3073)، ومُسْلمٌ (1831).

على رَقَبَتِهِ بعيرٌ لَهُ رُغاءٌ، يقولُ: يا رسولَ اللهِ! أَغِثْنِي، فأَقولُ: لا أملِكُ لك شيئًا، قد أَبلَغْتُكَ، لا أَلْفَيَنَّ أحدَكم يَجِيءُ يوْمَ القيامَةِ، على رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ، فيقولُ: يا رسولَ اللهِ! أَغِثْنِي، فأَقولُ: لا أَمْلكُ لَكَ شَيئًا، قدْ أَبْلَغْتُكَ، لا أَلْفَيَنَّ أحدَكم يَجِيءُ يوْمَ القيامَةِ، على رَقَبَتِهِ شاةٌ لها ثُغَاءٌ، يقولُ: يا رسولَ اللهِ! أَغِثْنِي، فأَقولُ: لا أَمْلكُ لَكَ شَيئًا، قدْ أَبْلَغْتُكَ، لا أَلْفَينَّ أحدَكم يَجِيءُ يوْمَ القيامَةِ، على رَقَبَتِهِ نَفْسٌ لها صياحٌ، فيقولُ: يا رسولَ اللهِ! أَغِثْنِي، فأَقولُ: لا أَمْلكُ لَكَ شَيئًا، قدْ أَبْلَغْتُكَ، لا أَلْفَينَّ أحدَكم يَجِيءُ يوْمَ القيامَةِ، على رَقَبَتِهِ رِقاعٌ تَخْفُقُ، فيقولُ: يا رسولَ اللهِ! أَغِثْنِي، فأَقولُ: لا أَمْلكُ لَكَ شَيئًا، قدْ أَبْلَغْتُكَ، لا أَلْفَينَّ أحدَكم يَجِيءُ يوْمَ القيامَةِ، على رَقَبَتِهِ صَامِتٌ، فيقولُ: يا رسولَ اللهِ! أَغِثْنِي، فأَقولُ: لا أَمْلكُ لَكَ شَيئًا، قدْ أَبْلَغْتُكَ».

والرِّقاعُ - أَيُّهَا النَّاسُ - في الحديثِ هي الثِّيابُ، والصَّامِتُ الذَّهَبُ والفِضَّةُ.

وفي مسندِ أحمدَ بِسَنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحِيحَيْنِ»[1] منْ حديثِ أبي حَمِيْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**هدايا العَمَلِ غُلُولٌ**».

والغُلولُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هو الخِيانَةُ وغيرِها مِنَ الأعمالِ. والمرادُ أن هدايا العمالِ من جُمْلَةِ الغُلُولِ.

قال العبَّادُ - حَفِظَهُ الله - في «شرحِهِ لِسُنَنِ أبي داودَ»[2]: «لا يَجُوزُ للعُمَّالِ ولا للمُوظَّفِيْنَ قَبولُ الهدايا؛ لِأَنَّ الرَّسولَ ﷺ قالَ: «**هدايا العُمَّالِ غُلُولٌ**» يعني: ليسَ للمُوَظَّفِ أن يَقْبَلَ هَدِيَّةً سواءً أكانتْ من مُوظَّفٍ عِندَهُ، أو من مُراجِعٍ من المُراجِعِينَ الذين يأْتُونَ من الخارِجِ لحاجاتِهِمْ، فلا يجوزُ لَهُمْ أَنْ يُهْدُوا للمُوَظَّفِين ولا يجوزُ للمُوَظَّفِيْنَ أن يَقْبَلُوا منهم؛ لأَنَّ هذا من الغُلُولِ، كما في قِصَّةِ ابن اللُّتبِيَّةِ الذي جاءَ

---

(1) «**صَحِيحٌ**» أخرجَهُ أحمدُ (23601)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «الإرواءِ» (2622).

(2) «شرحُ سُنَنِ أبي داودَ» للعَبَّادِ (5/270).

بالصَّدَقاتِ وقالَ: هذا لكمْ وهذا أُهْدِيَ لِيْ، فأنْكَرَ ذلكَ رسولُ اللهَ ﷺ وقالَ: «**فهلا جَلَسَ في بيتِ أَبِيْهِ أَوْ بَيْتِ أُمِّهِ لِيَنْظُرَ هَلْ تَأْتِيْهِ هَدِيَّةٌ؟**». يَعنيْ ما أُعطيَ الهديَّةَ إلا بِسببِ كَونِهِ عَاملًا.

وكذلِكَ المدرِّسُ لا يجوزُ لَهُ أَنْ يقْبَلَ الهديَّةَ من الطُّلَّابِ لاحْتمالِ الميلِ إليه ومحاباتِهِ بزيادَةِ دَرَجاتِه فتكونُ الهديَّةُ سببًا في ذلك ولكنَّهُ إذا كان أَهْدَى له كتابًا وقَبِلَهُ فَإِنَّهُ يُعْطِيْهِ كتابًا أَحْسَنَ منهُ وبذلِكَ يَزولُ الإِشْكالُ».

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ يجبُ على الموظَّفِيْنَ الذينَ يَعْمَلُونَ في إِيْراداتِ الدَّولةِ أَنْ يوْصِلُوا الأموالَ إليها كاملةً غيرَ مَنْقُوصةٍ.

لما في «صحيحِ مُسْلمٍ»[1] منْ حديثِ عُدَيِّ بن عُمَيْرَةٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**من اسْتَعْمَلْنَاهُ منكمْ على عَمَلٍ فكَتَمَنَا مِخْيَطًا فما فَوقَهُ، كان غلُولًا يَأْتِي بِهِ يومَ القيامَةِ**».

فقولُهُ ﷺ: «**فكَتَمَنَا**» أَيْ: أَخْفَى عَنَّا.

وقولُهُ: «**مِخْيَطًا**» أَيْ: إِبْرةً.

وقولُهُ: «**فما فَوقَهُ**» أَيْ: فَشيئًا يكونُ فوقَ المِخْيَطِ في الصِّغَرِ أو الكِبَرِ.

فالحديثُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ كما قال النَّوَوِيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ: «مَسُوقٌ لِحَثِّ العُمَّالِ على الأمانَةِ وتَحْذِيرِهِمْ من الخِيانَةِ»[2].

أَيُّهَا النَّاسُ لا يجوزُ لأَحَدٍ أَنْ يُسَوِّغَ لنفْسِهِ أَخْذَ أموالِ الدَّوْلَةِ بدعْوى أَنَّ الفَسَادَ مُنْتَشِرٌ والرَّشْوَةَ ضاربةٌ أَطْنابَها عِنْدَ الكِبارِ فَضْلًا عن الصِّغَارِ فإنَّ هذا منْ مُغالَطَةِ

---

(1) رَواهُ مسلمٌ (1833).

(2) «مرقاةُ المفاتِيْحِ» (6/74).

النَّفْسِ ومِنْ تَلْبِيْسِ إِبْلِيسَ فإِنَّ كُلَّ إنسانٍ مَسْؤولٌ عَنْ عَمَلِهِ يومَ القيامَةِ أَمَامَ اللهِ، وَكُوْنُ الدَّوْلَةِ لا تعطِيْهِ ما يَكْفِيْهِ فلا يُسَوِّغُ لِنَفْسِهِ أَكْلَ أموالِ النَّاسِ بالباطِلِ بَلْ عليْهِ أَنْ يَبْحَثَ لَهُ عَنْ عَمَلٍ آخَرَ يَسُدُّ حاجَتَهُ وحاجَةَ عِيالِهِ لِأَنَّ الشَّرْعَ لَمْ يأْذَنْ للمُوَظَّفِ أَنْ يَأْخُذَ زِيادَةً على ما هُوَ مُقَرَّرٌ لَهُ مِنَ الدَّوْلَةِ.

ففي سُنَنِ أبي داودَ بِسَنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ»[1] منْ حديثِ بُرَيْدَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «**مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ على عَمَلٍ فَرَزَقْنَاهُ رِزْقًا فما أَخَذَ بعدَ ذلِكَ فهو غُلُولٌ**».

اللَّهُمَّ وَفِّقْ كُلَّ موظَّفٍ وعَاملٍ من المُسْلمينَ إلى أداءِ عَمَلِهِ على الوَجْهِ الذي يُرْضِيْكَ.

اللَّهُمَّ إنا نَعوذُ بِكَ من شُرورِ أَنْفُسِنا وسيِّئاتِ أعمالنا.

اللَّهُمَّ أصلحْ لنا شَأْنَنَا كُلَّهُ ولا تَكِلْنَا إلى أَنْفُسِنا طَرْفَةَ عَيْنٍ.

(1) «**صَحيحٌ**» أخرَجَهُ أبو داودَ (2943)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامِعِ» (6023).

22 خَطَرُ الدُّيُونُ

الخُطْبَةُ الأُولى :

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران : 102).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبٗا﴾ (النساء : 1).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب :70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ـ ﷺ ـ ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ ـ فحديثي معكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنِ **«خَطَرِ الدُّيُونِ»**.

أَيُّهَا النَّاسُ الدُّيونُ مما ابْتُلِيَ بِهِ كَثيرٌ من النَّاسِ وما مِن أَحَدٍ إلا وهو مَدِينٌ.

فمنَ النَّاسِ من يَسْتَدِيْنُ للإنفاقِ على عِيالِهِ وفيما يُرْضِيْ اللهَ ويَأْخُذُ ذلكَ على نِيَّةِ السَّدادِ والوَفاءِ فَهُمْ داخِلُونَ ـ إن شاءَ اللهُ ـ في مثلِ قولِ رسولِ اللهِ ﷺ كما في «صحيح البُخاريِّ»[1] منْ حديثِ أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «**مَنْ أَخَذَ أَموالَ النَّاسِ يُرِيدُ أداءَها أَدَّاها اللهُ عنهُ**».

(1) رَواهُ البُخَارِيُّ (2387).

ومن النَّاسِ من يأْخُذُ أموالَ النَّاسِ وليسَ لَهُ نِيَّةٌ في ردِّها فَهُمْ داخِلُونَ في مثلِ قولِهِ ﷺ كما في «صحيح البُخاريِّ»[1] منْ حديثِ أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «**مَنْ أَخَذَ أَموالَ النَّاسِ يُرِيدُ إتلافَها أَتْلَفَهُ اللهُ ـ عزَّ وجَلَّ ـ**».

وأَمَّا أصحابُ الأموالِ الذِّينَ فَتَحَ اللهُ عليهِمْ وأَعْطاهُمْ فمنْهُمْ من يُفَرِّجُ كُرُباتِ المُسْلمينَ ومنهم من يَتَجاوزُ عنِ المعْسِرينَ ويُحْسِنُ إلى المُوْسِرينَ ومنهم من يُشارِكُ في كثيرٍ من طُرِقِ الخَيْرِ وهؤلاءِ داخِلُونَ ـ إنْ شاءَ اللهُ ـ في مثلِ قولِهِ ﷺ كما في «صحيح مُسْلمٍ»[2] منْ حديثِ أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «مَنْ نَفَّسَ عن مُؤمنٍ كُرْبَةً من كُرَبِ الدُّنيا نَفَّسَ اللهُ عنه كُرْبَةً من كُرَبِ يومِ القيامَةِ، ومَنْ يَسَّرَ على مُعْسِرٍ، يَسَّرَا للهُ عليهِ في الدُّنيا والآخِرَةِ، ومَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ في الدُّنيا والآخِرَةِ، واللهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخِيْهِ»[3].

أَيُّهَا النَّاسُ الدَّينُ أَمْرُهُ عَظِيمٌ بَلْ عدَّه نَبيُّنا ﷺ مَخَافَةً.

كما في مُسنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حسَّنَهُ الألبانيُّ في «الصَّحِيحَةِ»[4] منْ حديثِ عُقْبَةَ بنِ عامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رسولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لا تُخِيْفُوا أَنْفُسَكُمْ**». أو قال: «**الأَنْفُسَ**». فَقِيْلَ: يا رسولَ اللهِ بما نُخِيْفُ أَنْفُسَنا؟ قال: «**الدَّيْنُ**».

والدَّيْنُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ لا يُكَفِّرُهُ حتَّى الشَّهادَةُ في سبيلِ اللهِ كما أَنَّهُ يَمْنَعُ مِنْ دُخُوْلِ الجَنَّةِ.

---

(1) رَواهُ البُخَاريُّ (2387).

(2) رَواهُ مسلمٌ (2699).

(3) انْظُرْ كِتابَ «الدُّرّ المكنونِ في أحكامِ الديونِ» لأَخِينا عبد الحميد بن يَحْيى الحجوريِّ ـ حفظه الله ـ (ص5) وقد استفدْتُ منه كثيرًا في إعدادِ هذِهِ الخُطْبَةِ. جزاهُ اللهُ خَيرًا وزادَهُ عِلمًا وهدىً وصَلاحًا.

(4) «**حَسَنٌ**» أَخْرجَهُ أَحمدُ (4/154)، وحسَّنَهُ الألبانيُّ في «الصَّحيحَةِ» (2420).

ففي «صحيحِ مسلمٍ»[1] منْ حديثِ أَبي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قامَ فيهم فَذَكَّرَهُمْ: «**الجهادُ في سبيلِ اللهِ، والإيمانُ باللهِ أفضَلُ الأعْمالِ**». فقامَ رجلٌ: يا رسولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ في سَبيلِ اللهِ؛ تُكَفَّرْ عَنِّي خطايايَ؟ فقالَ لَهُ رسولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ إنْ قُتِلْتَ في سبيلِ اللهِ، وأنْتَ صابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ، غيْرُ مُدْبِرٍ**»، ثُمَّ قالَ ﷺ: «**كَيفَ قُلْتَ؟**». قال: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ في سَبيلِ اللهِ؛ تُكَفَّرْ عَنِّي خطايايَ؟ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ، وأنْتَ صابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ، غيْرُ مُدْبِرٍ إلا الدَّيْنُ، فإنَّ جِبْرِيْلَ** عَلَيْهِ السَّلَامُ **قالَ لي ذَلِكَ**».

وفي سُننِ التِّرمِذيِّ بِسَنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الأَلْبانيُّ في «صحيحِ ابنِ ماجَةَ»[2] منْ حديثِ ثَوْبانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**من ماتَ وهو بَرِيْءٌ من الكِبْرِ والغُلُولِ، والدَّيْنِ، دَخَلَ الجَنَّةَ**».

أيُّها النَّاسُ إنَّهُ لابُدَّ مِنَ القِصاصِ يومَ القِيامَةِ من المَظَالِمِ ومنها الدُّيُونُ.

ففي «صحيحِ البُخاريِّ»[3] منْ حديثِ أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**إذا خَلُصَ المؤْمنون من النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بينَ الجَنَّةِ والنَّارِ فَيَتَقَاصَوْنَ مظالِمَ كانت بينَهُمْ في الدُّنيا حَتَّى إِذا هُذِّبُوا ونُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ في دُخُولِ الجَنَّةِ**».

وفي «صحيحِ مسلمٍ»[4] منْ حديثِ أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**أَتَدْرُوْنَ مَنِ المُفْلِسُ؟**». قالوا: المُفْلِسُ فينا من لا دِرْهَمَ لَهُ ولا مَتاعَ، فقالَ: «**إِنَّ المُفْلِسَ من أُمَّتِيْ من يأْتِي يومَ القِيامَةِ بصَلاةٍ وصيامٍ وزَكاةٍ، فيأتِي وقدْ شَتَمَ هذا،**

---

(1) رَواهُ مُسْلِمٌ (1885).

(2) «**صَحيحٌ**» أخرجَهُ التِّرمِذِيُّ (1572)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ ابنِ ماجَةَ» (2412).

(3) رَواهُ البُخَارِيُّ (2440).

(4) رَواهُ مسلمٌ (2581).

وقَذَفَ هذا، وأَكَلَ مالَ هذا، وسَفَكَ دَمَ هذا، وَضَرَبَ هذا، فيُعْطَى هذا من حَسَناتِهِ، وهذا من حَسَناتِهِ، فإنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضى ما عليهِ، أَخَذَ مِن خطاياهُم فَطُرِحَتْ عليهِ، ثُمَّ طُرِحَ في النَّارِ».

وفي «صحيحِ مسلمٍ»[1] منْ حديثِ أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«لَتُؤَدَّنَ الحُقوقِ إلى أهلِها يومَ القيامَةِ حتَّى يُقَادَ للشَّاةِ الجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ القَرْناءِ»**.

وأخرجَ الطَبرانيُّ في الأوسَطِ بسَنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ التَّرغيبِ والتَّرهِيْبِ»[2] عن ميمونَ الكُرْدِيِّ عن أَبيْهِ قالَ: سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ لا مَرَّةً ولا مَرَّتَيْنِ ولا ثَلاثَ حتَّى بَلَغَ عشرَ مِرارٍ: **«أَيُّما رجلٍ تزوَّجَ امْرَأَةً بما قَلَّ أو كَثُرَ من المَهْرِ ليسَ في نَفْسِهِ أن يُؤَدِّيَ إليها حَقَّها خَدَعَها فماتَ ولم يُؤَدِّ إليها حَقَّها؛ لَقِيَ اللهَ يومَ القِيامَةِ وهو زانٍ، وأَيُّما رَجُلٍ اسْتَدانَ دَيْنًا لا يُرِيدُ أَنْ يُؤَدِّيَ إلى صاحِبِهِ حَقَّهُ خدَعَهُ حتَّى أَخَذَ مالَهُ، فماتَ ولم يُؤَدِّهِ؛ لَقِيَ اللهَ وهو سارقٌ»**.

أَيُّهَا النَّاسُ أَلَّا ما أَثْقَلَ الدُّيُونَ فلا ينْبَغِي للمرءِ المسْلِمِ أَنْ يُثْقِلَ كاهِلَهُ لغَيْرِ حاجَةٍ فكَمْ من تاجِرٍ ضاعَفَ دَخْلَهُ بالدُّيُونِ وعندَهُ ما يَكْفِيْهِ واللهُ المُسْتَعَانُ.

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[3] منْ حديثِ المُغِيْرَةِ بنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عليكُمْ عُقُوقَ الأُمهَّاتِ، وَوَأْدَ البَناتِ، ومَنْعًا وهَاتِ، وكَرِهَ لَكُمْ قِيْلَ وقالَ، وكَثْرَةَ السُّؤالِ، وإِضاعَةِ المَالِ»**.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الدُّيُونَ قَدْ تَقُوْدُ إلى مساويءِ الأَخْلَاقِ ولهذا كانَ النَّبيُّ ﷺ كَثِيْرًا ما يسْتَعِيْذُ باللهِ من الدَّيْنِ.

---

(1) رَواهُ مسلمٌ (2582).

(2) **«صَحيحٌ»** أخرجَهُ الطبرانيُّ في الأَوْسَطِ (1851)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ التَّرغيبِ والتَّرهِيْبِ» (2/167).

(3) رَوَاهُ البُخاريُّ (2408)، ومسلمٌ (593).

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[1] من حديثِ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ يَدْعُو في الصَّلاةِ، ويقولُ: «**اللَّهُمَّ إِني أعوذُ بِكَ مِنَ المَأْثَمِ والمَغْرَمِ**». فقالَ قائلٌ لَهُ: ما أَكْثَرَ ما تَسْتَعِيْذُ يا رَسُولَ اللهِ مِنَ المَغْرَمِ؟ قال: «**إِنَّ الرَّجُلَ إِذا غَرِمَ؛ حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ**».

قال الحافظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُٱللَّهُ: «قال المُهَلَّبُ: يُسْتَفَادُ من الحَدِيْثِ سَدُّ الذرائِعِ؛ لِأَنَّهُ اسْتَعاذَ من الدَّيْنِ، لِأَنَّهُ في الغالِبِ ذريعةٌ إلى الكَذِبِ في الحديثِ، والخَلْفِ في الوَعْدِ مَعَ مالِصَاحِبِ الدَّيْنِ عَلَيْهِ مِنَ المَقَالِ»[2].

وفي «صحيح البُخاريِّ»[3] منْ حديثِ أَنَسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قالَ: كُنْتُ أَخْدُمُ النَّبيَّ ﷺ إذا نَزَلَ فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كثيرًا يقولُ: «**اللَّهُمَّ إني أَعُوذُ بِكَ من الهَمِّ والحَزَنِ، والعَجْزِ والكَسَلِ، والبُخْلِ والجُبْنِ، وضَلَعِ الدَّينِ، وغَلَبَةِ الرِّجالِ**».

والضَلَعُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَيْ: الثِّقَلُ أي يُثْقِلُهُ حتى يَمِيْلَ صاحِبُهُ عن الاسْتِواءِ والاعْتِدالِ، وغَلَبَةُ الرِّجالِ أَيْ شِدَّةُ تسلُّطِهِمْ.

أَيُّهَا النَّاسُ اعْلَمُوْا أَنَّ تَرْكَ النَّبيِّ الصَّلاةَ على صاحِبِ الدَّينِ كانَ في أَوَّلِ الأمْرِ ثُمَّ نُسِخَ بالصَّلاةِ عليْهِ

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[4] منْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قالَ: إِنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ يُؤْتَى بالرَّجُلِ المُتَوَفَّى عليه الدَّينُ، فَيَسْأَلُ: «**هَلْ تَرَكَ لِدَيْنِهِ فَضْلًا؟**» فإِنْ حَدَثَ أَنَّهُ تَرَكَ لِدَيْنِهِ. وإلَّا قالَ لِلْمُسْلِمِيْنَ: «**صلُّوا على صاحِبِكُمْ**»، فلمَّا فَتَحَ اللهُ عليهِ الفُتُوحَ،

(1) رَواهُ البُخاريُّ (2397)، ومسلمٌ (589).

(2) «الفَتحُ» (5/77).

(3) رَوَاهُ البُخاريُّ (2893).

(4) رَوَاهُ البُخاريُّ (2298)، ومسلمٌ (1619).

قالَ: «**أَنا أَوْلى بالمُؤْمِنِيْنَ من أَنْفُسِهِمْ، فَمَنْ تُوُفِّيَ مِنَ المؤمِنِيْنِ فتَرَكَ دَيْنًا فَعَلَيَّ قَضَاؤُه، ومَنْ تَرَكَ مالًا فَلِوَرَثَتِهِ**».

قال القُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «المُفْهِمِ»: «سُؤَالُ النَّبيِّ ﷺ عَنِ المَيْتِ هَلْ عليهِ دينٌ أَوَّلًا، وامْتِنَاعُهُ من الصَّلاةِ على مَنْ عليهِ دَيْنٌ، ولم يَتْرُكْ وَفَاءً إِشْعَارٌ بصُعُوبَةِ أَمْرِ الدَّيْنِ وأَنَّهُ لا يَنْبَغِيْ أَنْ يَتَحَمَّلَهُ الإنْسانُ إلَّا مِنْ ضَرُوْرَةٍ وأَنَّهُ إذا أَخَذَهُ لا يَنْبَغِي أَنْ يَتَراخى في أَدَائِهِ إذا تَمَكَنَ مِنْهُ وذلِكَ لما قَدَّمْنَا من أَنَّ الدَّيْنَ شَيْنٌ، الدَّيْنُ هَمٌّ باللَّيلِ ومَذَلَّةٌ بالنهَّارِ، وإخافَةٌ للنُّفُوسِ بَلْ وَإِرْقَاقٌ لَهَا»[1].

وقَدْ كانَ هذا من النَّبيِّ لِيَرْتَدِعَ مَنْ يَتَسَاهَلُ في أَخْذِ الدَّيْنِ حتَّى تَتَشَوَّش أَوْقَاتُهُمْ عِنْدَ المُطَالَبَةِ، وكانَ هذا في أَوَّلِ الإِسْلامِ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لابُدَّ من كِتَابَةِ الدَّيْنِ والإِشْهَادِ عَليْهِ فَلا يَدْرِيْ أَحَدُنَا ما يَعْرِضُ لَهُ.

ففي «صحيح مسلمٍ»[2] منْ حديثِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «**مَا حَقُّ امْرِيءٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُرِيْدُ أَنْ يُوْصِيَ فِيْهِ، يَبِيْتُ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوْبَةٌ عِنْدَهُ**».

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

---

(1) «المُفْهِمُ» (4/574).

(2) رَواهُ مسلمٌ (1627).

الخُطْبَةُ الثّانيةُ ـ فَضْلُ إِنظارِ المُعْسِرِ:

الْحَمْدُ للهِ ربِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أَمَّـا بَعدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ «**خَطَرِ الدُّيُونِ**» والآنَ حديثِي مَعَكُمْ عَنْ «**فَضْلِ إِنْظَارِ المُعْسِرِ**».

أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَتْ آيَاتٌ وأَحادِيْثُ في فَضْلِ إِنْظَارِ المُعْسِرِ ما يَمْلأُ الصَّدْرَ والنَّحْرَ فمِنْها:

قال اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٨٠﴾ (البقرة: 280).

قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يأْمُرُ تَعالى بالصَّبْرِ على المُعْسِرِ الذيْ لا يَجِدُ وَفَاءً قالَ: ثُمَّ يَنْدُبُ إلى الوَضْعِ عَنْهُ، وَيَعِدُهُ على ذلكَ الخَيْرَ والثَّوابَ الجَزِيْلَ، فقالَ: «**وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ**» أَيْ: وأَنْ تَتْرُكُوا رَأْسَ المالِ بالكُلِّيَّةِ وتَضَعُوهُ على المَدِيْنِ»[1].

وفي «صحيح مُسلمٍ»[2] منْ حديثِ عبدِ اللهِ بْنِ أبي قَتَادَةَ، أَنَّ أَبا قَتادَةَ طَلَبَ غَرِيْمًا لَهُ فَتَوارَى عَنْهُ، ثُمَّ وَجَدَهُ فقالَ: إني مُعْسِرٌ، فقالَ: اللهَ اللهَ، قالَ: فإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**مَنْ سرَّهُ أَنْ يُنَجِّيَهُ اللهُ مِن كَرْبِ يَوْمِ القِيامَةِ؛ فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ، أو يَضَعُ عَنْهُ**».

وفي «صحيحِ مُسْلِمٍ»[3] منْ حديثِ أَبي اليُسْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللهُ في ظِلِّهِ**».

---

(1) «تَفْسيرُ ابنِ كَثيرٍ» (1/717).

(2) رَوَاهُ مسلمٌ (1563).

(3) رَوَاهُ مسلمٌ (3006).

وفي مُسْنَدِ أحمدَ بسنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الأَلْبانيُّ في «صحيحِ الجَامِعِ»[1] منْ حديثِ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلُهُ صَدَقَةٌ قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ عليهِ الدَّيْنُ فَأَنْظَرَهُ فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثلاهُ صَدَقَةً»**.

وفي «الصَّحيحَيْنِ»[2] منْ حديثِ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«مَاتَ رجلٌ، فقيل لَهُ: ما كنتَ تَقُولُ؟ قال: كنتُ أبايِعُ النَّاسَ فأَتَجوَّزُ عنِ المُوْسِرِ، وأُخَفِّفُ عن المُعْسِرِ، فغُفِرَ لَهُ»**.

وفي رِوايةٍ: **«فأَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ»**[3].

وفي «صحيحِ مُسْلِمٍ»[4] منْ حديثِ أبي مسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«حُوسِبَ رَجُلٌ ممَّنْ كانَ قبلَكُمْ، فلَمْ يوجَدْ لَهُ من الخيرِ شَيْءٌ إلّا أَنَّهُ كان يُخالِطُ النَّاسَ، وكان مُوْسِرًا فكانَ يأْمُرُ غِلمَانَهُ أَنْ يتجاوَزُوا عَن المعْسِرِ، قالَ: قالَ اللهُ ـ عزَّ وجَلَّ ـ: نحنُ أَحَقُّ بذلِكَ مِنْهُ، تجاوَزُوا عَنْهُ»**.

وفي «الصَّحيحينِ»[5] منْ حديثِ أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: **«كان تاجرٌ يُداينُ النَّاسَ، فإذا رأَى مُعْسِرًا قال لِفِتْيَانِهِ: تَجاوَزُوا عنهُ لَعَلَ اللهَ أَنْ يتجاوَزَ عَنَّا، فتجاوَزَ اللهُ عَنْهُ»**.

---

(1) **«صَحيحٌ»** رَواهُ أحمدُ (2/ 359)، وصحَّحَهُ الأَلْبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (6106).

وقالَ شيخُنا الوادِعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصَّحيحِ المُسْنَدِ» (3932) هذا حديثٌ صَحيحٌ رجالُهُ رجالُ الصَّحيحِ.

(2) رَوَاهُ البُخاريُّ (2391)، واللَّفظُ لَهُ، ومسلمٌ (1560).

(3) رَوَاهُ البُخاريُّ (3451).

(4) رَوَاهُ مسلمٌ (1561).

(5) رَوَاهُ البُخاريُّ (2078)، ومسلمٌ (1562).

أَيُّهَا النَّاسُ قبلَ أَنْ أُوَدِّعَ مَقامي هذا أُذَكِّرُكُمْ بما جاءَ في سُنَنِ التِّرمِذِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حسَّنَهُ الأَلبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ»[1] منْ حديثِ أبي وَائلٍ عَنْ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ مُكاتبًا جاءَهُ، فقالَ: إني قَدْ عَجَزْتُ عن مُكَاتَبتِيْ فأَعِنِّيْ، قالَ: أَلَا أُعَلِّمُكَ كلماتٍ علمنيها رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لوْ كانَ عَليكَ مِثْلُ جَبَلِ خَيبَرَ دَيْنًا، أَدَّاهُ اللهُ عنكَ**». قالَ: «**قُلْ: اللَّهُمَّ اغنِنِيْ بِحَلالِكَ عن حَرامِكَ، وبفَضْلِكَ عمَّنْ سِواكَ**».

نَسأَلُ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ أَنْ يُوَفِقَنَا وإِيَّاكُمْ لما يُحِبُّهُ ويرضاهُ وأَنْ يُغْنِينَا وإِيَّاكُم بالحلالِ عنِ الحرامِ.

اللَّهُمَّ اغْنِنا بِحلالِكَ عن حَرامِكَ، وبِطاعَتِكَ عن مَعْصِيَتِكَ، وبِفَضْلِكَ عمَّن سواكَ.

---

(1) «**حَسَنٌ**» أخرجَهُ التِّرمِذِيُّ (3563)، وحسَّنَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامِعِ» (2625).

23 عِزَّةُ النَّفْسِ

الخُطْبَةُ الأُولى :

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أَنْ لا إله إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ (آل عمران : 102).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ (النساء : 1).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب :70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإِنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ـ ﷺ ـ ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ ـ فحديثي معكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنِ **«عِزَّةِ النَّفْسِ»**.

أَيُّهَا النَّاسُ عِزَّةُ النَّفْسِ تَعْني الارْتفاعَ عن مواضِعِ المَهَانَةِ، ويُقابلُها الضَّعَةُ وهي انْحِدارُ النَّفْسِ في المهانَةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ عزيزُ النَّفْسِ لا يُريقُ ماءَ وجهِهِ، ولا يَبْذُلُ عِرْضَهُ فيما يُدَنِّسُهُ، فيَبقى مَوفُورَ الكرَامَةِ، مُرْتاحَ الضَّميرِ، مَرْفوعَ الرَّأْسِ، شامخَ العِرْنِيْنِ لا يَسِيْرُ إِلَّا وِفْقَ ما يُمْليهِ عليهِ إيمانُهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ لقد رَبَّا النَّبيُّ ﷺ أصحابَهُ ـ رضوان الله عليهم ـ على خُلُقِ العِزَّةِ.

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[1] منْ حديثِ عبد اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ وهو على المِنْبَرِ، وهو يَذْكُرُ الصَّدَقَةَ والتَعَفُّفَ عن المسألَةِ: «**اليَدُ العُليا خيرٌ من اليَدِ السُّفلى، واليدُ العليا المنْفِقَةُ والسُّفْلَى السائِلَةُ**».

وفي «صحيحِ مُسْلِمٍ»[2] منْ حديثِ عَوفِ بنِ مالكٍ الأَشْجَعِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّهُ قالَ: كُنَّا عندَ رسولِ اللهِ ﷺ تسعةً أو ثمانِيَةً أو سبعَةً، فقال: «**ألا تُبايعُونَ رسولَ اللهِ؟**». وكنَّا حديث عهدٍ بِبَيعَةٍ فقلنا: قَدْ بايَعْناكَ يا رسولَ اللهِ. ثُمَّ قال: «**ألا تُبايعُونَ رسولَ اللهِ؟**». فقلنا: قَدْ بايعْنَاك يا رسولَ اللهِ. ثُمَّ قال: «**ألا تُبايعُونَ رسولَ اللهِ؟**». قال: فَبَسَطْنا أيْدِينَا وقُلْنا: قدْ بايْعناك يا رسولَ اللهِ. فعلامَ نُبايعُكَ؟ قال: «**على أَنْ تَعْبدُوا اللهَ ولا تُشْرِكُوا بِهِ شَيئًا، والصَّلَواتِ الخَمْسِ، وتُطيْعُوا (وأَسَرَّ كلمةً خفيَّةً) ولا تَسْألُوا الناسَ شَيئًا. فلقدْ رَأَيْتُ بعضَ أولئك النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوطُ أَحَدِهِمْ فما يَسأَلُ أَحَدًا يُناوِلُهُ إِيَّاهُ**».

قال القُرطبيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ في شَرحِهِ للحديثِ: «هذا حَمْلٌ على مكارِمِ الأخْلاقِ وتعظيمِ الصَّبرِ على مَضَضِ الحاجاتِ والاسْتِغناءِ عن النَّاسِ وعِزَّة النَّفْسِ»[3].

وقد حَثَّ النَّبيُّ ﷺ أُمَّتَهُ على المَشْيِ في مناكِبِ الأَرْضِ لِئلَّا تَصدَّعَ قناةُ العِزَّةِ بسؤالِ النَّاسِ.

ففي «صحيحِ البُخاريِّ»[4] منْ حديثِ الزُّبَيرِ بنِ العَوَّامِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**لأَنْ يأْخُذَ أَحَدُكم حبلَهُ، فيأتِي بحُزْمَةِ الحَطَبِ على ظَهرِهِ، فيَبِيعَها، فيَكُفَّ اللهُ بها وجهَهُ خيرٌ لَهُ مِن أَنْ يسْأَلَ الناسَ، أَعطَوهُ أو منعُوه**».

---

(1) رَواهُ البُخاريُّ (1429)، ومسلمٌ (1033) واللَّفظُ لَهُ.

(2) رَوَاهُ مسلمٌ (1043).

(3) «دليلُ الصَّالحينَ» (4/418).

(4) رَوَاهُ البُخاريُّ (1471)، وأخرجَهُ بنحْوِهِ من حديثِ أبي هُرَيرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (1042).

كما نهى النَّبيُّ ﷺ عما يَدُسُّ النفوسَ ويُنْزِلُها إلى حَضِيضِ الدَّرَكاتِ فلم يُبِحْ سؤالَ الناسِ إلا عندَ ضَرُورَةٍ حَرِجَةٍ.

ففي «صحيحِ مسلمٍ»[1] مِنْ حديثِ قَبِيصَةَ بنِ مُخارِقٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: تَحَمَّلْتُ حِمالةً (أي دِيَةً أو غَرامَةً) فأَتَيتُ رسولَ اللهِ ﷺ فيها فقال: «**أَقِمْ حتَّى تأْتِينَا الصدَقَةُ فَنَأْمُرَ لَكَ بها**». قال: ثُمَّ قال: «**يا قَبِيصَةُ إنَّ المسألةَ لا تَحِلُّ إلا لأَحَدِ ثلاثةٍ: رجلٌ تحمَّلَ حِمالةً فحلَّتْ لَهُ المسأَلَةُ حتَّى يصيبَها ثُمَّ يُمْسِكُ، ورجلٌ أصابَتْهُ جائِحَةٌ اجْتاحَتْ مالَهُ فحَلَّتْ لَهُ المسأَلَةُ حتَّى يصيبَ قِوامًا من عَيْشٍ (أو قال سِدادًا من عَيشٍ) ورجلٌ أصابَتْهُ فاقَةٌ حتَّى يقولَ ثلاثَةٌ من ذوي الحِجا من قومِهِ (أي من أصحابِ العُقولِ): لقد أصابتْ فلانٌ فاقَةٌ، فحلَّتْ لَهُ المسأَلَةُ حتَّى يصيبَ قِوامًا من عَيشٍ (أو قال سِدادًا من عيشٍ) فما سواهُنَّ يا قَبِيصَةُ سُحْتًا يأكُلُها صاحِبُها سُحْتًا**».

أيُّها النَّاسُ لقد حَذَّرَ النَّبيُّ ﷺ مِن سؤالِ النَّاسِ وبيَّنَ لنا أَنَّهُ من يَسْأَلِ الناسَ وعِندَهُ قدرُ ما يُغَدِّيهِ ويُعَشِّيْهِ فإنَّما يَسأَلُ نارًا

ففي مُسنَدِ أحمدَ بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ»[2] منْ حديثِ سهلِ بْنِ الحَنْظَلِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ سَأَلَ وعندَهُ ما يُغْنِيْهِ فإنَّما يسْتكْثِرُ من النَّارِ**».

قال النُّفَيلِيُّ وهو أَحَدُ رُواتِهِ في موضعٍ آخَرَ: وما الغِنى الذي لا ينْبَغِي مَعَهُ المسأَلَةُ؟ قال: «**قَدْرُ ما يُغَدِّيْهِ ويُعَشِّيْهِ**».

أَيُّها النَّاسُ من منَّا يرضَى لنفْسِهِ أو لأهْلِهِ أو لأَولادِهِ أو لِمَنْ يُعزُّ عليه هوانُهُ وذلَّتُهُ أَنْ يَلقى اللهَ وما على وجهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ.

---

(1) رَوَاهُ مسلمٌ (1044).

(2) «**صحيحٌ**» أخرجَهُ أحمدُ (4/180) بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (6280).

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[1] منْ حديثِ عبد اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «**لا تزالُ المسألَةُ بأحَدِكُمْ حتَّى يَلقى اللهَ وليس في وجهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ**».

أيُّهَا النَّاسُ النَّبيُّ ﷺ ضَمِنَ الجنَّةَ لَمَنْ لا يَسأَلُ النَّاسَ شيئًا.

ففي مُسْنَدِ أحمدَ وسُنَنِ أبي داودَ والنَّسَائيِّ بسنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ»[2] منْ حديثِ ثَوْبانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**مَنْ تكَفَّلَ -أَيْ ضَمِنَ- لي ألَّا يَسْأَلَ النَّاسَ شيئًا، وَأَتَكَفَّلُ لَهُ بالجَنَّةِ؟**».

فقال ثَوْبانُ: أَنَا. فكانَ لا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا.

فهذا الحديثُ -أَيُّهَا النَّاسُ- قَدْ جَمَعَ بينَ عِزِّ الدنْيا وشرفِ الآخِرَةِ

أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ جاءَهُ مِن هذا المالِ شيءٌ وهو غَيْرُ مُشْرِفٍ ولا متَطَلِّعٍ ولا سائلٍ فإنَّما هو رزقٌ ساقَهُ اللهُ إليهِ وما لا يكونُ كذلِكَ فلا يجوزُ أن تَتْبَعَهُ نَفْسُهُ.

ففي «الصَّحيحَينِ»[3] منْ حديثِ عُمَرَ بنِ الخطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُعْطيني العطاءَ، فأقولُ: أَعْطِهِ من هو أَفْقَرُ إليهِ مِنّي، فقال: «**خُذْهُ، إذا جاءَكَ مِن هذا المالِ شَيءٌ - وأَنْتَ غيرُ مُشْرِفٍ ولا سائلٍ - فَخُذْهُ، ومالا فلا تَتْبَعْهُ نَفْسُكَ**».

والإشْرافُ -أَيُّهَا النَّاسُ- هو التَعَرُّضُ للشَّيءِ والحِرْصُ عليهِ، ويَكونُ بالقلْبِ كما قال الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ اللَّهُ وقال: هو أَنْ يقُولَ مع نفسِهِ يبْعَثُ إليَّ فلانٌ بِكذا!

---

(1) رَواهُ البُخاريُّ (1474)، ومسلمٌ (1040).

(2) «**صحيحٌ**» أخرجَهُ أحمدُ (5/276، وأبو داودَ (1643)، والنسائيُّ (2591)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (6603، 6604).

(3) رَواهُ البُخاريُّ (1473)، ومسلمٌ (1045).

أيُّها النَّاسُ لقدْ كانَ العلماءُ فيما مَضى يُلَقِّنون طُلَّابَهُمْ حِفْظَ قصيدة الجُرْجانيِّ عليِّ بنِ عبدِ العَزيزِ في عِزَّةِ النفْسِ وهي قصيدةٌ طَبَقَتْ بشهرتِها الآفاقَ ولابُدَّ أن أُلْقِيهَا على مسامِعِكُمْ لما تحمِلُهُ من معانٍ ساميةٍ وأخلاقٍ رائدةٍ.

يقولـونَ لِي: فيـك انقبـاضٌ وإنَّمـا ○●○ رأَوْا رَجُلًا عن موقف الذُّلِّ أحْجَمَا

أرى النَّاسَ مَنْ داناهُمُ هَان عندهُمْ ○●○ وَمَـنْ أكرمَتْـهُ عِـزَّةُ الـنَّفْسِ أُكرِمـا

ولم أَقضِ حَقَّ العلمِ إن كُنْتُ كُلَّما ○●○ بـدا مَطْمَـعُ صَـيَّرتُهُ لِيَ سُلَّمـا

ومـا زِلـتُ مُنحـازًا بعِـرْضِيَ جانبًا ○●○ عـن الـذُّلِّ أعْتَـدُّ الـصِّيانةَ مَغْنَمـا

إذا قيل: هذا مَنْهَلٌ قُلْتُ: قد أَرَى ○●○ ولكـنَّ نَفْـسَ الحُـرِّ تَحْتَمِـلُ الظَّمَـا

أُنزِّهـا عـن بعـضِ مـا لا يَـشينُها ○●○ مخافـةَ أقـوالِ العِـدَا: فـيمَ أو لِمَـا؟

فأُصْبحُ عَنْ عَيْبِ اللئيم مُـسلَّما ○●○ وَقد رُحْتُ في نفس الكريمِ مُعَظَّما

وإني إذا مـا فـاتني الأمـرُ لَمْ أبِـتْ ○●○ أُقلِّـبُ كَفَّـيْ إثْـرَهُ مُتَنَـدِّما

ولكنَّـهُ إنْ جـاءَ عَفْـوًا قَبِلْتُـهُ ○●○ وإنْ مـالَ لم أُتْبِعْـهُ: هَـلَّا ولَيْتَمَـا

وأَقبضُ حَظْوي في حُظوظٍ كثيرةٍ ○●○ إذا لم أنَلْهـا وافِـرَ العِـرضِ مُكْرَمـا

وأُكْرِمُ نفسي أنْ أُضاحِكَ عابِسًا ○●○ وأن أتلَقَّـى بالمـديحِ مُـذَمَّما

وكـم طالـبٍ رَّقـى بـنُعْمَاهُ لم يَـصِلْ ○●○ إليـه، وإن كـانَ الـرئيسَ المُعَظَّمـا

وكم نعمةٍ كانت على الحُرِّ نِقْمَةً ○●○ وَكَـمْ مَغْـنمٍ يَعْتـدُّهُ الحُـرُّ مَغْرَمـا

ولم أبْتَذِلْ في خدمة العِلْمِ مُهْجتي ○●○ لأخْدُمَ من لاقَيْتُ لَكِنْ لأُخْدَما

أَأَشْـقَى بـه غَرْسًـا وأجنِيـهِ ذِلَّـةً؟! ○●○ إذًا فاتِّبَـاعُ الجَهْـلِ قَـدْ كـان أحْزَمـا

وإني لَـرَاضٍ عـن فتـىً مُتَعَفِّـفٍ ○●○ يَـرُوحُ وَيَغْـدُو لـيس يَمْلِكُ دِرْهمـا

يُبِيتُ يراعِي النَّجْمَ مِنْ سُوءِ حالِهِ ○●○ ويُـصْبِحُ طَلْقًـا ضـاحِكًا مُتبَـسِّمَا

ولا يَسْأَلُ الشْرِين ما بأكفِّهِمْ ○●○ ولو مات جُوْعًا عِفَّةً وتكرُّمَا
فإنْ قُلْتَ زَنْدُ العِلْمِ كابٍ، فإنَّما ○●○ كَبَاحِيْنَ لَمْ نَحْرُسْ حِمَاهُ وأَظْلَما
ولو أنَّ أهلَ العِلْمِ صَانوهُ صانَهُمْ ○●○ ولو عَظَّمُوه في النُّفوسِ لَعُظِّما
ولكنْ أهانُوهُ فَهَانُوا وَدَنَّسُوا ○●○ مُحَيَّاهُ بالأطماعِ حتَّى تَجَهَّما!
وما كُلُّ بَرْقٍ لاحَ لي يَستفِزُّني ○●○ ولا كلُّ من لاقَيْتَ أرضَاهُ مُنْعِمَا
ولكن إذا ما أَضْطَرَّني الضُّرُّ لم أَبِتْ ○●○ أُقلِّبُ فِكْري مُنْجِدًا ثُمَّ مُتْهما
إلى أن أرى ما لا أَغَصُّ بِذِكْرِهِ ○●○ إذا قلتُ: قَدْ أَسْدَى إليَّ وأنْعَمَا[1]

وأَسْتغْفِرُ اللهَ.

(1) أدبُ الدُّنيا والدِّينِ (83)، و«البدايةُ والنهايةُ» (11/ 355)، وخاصُّ الخاصِّ (228، 229).

الخُطْبَةُ الثّانيةُ ـ الاسْتِغْنَاءُ عَنِ النَّاسِ :

الْحَمْدُ للهِ ربِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمعِينَ.

أَمَّـا بَعدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ «**عِزَّةِ النَّفْسِ**» والآنَ حديثِي مَعَكُمْ عَنْ «**الاسْتغْناءِ عن النَّاسِ**».

أَيُّها النَّاسُ من عَلَتْ هِمَّتُهُ وارْتفَعَتْ نفسُهُ لَنْ يأكُلَ شيئًا إلا مِن عَرَقِ جَبِيْنِهِ ومن كسْبِهِ ومَنْ هانت نَفْسُهُ عليه فَمِنْ أَوساخِ النَّاسِ مَطْعَمُهُ ومشْرَبُهُ.

ففي «صحيحِ مسلمٍ»[1] منْ حديثِ عبد المطلبِ بن رَبيعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**إِنَّ هذِهِ الصَّدَقاتِ إِنَّما هي أوساخُ النَّاسِ، وإنها لا تَحِلُّ لمحمَّدٍ ولا لآلِ محمدٍ**».

وعلى هذا المنوالِ من العِزَّةِ سار الصَّحابَةُ الكرامُ بسيرَةِ نبيِّهمْ ﷺ .

فقد أَخْرجَ مالكٌ في المُوَطَّأِ بسنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ التَّرغيبِ»[2] منْ حديثِ أَسْلَمَ قال: قالَ لي عبْدُ اللهِ بنُ أَرْقَمَ: ادْلُلْني على بَعيرٍ من العطايا أَسْتَحْمِلَ عليه أَمِيرَ المؤمنين.

قلتُ: نَعَمْ جَمَلٌ من إِبِلِ الصَّدَقَةِ.

فقال عبدُ الله بنُ الأَرْقَمِ: أَتُحِبُّ لو أَنَّ رجُلًا بادِنًا في يومٍ حارٍّ غَسَلَ ما تحتَ إزارِهِ ورفغيه ثم أَعْطَاكَهُ فشَرِبْتَهُ.

قال: فغضبتُ وقلتُ: يغْفِرُ اللهُ لَكَ لِمَ تقولُ مِثلَ هذا لي؟

---

(1) رَواهُ مسلمٌ (1072).

(2) «**صحيحٌ**» الموطَّأُ (2/1001) الحديثُ (15)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ التَّرغيبِ» (1/198).

قال: إِنَّما الصَّدَقَةُ أوساخُ النَّاسِ يغْسِلونَها عَنْهُمْ.

أَيُّهَا النَّاسُ هنا مدْرسَةُ محمدٍ رسولِ اللهِ ﷺ.

ففي «الصَّحيحَينِ»[1] منْ حديثِ حكيم بنِ حِزامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سألتُ رسولَ اللهِ ﷺ فأَعْطاني، ثُمَّ سأَلْتُهُ فأَعْطاني، ثُمَّ سأَلْتُهُ فأَعْطاني، ثُمَّ قال: «**يا حكيمُ إنَّ هذا المالَ خضرةٌ حلوةٌ، فمَنْ أخَذَها بِسخَاوةِ نفسٍ بُورِكَ لَهُ فيه، ومن أَخَذَهُ بإشرافِ نَفْسٍ لم يُبَارَكْ لَهُ فيهِ كالَّذي يأكُلُ ولا يشْبَعُ. اليدُ العليا خَيْرٌ من اليَدِ السُّفلى**».

قال حكيمٌ: فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، والذي بَعَثَكَ بالحقِّ لا أَرْزَأُ أحدًا بعدَكَ شيئًا (أَيْ لا أسأَلُهُ من مالِهِ) حتَّى أُفَارقَ الدُّنيا.

فكانَ أبو بكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يدْعو حكيمًا إلى العطاءِ فيأبى أن يَقْبَلَهُ منهُ. ثُمَّ إنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دعاه ليُعْطِيَهُ فأبى أَنْ يقبَلَ منهُ شيئًا. فقال عُمَرُ: إني أُشْهِدُكم يا معْشَرَ المسلمين على حكيم أَنِّي أَعرِضُ عليه حقَّهُ من هذا الفَيْءِ فيأبى أَنْ يأخُذَهُ. فلم يرْزَأْ حكيمٌ أَحَدًا من النَّاس بعدَ رسُولِ اللهِ ﷺ حتَّى تُوُفِّيَ.

أَيُّهَا النَّاسُ الرزقُ مقسومٌ والقَدَرُ محسُومٌ فطوبى لمَنْ أَنْزَلَ حاجَتَهُ بالغَنيِّ الحَميدِ.

ففي سُنَنِ أبي داودَ بسَنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحيحَةِ»[2] منْ حديثِ ابنِ مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أصابَتْهُ فاقَةٌ فأَنْزَلها بالنَّاسِ لم تُسَدَّ فاقَتُهُ، ومَنْ أَنْزَلَهَا باللهِ أَوشَكَ اللهُ لَهُ بالغِنى، إما بمَوْتٍ عاجِلٍ أو غِنىً عاجلٍ**».

قال العبَّادُ ـ حفظه الله ـ: «قولُهُ: «**ومَنْ أَنْزَلَهَا باللهِ أَوشَكَ اللهُ لَهُ بالغِنى، إما بمَوْتٍ عاجِلٍ**» أي: بأَنْ يمُوتَ لَهُ قريبٌ لَهُ عندَهُ مالٌ فيَرِثَهُ، فيصيرَ إليهِ المالُ من جِهَةٍ

---

(1) رَواهُ البُخاريُّ (1429)، ومسلمٌ (1033).

(2) «**صحيحٌ**» أخرجَهُ أبو داودَ (1645)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحيحَةِ» (2787).

لم يفكِّرْ فيها، ولم تَقَعْ لَهُ على بالٍ بَلْ ساقَهُ اللهُ إليهِ من حيثُ لم يَحْتَسِبْ، «**أو بِغِنىً عاجلٍ**» أي: بأَنْ يُهيِّءَ اللهُ لَهُ الخَيْرَ، ويُهيِّءَ لَهُ الأسبابَ الَّتي تُوْصِلُهُ إلى الغِنى فيَحْصُلَ على الغِنى»[1].

أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا ما أَجْمَلَ القناعَةَ ففي التَّمَسُّكِ بها صيانَةُ النَّفْسِ.

ففي «صحيحِ مُسْلمٍ»[2] منْ حديثِ عبد اللهِ بنِ عُمَرو بنِ العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**قدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ ورُزِقَ كِفافًا وقنَّعَهُ اللهُ بما آتاهُ**».

أَيُّهَا النَّاسُ إذا اسْتغْنى النَّاسُ بالنَّاسِ فاسْتغْنُوْا أنتمْ باللهِ فمَنْ اسْتغنى باللهِ عَنِ النَّاسِ أغناهُ اللهُ.

ففي «الصَّحيحيْنِ»[3] منْ حديثِ أَبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ ناسًا من الأَنْصارِ سَأَلُوا رسولَ اللهِ ﷺ فأعْطاهُمْ ثُمَّ سألُوهُ فأعْطاهُمْ، حتَّى نَفِذَ ما عِندَهُ، فقالَ: «**ما يَكُنْ عِندي من خَيرٍ فلَنْ أَدَّخِرَهُ عنكم، ومَنْ يستعفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، ومَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، ومن يتَصَبَّرْ يصبِّرْهُ اللهُ، وما أُعْطِيَ أَحَدٌ عطاءً خَيْرًا وأوسَعَ من الصَّبْرِ**».

وفي «الصَّحيحَيْنِ»[4] منْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**ليْسَ الغنى عَنْ كَثْرَةِ العَرْضِ ولكِنَّ الغِنى غِنَى النَّفْسِ**».

قال السُيُوطيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قولُهُ: «**ولكِنَّ الغِنى غِنَى النَّفْسِ**» أَيْ الغِنى المحْمُودُ العظيمُ النافِعُ شِبَعُ النَفْسِ وقِلَّةُ حِرْصِها»[5].

---

(1) «شرحُ سُنَنِ أبي داودَ» للعبَّادِ ـ حفظه الله ـ (74/9).

(2) رَواهُ مسلمٌ (1054).

(3) رَواهُ البُخاريُّ (1469)، ومُسْلمٌ (1053).

(4) رَواهُ البُخاريُّ (6446)، ومسلمٌ (1051).

(5) «الدِّيبَاجُ على مسلمٍ» للسُّيوطيِّ (130/2).

أَيُّهَا النَّاسُ قَبْلَ أَنْ أُوَدِّعَ مَقامي هذا أُذَكِّرُكم بوَصِيَّةِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لرسولِ اللهِ ﷺ.

فقد أَخْرجَ الطَّبَرَانِيُّ في الأوسَطِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حسَّنَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ»[1] منْ حديثِ سَهْلِ بنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**أَتاني جِبْرِيْلُ فقالَ: يا محمَّدُ! عِشْ ما شِئْتَ فإنَّكَ مَيِّتٌ، وأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فإنَّكَ مفارِقُهُ، واعْمَلْ ما شِئْتَ فإنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، واعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ المؤمِنِ قيامُهُ باللَّيلِ، وعِزُّهُ اسْتِغْناؤهُ عَنِ النَّاسِ**».

اللَّهُمَّ إِنَّا نسْأَلُكَ الهُدَى والتُّقَى والعَفافَ والغِنى[2].

---

(1) «**حَسَنٌ**» أخرجَهُ الطبرانيُّ في «الأوسَطِ» (4/306)، وحسَّنَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (73).

(2) جاءَ ذلِكَ في «صحيحِ مُسْلمٍ» (2721) من حديثِ عبد اللهِ بنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قالَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدى والتُّقَى والعفَافَ والغِنى**».

24 مِنْ صفاتِ المْرأةِ المُسْلِمَةِ[1]

الخُطْبةُ الأُولى :

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران : 102).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا﴾ (النساء : 1).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب :70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ـ ﷺ ـ ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ ـ فحديثي معكُمْ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ عَنِ **«صِفاتِ المرأَةِ المُسْلِمَةِ»**.

أَيُّها النَّاسُ إن كان حديثُنا تسْمَعُهُ المرأة حَيْثُ كانَتْ فَنَقُولُ لها: «إِيَّاكِ أَعْنِيْ واسْمَعِيْ يا جارةُ» وإنْ كانت لا تَسْمَعُ فهنا الأَبُ وهنا الأَخُ وهنا الزَّوجُ وهنا الابْنُ فَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الغائِبَ.

---

(1) اسْتفدتُ في إعدادِ هذه الخُطْبَةِ من كتابِ «صِفاتِ المرأَةِ المسلمَةِ» لِأُمِّ أُسامَةَ بنتِ عليٍّ العبَّاسِيَّةِ ـ حفظها الله ـ .

وقَدْ قَالَ رسولُ الله ﷺ كما في «صحيحِ البُخاريِّ»[1] منْ حديثِ عبد اللهِ بنِ عُمَرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**».

وفي «الصَّحيحَيْنِ»[2] منْ حديثِ أَبي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «**لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغائِبَ**».

فمِنْ صِفاتِ المَرْأَةِ المُسْلِمَةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنْ تَكُونَ صالحَةً

لِقَولِ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿فَٱلصَّـٰلِحَـٰتُ قَـٰنِتَـٰتٌ حَـٰفِظَـٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ (النِّسَاءِ: 34).

وفي «صحيحِ مُسْلمٍ»[3] منْ حديثِ عبد اللهِ بنِ عُمَرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**الدُّنْيا مَتاعٌ، وخيرُ مَتاعِ الدُّنيا، المرأَةُ الصَّالِحَةُ**».

ومِنْ صِفاتِ المَرْأَةِ المُسْلِمَةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنْ تَكُونَ مُخْلِصَةً وصادِقَةً مَعَ اللهِ.

لِقَولِ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾ (الأَعْرَافِ: 29).

وفي «الصَّحيحَيْنِ»[4] منْ حديثِ عُمَرَ بْنِ الخطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّما الأَعْمالُ بالنِّيَّاتِ، وإِنَّما لِكُلِّ امْرِىءٍ ما نَوَى، فمَنْ كانَتْ هِجْرَتُهُ إلى اللهِ ورَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إلى اللهِ ورسولِهِ، ومَنْ كانتْ هجرتُهُ لِدُنيا يُصِيبُها، أَو امْرأَةٍ يُنْكِحُها، فَهِجْرَتُهُ إلى ما هَاجَرَ إِلَيْهِ**».

---

(1) رَواهُ البُخاريُّ (3461).

(2) رَواهُ البُخاريُّ (7447)، ومسلمٌ (1679).

(3) رَواهُ مسلمٌ (1467).

(4) رَواهُ البُخاريُّ (1)، ومسلمٌ (1907).

ومِنْ صِفاتِ المَرْأَةِ المُسْلِمَةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنْ تُؤْمِنَ بالقَضاءِ والقَدَرِ وأَنْ تَسْتَحْضِرَ ذلِكَ عِنْدَ كُلِّ مُلِمَّةٍ وكُلِّ نازِلَةٍ حتَّى الشَّوكَةُ تُصِيبُها.

لِقَولِ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ (التوبة : ٥١).

وقال اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (التغابن : ١١).

وفي «صحيحِ مُسْلمٍ»[1] منْ حديثِ عبد اللهِ بنِ عُمَرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حتَّى العَجْزُ والكَيْسُ**».

والعَجْزُ والكَيْسُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ ضِدَّانِ؛ فَنَشَاطُ النَّشِيطِ وَكَسَل الكَسُولِ وعَجْزُهُ كُلُّ ذلِكَ بِقَدَرٍ.

قال النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : «ومعْناهُ أَنَّ العاجِزَ قَدْ قُدِّر عَجْزُهُ والكَيِّسَ قَدْ قُدِّر كَيْسُهُ»[2].

ومِنْ صِفاتِ المَرْأَةِ المُسْلِمَةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنْ تَكُونَ تالِيَةً لِكتَابِ اللهِ.

لِقَولِ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ : ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ (الأحزاب : 34).

وفي «الصَّحيحَيْنِ»[3] منْ حديثِ سالمٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «**لا حَسَدَ إِلَّا في اثْنَتَيْنِ: رجلٌ آتاهُ اللهُ القُرآنَ، فهو يتْلُوهُ آناءَ اللَّيلِ وآناءَ النَّهارِ، ورجلٌ آتاهُ اللهُ مالًا فهوَ يُنْفِقُهُ آناءَ اللَّيلِ وآناءَ النَّهارِ**».

ومِنْ صِفاتِ المَرْأَةِ المُسْلِمَةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنْ تَكُونَ حريصَةً على طَلَبِ العلمِ النافِعِ.

---

(1) رَواهُ مسلمٌ (2655).

(2) «شَرْحُ النَّوَوِيِّ على مسلمٍ» (16/205).

(3) رَواهُ البُخاريُّ (7529)، ومسلمٌ (815).

لِقَولِ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ (المجادلة : ١١).

وقال اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ (طه : ١١٤).

قالَ الحافِظُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفَتْحِ»[1]: «قَوْلَهُ: ﴿زِدْنِى عِلْمًا﴾. واضِحُ الدَّلالَةِ في فَضْلِ العِلْمِ؛ لِأَنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ لم يَأْمُرْ نبيَّهُ ﷺ بطَلَبِ الازْدِيادِ مِن شَيْءٍ إلَّا مِنَ العِلْمِ، والمُرادُ بالعِلمِ العِلمُ الشَّرْعِيُّ الَّذِيْ يُفِيدُ مَعْرِفَةَ ما يَجِبُ على المكَلَّفِ من أَمْرِ عبادَتِهِ ومُعامَلاتِهِ، والعِلْمِ باللهِ وصفاتِهِ، وما يَجِبُ لَهُ مِن القِيامِ بأَمْرِهِ، وتَنْزِيْهِهِ عن النَّقَائِصِ، ومدارُ ذلكَ على التَّفسيرِ والحديثِ والفِقْهِ».

ومِنْ صِفاتِ المَرْأَةِ المُسْلِمَةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنْ تَكُونَ محافِظَةً على صَلاتِها.

لِقَولِ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ (المؤمنون : 9-11).

ومِنْ صِفاتِ المَرْأَةِ المُسْلِمَةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنْ تَكُونَ محافِظَةً على أَداءِ زكاةِ مالِها.

لِقَولِ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ (الأحزاب : 33).

ومِنْ صِفاتِ المَرْأَةِ المُسْلِمَةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ المحافَظَةُ على الأَذْكارِ.

لِقَولِ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ (الأحزاب : 35).

ففي «صَحيح مُسلم» منْ حديثِ أَبي هُرَيرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ: كانَ رسُولُ اللهِ ﷺ يَسِيْرُ في طريقِ مَكَّةَ فمرَّ على جَبَلٍ يُقالُ لَهُ جُمْدَانُ، فقالَ: «**سِيرُوا هذا جُمْدَانُ، سَبَقَ المُفَرَّدُوْنَ**». قالوا: وما المُفَرَّدُونَ؟ يا رسولَ اللهِ، قال: «**الذَّاكِرُونَ اللهَ كثيرًا والذَّاكِراتُ**».

---

(1) «فَتْحُ البَارِيْ» (1/187).

ومِنْ صِفاتِ المَرْأَةِ المُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِكْرامُ الضَّيْفِ.

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[1] منْ حديثِ أَبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «**مَنْ كان يُؤْمِنُ باللهِ واليوم الآخِرِ فلا يُؤْذِيْ جارَهُ، ومَنْ كانَ يؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، ومن كانَ يؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فلْيَقُلْ خيرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**».

وفي «الصَّحيحَيْنِ»[2] منْ حديثِ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رجلًا أتى النَّبيَّ ﷺ فَبَعَثَ إلى نِسائِهِ فَقُلْنَ ما مَعْنا إلَّا الماءُ! فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**مَنْ يَضُمُّ**» أو «**يُضيفُ هذا؟**»، فقال رَجُلٌ من الأَنْصارِ: أَنا، فانْطَلَقَ بِهِ إلى امْرَأَتِهِ، فقالَ: أَكْرِمِيْ ضَيْفَ رسُولِ اللهِ ﷺ ، فقالتْ: ما عِندنَا إلَّا قُوتُ صِبْيَاني. فقالَ: هَيِّئِيْ طعامَكِ وأَصْبِحِيْ سِرَاجَكِ ونَوِّمِي صِبْيانَكِ إذا أَرادُوا عشاءً. فَهَيَّئَاتْ طعامَها وأَصبحَتْ سِراجَها ونوَّمتْ صِبيانَها، ثُمَّ قامتْ كأَنَّهَا تُصْلِحُ سِراجَهَا فأَطْفَأَتْهُ، فجعلا يُريانِهِ أَنَّهما يأكُلانِ، فباتا طاوِيَيْن، فلمَّا أصبحَ غَدا إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقالَ: «**ضَحِكَ اللهُ اللَّيلَةَ**» أو «**عَجَبًا فعالِكُمَا**»، فأَنْزَلَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الحشر: 9).

أَيُّهَا النَّاسُ لَعَلَّكُمْ تُحِبُّونَ أن تَعْرِفوا مَنِ الصَّحابيُّ ومَنْ الصَّحابيَّةُ اللَّذانِ أُعْجِبَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - من فِعالِهما فالصحابيُّ هو أبو طلحَةَ والصحابيَّةُ هي أُمُّ سليمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ومِنْ صِفاتِ المَرْأَةِ المُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - طاعَتُها لزَوْجِها.

لِقَولِ اللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ (النساء: 34).

---

(1) رَواهُ البُخاريُّ (6136)، ومسلمٌ (47).

(2) رَواهُ البُخاريُّ (3798)، ومسلمٌ (2054).

قال الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿قَٰنِتَٰتٌ﴾، يَعْني: مُطيعاتٌ للهِ ولأَزْواجِهِنَّ»[1].

وأخْرَجَ ابن حِبَّانَ في صحيحهِ بسنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[2] منْ حديثِ أبي هُريرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «**إذا صَلَّتِ المرأَةُ خَمْسَها، وصامتْ شَهْرَها، وحصَّنَتْ فَرْجَها، وأطاعَتْ بَعْلَها، دَخَلَتْ من أيِّ أبوابِ الجَنَّة شاءَتْ**».

وأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

(1) «تفسيرُ الطَّبَرِيِّ» (6/691).

(2) «**صحيحٌ**» أخرجَهُ ابنُ حِبَّانَ في صحيحِهِ (4163)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (660).

الخُطْبةُ الثّانيةُ ـ مِنْ صفاتِ المْرأةِ المُسْلِمَةِ :

الْحَمْدُ للهِ ربِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أَمَّـا بَعدُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ ما زالَ الحديثُ مَعَكمْ عَنْ «**صفاتِ المرأَةِ المسلمَةِ**».

أَيُّها النَّاسُ الحديثُ عن صفاتِ المرأَةِ المسلمَةِ ذو شُجُونٍ؛ لأَنَّها قَلْبُ الأُسْرةِ تصلُحُ الأُسرةُ بصَلاحِها وبِفَسَادِهَا تُفْسِدُ.

فمِن صِفاتِ المْرأَةِ المُسْلِمَةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ حُسْنُ الخُلُقِ.

ففي مُسْنَدْ أحمدَ بسَندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامعِ»[1] منْ حديثِ أبي هُرَيرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ : «**أكمَلُ المؤْمنينَ إيمانًا أحسَنُهُمْ خُلُقًا وخيارُكمْ خيارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ**».

ومِنْ صِفاتِ المْرأَةِ المُسْلِمَةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ حِفْظُ لِسانِها عن الكلَامِ في الآخَرِينَ.

قال اللهُ ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ١٢﴾ (الحُجُرَات : 12).

وفي «الصَّحيحينِ»[2] منْ حديثِ عبد اللهِ بنِ عُمَرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «**المُسْلِمُ من سَلِمَ المسلمون من لِسَانِهِ ويَدِهِ والمهاجِرُ من هَجَرَ ما نهى اللهُ عَنْهُ**».

ومِنْ صِفاتِ المْرأَةِ المُسْلِمَةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ حِفْظُ لِسانِها وأَنْ لا تَكُونَ لَعَّانَةً ولا شَتَّامَةً.

---

(1) «**صحيحٌ**» أخرجَهُ أحمدُ (2/250، 472)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (1232).

(2) رَواهُ البُخاريُّ (10)، ومسلمٌ (40).

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[1] منْ حديثِ أبي سعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: خَرَجَ رسُولُ اللهِ ﷺ في أَضْحى أَوْ فِطْرٍ إلى المُصَلَّى، فَمَرَّ على النِّساءِ، فقالَ: «**يا معشَرَ النِّساء! تَصَدَّقْنَ فإنِّي رأيتُكُنَّ أكثَرَ أهلِ النَّارِ**»، فقُلْنَ: وبِمَ يا رسولَ الله؟! قالَ: «**تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وتكفُرْنَ العَشيرَ**»

وفي «صحيحِ مسلمٍ»[2] منْ حديثِ أبي الدَّرْداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ، ولا شُهَدَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ**».

ومِنْ صِفاتِ المَرْأَةِ المُسْلِمَةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أن تَكُونَ معلِّمَةً واعِظَةً.

لِقَولِ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ (التوبة: 71).

وفي سُننِ التِّرمِذيِّ بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «الإرواءِ»[3] من حديثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالتْ: «مُرْنَ أزواجَكُنَّ أَنْ يسْتَطِيبُوا بالماءِ فإنِّي اسْتَحْيِيهِمْ فإِنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ يَفْعَلُهُ».

ومعنى قولِها «يسْتَطِيبُوا بالماءِ» أَي يغسلُوا عَنْهُمْ أَثَرَ البَولِ والغائِطِ.

ومِنْ صِفاتِ المَرْأَةِ المُسْلِمَةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ السُّؤالُ عن أُمورِ دِينِها وأَنْ لا تَشْغَلَ نَفْسَها بالسؤالِ عن المُوضاتِ.

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[4] من حديثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت لا تَسْمَعُ شَيْئًا لا تعْرِفُهُ إلَّا راجَعَتْ فيه حتَّى تعْرِفَهُ وأَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ**».

---

(1) رَواهُ البُخاريُّ (304)، ومسلمٌ (80).

(2) رَواهُ مسلمٌ (2598).

(3) «**صحيحٌ**» أخرجَهُ التِّرمِذِيُّ (19)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «الإرواءِ» (42).

(4) رَواهُ البُخاريُّ (103)، ومسلمٌ (2876).

قالتْ عائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : أَوَ لَيسَ يقولُ اللهُ ـ تَعَالَى ـ : ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ ؟

قالتْ: فقالَ: «**إِنَّما ذَلِكَ العَرْضُ ولكنْ مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ يَهْلَكْ**».

فدلَّ الحديثُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ كما قالَ الحافِظُ: «ما كانَ عِندَ عائِشَةَ من الحِرْصِ على تَفَهُّمِ مَعاني الحديثِ، وأَنَّ النَّبيَّ ﷺ لمْ يكُنْ يَتَضَجَّرُ مِنَ المُراجَعَةِ في العِلْمِ».

بَلْ إِنَّ نساءَ الصحابَةِ كُنَّ يَسْأَلْنَ النَّبيَّ ﷺ عن دقائِقِ الأُمُورِ فَضْلًا عن جَلِيلِها.

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[1] من حديثِ أُمِّ سلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالتْ: جاءَتْ أُمُّ سليمٍ إلى رسولِ اللهِ فقالتْ: يا رسولَ اللهِ! إِنَّ اللهَ لا يَسْتَحِيْ من الحقِّ فهَلْ على المرأَةِ من غُسُلٍ إذا احْتلَمَتْ؟ قال النَّبيُّ ﷺ : «**إذا رَأَتِ الماءَ**». فَغَطَّتْ أُمُّ سَلَمَةَ، تعنيْ: وَجْهَهَا، وقالتْ: يا رسولَ اللهِ! وَتَحْتَلِمُ المرأَةُ؟ قالَ: «**نَعَمْ، تَرِبَتْ يَمينُكِ، فَبِمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا**».

ومِنْ صِفاتِ المْرأَةِ المُسْلِمَةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ سُرْعَةُ الاستجابَةِ لأَمْرِ اللهِ وأمرِ رسولِهِ ﷺ .

ففي «صحيحِ البُخاريِّ»[2] من حديثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالتْ: يَرْحَمُ اللهُ نِساءَ المهاجراتِ الأُوَلِ، لمَّا أَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ . شَقَقْنَ مرُوطَهُنَّ فاخْتَمَرْنَ بِها.

قال الحافِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ : «قولُهُا فاخْتَمَرْنَ ، أي: غَطَّيْنَ وُجُوهَهُنَّ»[3].

قال الشَّنْقِيطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : «هذا الحديثُ الصحيحُ صريحٌ في أَنَّ النِّسَاءَ الصَّحابيَّاتِ المْذكُوراتِ فيهِ فَهِمْنَ أَنَّ معنى قولِهِ تعالى: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ . يقْتَضِيْ

(1) رَواهُ البُخاريُّ (130)، ومسلمٌ (313).

(2) رَواهُ البُخاريُّ (4758)، (4759).

(3) «الفَتحُ» (8/490).

سَتْرَ وجوهِهِنَّ وأَنَّهُنَّ شققْنَ أُزُرَهُنَّ، فاخْتمرْنَ، أَيْ: سَتَرْنَ وجُوهَهُنَّ بها امْتثالًا لأمرِ اللهِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾. المقتضَى سَتْرُ وُجُوهِهِنَّ»[1].

وأخرجَ ابنُ أبي حاتمٍ في «تفسيرِهِ» بسندٍ حَسنٍ لِغَيْرِهِ من حديثِ صَفِيَّةَ بنتِ شَيْبَةَ قالتْ: بينما نَحْنُ عندَ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالتْ: وذَكَرَتْ قُرَيْشُ وفَضْلَهُنَّ، فقالتْ: إِنَّ لِنسَاءِ قُرَيشٍ لَفَضْلًا، وإِنِّي واللهِ ما رأَيْتُ أفضَلَ من نِساءِ الأنصارِ أشَدَّ تصْدِيقًا بكتابِ اللهِ، ولا إِيمانًا بالتنْزِيلِ لَقَدْ أُنْزِلَتْ سُورَةُ النُّورِ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ . انْقَلَبَ رجالُهُنَّ إليهِنَّ يَتْلُونَ عليهِنَّ ما أُنْزِلَ إليهِنَّ فِيها، ويتلُو الرجُلُ على امْرأَتِهِ وابْنَتِهِ وأُخْتِهِ، وعلى كُلِّ ذي قرابتِهِ ما منْهُنَّ امرأَةٌ إلَّا قامَتْ إلى مِرْطِها المرَحَّلِ فاعْتَجَرَتْ بِهِ تصدِيقًا وإِيمانًا بما أَنْزَلَ اللهُ من كتابِهِ فأصبَحْنَ يُصَلِّيْنَ وراءَ رسولِ اللهِ الصُّبحَ معْتَجِراتٍ كأَنَّ على رؤسِهِنَّ الغِربَانَ[2].

ومعنى «معْتجِراتٌ» - أَيُّهَا النَّاسُ - أي مُختمراتٌ كما تقدَّم في «صحيحِ البُخاريِّ».

أَيُّهَا النَّاسُ أَلا ما أشدَّ سُرعَةَ استجابَةِ نِساءِ الصحابَةِ لأمْرِ الله وأمرِ رسولِ اللهِ ﷺ .

ألا ما أَشَدَّ حِرصَ الصحابَةِ على تعليمِ أَهلِهِمْ العِلْمَ.

دلَّ على ذلكَ قولُ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : انقلَبَ رجالُهُنَّ إِليهِنَّ يتلُونَ عليهِنَّ ما أُنزِلَ إليهِنَّ فيها، ويتْلُو الرجلُ على امرأتِهِ وابنتِهِ وأختِهِ، وعلى كُلِّ ذِيْ قرابتِهِ!

ربَّنا هَبْ لنا من أَزْواجِنا وذريَّاتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ واجعَلْنا للمتَّقِينَ إمامًا.

---

(1) «أضواءُ البيانِ» (6/594).

(2) «حسنٌ لغَيْرِه» أخرجَهُ ابنُ أبي حاتمٍ في «تفسيرِهِ» (8/2575)، وفي سندِهِ: مسلمُ بنُ خالدٍ الزِّنجِيُّ، لكنَّهُ متابَعٌ، تابَعَهُ داودُ بنُ عبدِ الرَّحمنِ، ومُعَمَّرُ، وإبراهيمُ بنُ مهاجِرٍ بنحوِهِ مُختصرًا، وأَصلُ الحديثِ في البُخاريِّ (4759) بإفادَةِ «حجابِ المرأَةِ» (ص43) للرَّازِحِيِّ.

25 من آدابِ النَّوْمِ

الخُطْبَةُ الأُولى :

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ (آل عمران : 102).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ (النساء : 1).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب :70 - 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ ـ فحديثي معكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنِ **«آدابِ النَّومِ»**.

أَيُّهَا النَّاسُ النومُ آيةٌ من آياتِ اللهِ.

قال اللهُ ـ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ ـ : ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٢٣﴾ (الروم : 23).

وآياتُهُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ هي حُجَجُهُ وبراهينُهُ الدالَّةُ على قدرَتِهِ على البَعْثِ والجَزاءِ[1].

(1) انظرْ «أيسرُ التفاسيرِ» للجزائريِّ (4/ 169).

ومن دلائِلِ هذه القُدْرَةِ أَنْ جعلَ اللهُ النَّومَ راحةً لكمْ في اللَّيلِ أو النَّهارِ إذ في النَّومِ حصولُ الراحَةِ وذَهابُ التَّعَبِ، وجَعَلَ لكمُ النَّهارَ تَنْتَشِرونَ فيهِ لِطَلَبِ الرِّزْقِ إنَّ في ذلِكَ لدلائِلَ على كمالِ قدرَةِ اللهِ ونفوذِ مَشِيئَتِهِ لِقومٍ يسْمعُونَ المواعِظَ سماعَ تَأَمُّلٍ وتفكُّرٍ واعْتبارٍ[1].

قال القشيريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «غلبَةُ النَّومِ لصاحِبِهِ من غَيرِ اخْتيارٍ، وانْتباهُهُ بِلا اكْتِسابٍ يدُلُّ على موتِهِ ثُمَّ بعْثِهِ في حالِ منامِهِ يرَى ما يسُرُّهُ وما يَضرُّهُ يدُلُّ على حالِهِ في قَبْرِهِ، اللهُ أعلمُ كيفَ حالُهُ، أَمْرُهُ فيما يلقَاهُ من خَيرٍ وشَرٍّ»[2].

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ للنَّومِ آدابًا قَلَّ مَنْ يعْمِلُ بِها وإِنْ أَخَذَ بعضُ النَّاسِ بعضَهُ فَقَدْ تَرَكَ كَثيرًا منْهُ والموفَّقُ من وفَّقَهُ اللهُ.

فمن تلكَ الآدابِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ التَّبْكِيرُ في النَّومِ.

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[3] منْ حديثِ أَبي بَرْزَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يكْرَهُ النَّومَ قبلَ العِشاءِ والحَدِيثَ بَعْدَها.

والتَّبكيرُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ قَدْ أصبحَ عندَ كثيرٍ من الناسِ سُنَّةً مهْجورَةً وخاصَّةً بعد ظُهورِ التِّلفازِ وقد عَلِمَ الجميعُ أَنَّ الخيرَ والبركَةَ في الاتِّباعِ.

فها هو العلمُ الحديثُ يُثْبِتُ للجميعِ أَنَّ أفضَلَ أوقاتِ النَّومِ ما كانَ بعدَ صلاةِ العِشَاءِ وأَنَّ السَّاعَةَ من النَّومِ في أَوَّلِ اللَّيلِ تعادِلُ ساعتَين من آخِرِهِ ولا تَقُوْمُ مقامَها ساعَةٌ من نومِ النَّهارِ.

---

(1) انظرْ «التفسيرُ الميسَّرُ» (7/206).

(2) انظرْ «البحرُ المديدُ» لابنِ عَجِيْبَةَ (5/512).

(3) رَواهُ البُخاريُّ (568) واللَّفْظُ لَهُ، ومسلمٌ (647) بنحْوِهِ.

وما الحكمَةُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ من التَّبْكِيْرِ؟ أليسَ كُلُّ مسلمٍ لَهُ موعِدٌ مَعَ الرَّبِّ حينَ يَبْقى ثُلُثُ اللَّيلِ الآخِرُ.

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[1] منْ حديثِ أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَنْزِلُ ربُّنا ـ تبارَكَ وتَعَالَى ـ كُلَّ لَيلَةٍ إلى السماءِ الدُّنيَا حينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيلِ الآخِرُ فيقولُ: مَنْ يدعُوني فأسْتَجِيبَ لَهُ، من يسألُني فأُعْطِيَهُ من يسْتغْفِرُني فأغْفِرَ لَهُ**».

أليسَ من العارِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أن يسْهَرَ أَحَدُنا على التِّلفازِ أو نحوِهِ من أُمورِ الدنيا ثُمَّ ينامُ عن هذا الخَيْرِ العَظِيمِ وربَّما نامَ أَحَدُنا فلم يستيقِظْ إلَّا في القَبْرِ كما هو حالُ بَعْضِ النَّاسِ، فكيفَ بِكَ ـ يا عبدَ اللهِ ـ لو نمْتَ على نيَّةِ القِيامِ لطَلَبِ المَعاشِ فإذا أمامَكَ منكرٌ ونَكِيرٌ بعدَ أَنْ تُضَمَّ ضَمَّةً لا ينجو منها أحدٌ إلا مَن شاءَ اللهُ.

وما يَضُرُّكَ لو نمْتَ على نيَّةِ لقاءِ الرَّبِّ ـ جلَّ جلالُهُ ـ فإنَّكَ إنْ قُمْتَ قُمتَ على خَيْرٍ وإن مِتَّ مِتَّ على نيَّةٍ صالحَةٍ وخاتمَةٍ حَسَنَةٍ ـ إنْ شاءَ اللهُ ـ.

ففي سُنَنِ ابنِ ماجةَ بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ التَّرغيبِ»[2] منْ حديثِ أبي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «**من أَتَى فِراشَهُ وهو يَنْوِيْ أن يقومَ يُصلي من اللَّيلِ فَغَلَبَتْهُ عيناهُ حتَّى أصْبَحَ، كُتِبَ لَهُ ما نَوى وكان نومُهُ صَدَقَةً عليهِ مِنْ ربِّهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ**».

ومن آدابِ النَّومِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ الوُضُوءُ حتَّى ولو كان جُنُبًا.

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[3] منْ حديثِ البَراءِ بنِ عازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «**إذا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوضَّأْ وُضُوءَكَ للصَّلاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ على شِقِّكَ الأَيمَنِ ثُمَّ**

---

(1) رَواهُ البُخاريُّ (1145)، ومسلمٌ (758).

(2) «**صحيحٌ**» أخرجَهُ ابنُ ماجَةَ (1344)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ التَّرغيبِ» (19)، (600).

(3) رَواهُ البُخاريُّ (247) واللَّفظُ لَهُ، ومسلمٌ (2710).

قُل: اللَّهُمَّ أَسْلَمتُ وجْهِيْ إليْكَ، وفوَّضْتُ أمْري إليكَ، وأَلجأْتُ ظَهْرِي إليْكَ رَغْبَةٌ ورَهْبَةً إِليكَ، لا مَلْجَأَ ولا مَنْجا إلَّا إليكَ اللَّهُمَّ آمنْتُ بكتابِكَ الَّذيْ أَنْزَلْتَ، وبنبيِّكَ الذي أرْسَلْتَ، فإِن مِتَّ مِن ليلَتِكَ مِتَّ على الفِطْرَةِ واجْعَلْهُنَّ آخِرَ ما تتكلَّمُ بِهِ».

وما يَضُّرك ـ يا عبدَ اللهِ ـ أَنْ يَبِيْتَ مَعَكَ مَلَكٌ يَستغفِرُ لَكَ بِسَبَبِ طهارتِكَ فذلِكَ لَكَ.

ففي «مواردِ الظَّمآنِ» لابنِ حِبَّانَ بسندٍ حَسَنٍ لغيرِهِ حسَّنَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ التَّرغِيبِ»[1] منْ حديثِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ باتَ طاهِرًا، باتَ في شِعارِهِ مَلَكٌ، فلَمْ يستيقِظْ إلا قالَ المَلَكُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لعَبْدِكَ فُلانٍ، فإِنَّهُ باتَ طاهِرًا**».

والشِّعارُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ هو ما يلي بَدَنَ الإنسانِ من ثوبٍ وغيرِهِ.

ومن آدابِ النَّومِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ الوِتْرُ لِمَنْ خَشِيَ فَواتَهُ.

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[2] منْ حديثِ أبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: أَوْصاني خَليليْ ﷺ بثلَاثٍ: بصيامِ ثلاثَةِ أيامٍ من كُلِّ شهْرٍ وركْعَتَيْ الضُّحى وأَنْ أُوتِرَ قبلَ أَنْ أرقُدَ.

ومن آدابِ النَّومِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ إِطْفاءُ النارِ وتخْميرُ الإِناءِ وإغلاقُ الأَبْوابِ.

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[3] منْ حديثِ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**أَطْفِئُوْا المَصَابِيحَ إذا رَقَدْتُمْ وغَلِّقُوا الأَبْوابَ وأَوْكُوا الأَسْقِيَةَ وخَمِّروا الطَّعامَ والشَّرابَ ـ وأَحْسَبُهُ قال: وَلَوْ بِعُودٍ تُعَرِّضُهُ عليهِ**».

---

(1) **«حسنٌ لغَيرِه»** أخرجَهُ ابنِ حِبَّانَ في «مواردِ الظَّمآنِ» (167)، وقال الأَلبانيُّ في «صحيحِ التَّرغيبِ» حَسَنٌ لغَيْرِهِ.

(2) رَواهُ البُخاريُّ (1178) واللَّفظُ لَهُ، ومسلمٌ (721).

(3) رَواهُ البُخاريُّ (5624)، ومسلمٌ (2012).

ومن آدابِ النَّومِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ نَفْضُ الفِراشِ والتَّسمِيَةُ.

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[1] منْ حديثِ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَالله عَنهُ قالَ: قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**إذا أَوَى أَحَدُكُمْ إلى فِراشِهِ فلْيَأْخُذْ داخِلَةَ إِزارِهِ فَلْيَنْفُضْ بها فِراشَهُ وَلْيُسَمِّ اللهَ؛ فإنَّهُ لا يعْلَمُ ما خَلَفَهُ بَعْدَهُ على فِراشِهِ**».

فهذا النَّفْضُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ يكُونُ في أَوَّلِ النَّومِ لَكِنَ متى نامَ الرَّجُلُ ثُمَّ قامَ لحاجَتِهِ وأرادَ أن يَرْجِعَ إلى فراشِهِ فلينْفُضْهُ مَرَّةً ثانيةً وهكذا.

ففي سُنَنِ الترمِذِيِّ بسَندٍ حَسَنٍ حسَّنَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ»[2] منْ حديثِ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَالله عَنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**إذا قامَ أَحَدُكم عن فراشِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إليه فلْيَنْفُضْهُ بصَنْفَةِ إزارِهِ ثلاث مرَّاتٍ، فإنَّهُ لا يَدْرِيْ ما خَلَفَهُ عليهِ بعدَهُ، فإذا اضْطَجَعَ فلْيَقُلْ، باسْمِك رَبِّي وضَعْتُ جَنبي وبِكَ أرفَعُهُ، فإنْ أَمْسَكْتَ نفسي فأرْحَمْها، وإنْ أرْسَلْتَها فاحْفَظْها بما تحفَظُ بِهِ عِبادَك الصَّالحينَ، فإذا اسْتيْقَظَ فلْيَقُلْ: الحمدُ للهِ الَّذِي عَافاني في جَسدِي وردَّ عَليَّ روحي وأَذِنَ لي بذكْرِهِ**».

وصَنْفَةُ الإزارِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ هو شقُّهُ أَيَّ جانِبٍ كانَ.

ومن آدابِ النَّومِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ كتابَةُ الوَصِيَّةِ.

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[3] منْ حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَالله عَنهُمَا قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**ما حَقُّ امْرِىءٍ مسلمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِيْ فيه يَبِيْتُ ليلَتَينِ إلّا ووصَيَّتُهُ مكتُوبَةٌ عندَ رأْسِهِ**».

ومن آدابِ النَّومِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ النَّومُ على الشِّقِّ الأَيمَنِ ووضعُ اليَدِ تحتَ الخَدِّ.

---

(1) رَواهُ البُخاريُّ (6320)، ومسلمٌ (2714).

(2) «**حَسَنٌ**» أخرجَهُ التِّرمِذِيُّ (3401)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ التِّرمذِيِّ» (2707).

(3) رَواهُ البُخاريُّ (2738)، ومسلمٌ (1627).

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[1] منْ حديثِ البَرَاءِ بنِ عَازبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**إذا أَتَيْتَ مضْجَعَكَ فتوضَّأْ وُضُوءَكَ للصَّلاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ على شِقِّكَ الأيمَنِ**».

وفي «صحيحِ البُخاريِّ»[2] منْ حديثِ حُذَيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: كانَ النَّبيُّ ﷺ إذا أَخَذَ مَضْجَعَهُ من اللَّيلِ، وَضَعَ يَدَهُ تحتَ خَدِّهِ ثُمَّ يقولُ: «**اللَّهُمَّ باسمِكَ أموتُ وأَحْيا**»، وإذا اسْتيقَظَ، قال: «**الحمدُ للهِ الذي أَحْيانا بعدَ ما أماتَنا وإليْهِ النُّشُورُ**».

ومن آدابِ النَّومِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ كَرَاهَةُ النَّومِ على البَطْنِ

ففي سُنَنِ ابنِ ماجَةَ بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ ابنِ ماجةَ»[3] منْ حديثِ أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: مَرَّ بِيَ النَّبيُّ ﷺ وأَنا مضْطَجِعٌ على بَطْني فَرَكَظَني برِجْلِهِ وقال: «**يا جُنَيدِبُ، إنَّمَا هذِهِ ضَجْعَةُ أَهلِ النَّارِ**».

ومن آدابِ النَّومِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ قراءَةُ بَعْضِ الأدْعِيَةِ والأَذْكارِ.

ففي سُنَنِ أبي داودَ بسنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ»[4] منْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**من اضْطَجَعَ مَضْجَعًا لَا يَذكُرُ اللهَ ـ تَعَالَى ـ فيهِ إلا كانَتْ عليهِ من اللهِ تِرَةٌ**». أَيْ ندامةٌ.

ومن آدابِ النَّومِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ قراءَةُ آيَةِ الكُرْسِيِّ.

ففي «صحيحِ البُخاريِّ»[5] منْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطَّويلِ قالَ: قالَ الشَّيطَانُ إذا أَوَيْتَ إلى فراشِكِ فاقرأْ آيَةَ الكُرسِيِّ لَنْ يزَالَ عليكَ من اللهِ حافِظٌ ولا يَقْرَبْكَ شَيطانٌ حتَّى تُصْبِحَ. فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «**صَدَقَكَ وهو كَذُوبٌ، ذاكَ شَيطانٌ**».

---

(1) رَواهُ البُخاريُّ (247) واللَّفْظُ لَهُ، ومسلمٌ (2710).

(2) رَواهُ البُخاريُّ (6314).

(3) «**صحيحٌ**» أخرجَهُ ابنُ ماجةَ (3714)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ ابنِ ماجَةَ» (3001).

(4) «**صحيحٌ**» أخرجَهُ أبو داودَ (5059)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (6477).

(5) رَواهُ البُخاريُّ (2311).

ومن آدابِ النَّومِ - أَيُّهَا النَّاسُ - قِراءَةُ سُورَةِ الإِخْلاصِ والمعوَّذَتَيْنِ والنَّفْثُ بها.

ففي «صحيحِ البُخاريِّ»[1] من حديثِ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالتْ: كَانَ النَّبيُّ ﷺ إذا أَوَى إلى فِراشِهِ كُلَّ لَيلَةٍ جَمَعَ كفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فيهما فَقَرَأَ فيهما ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ثُمَّ يَمْسَحُ بهما ما اسْتَطاعَ من جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بهما على رَأْسِهِ ووجْهِهِ وما أقْبَلَ من جَسَدِهِ يفْعَلُ ذلِكَ ثلاثًا.

قال ابنُ عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «النَّفْثُ هو النَّفْخُ مع رِيْقٍ يَسِيرٍ ثُمَّ يَقرأُ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، يَمْسَحُ بهما أَيْ بيدَيْهِ ما اسْتطاعَ من جَسَدِهِ يبدَأُ برأْسِهِ ومِقْدامِ جَسَدِهِ ثلاثَ مرَّاتٍ»[2].

ومن آدابِ النَّومِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يُكبِّرَ اللهَ أَربعًا وثَلاثِينَ ويُسَبِّحَ اللهَ ثَلاثًا وثلاثِين ويَحْمَدَ اللهَ ثَلاثًا وثلاثين.

ففي «الصَّحيحَينِ»[3] منْ حديثِ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ فاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا شَكَتْ ما تَلْقَى من أَثَرِ الرَّحى فَأُتِيَ النَّبيُّ ﷺ بِسَبْيٍ فانطَلَقَتْ فلَمْ تَجِدْهُ فوَجَدَتْ عائِشَةَ فَأَخْبَرَتْها فلما جاءَ النَّبيُّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ عائِشةُ بمَجيءِ فاطِمَةَ فجاءَ النَّبيُّ ﷺ إلينا وقدْ أخَذْنا مَضَاجِعَنا، فَذَهَبْتُ لأَقُومَ، فقالَ: «**على مكانِكما**» فَقَعَدَ بيْنَنا حتى وجَدْتُ بَرْدَ قدمَيْهِ على صَدْرِيْ وقال: «**أَلا أُعَلِّمُكُما خيرًا مِمَّا سأَلْتُماني؟ إذا أَخَذْتُما مضَاجِعَكُما تُكَبِّرَانِ أَرْبعًا وثلاثِين وتُسَبِّحانِ ثَلاثًا وثلاثين وتَحْمَدَانِ ثَلاثًا وثلاثينَ، فهُوَ خَيرٌ لكما من خادِمٍ**».

---

(1) رَواهُ البُخاريُّ (5017).

(2) «شَرْحُ رياضِ الصَّالِحين» (1/1676).

(3) رَواهُ البُخاريُّ (3705)، ومُسلمٌ (2727).

ووجه الخيرية في الحديثِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ كما قال صاحب شرح مشكاة المصابيح إما أن يراد به أن يتعلقَ بالآخِرةِ والخادمُ بِالدنيا والآخرة خير وأبقى.

وإما أن يراد بالنسبة إلى ما طلبته بأن يحصل لها بسبب هذه الأذكار قوة تقدر على الخدمة أكثر مما يقدر الخادم عليه[1].

وأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

---

(1) «مرعاة المفاتيح بشرحِ مشكاة المصابيح» (8/263).

الخُطْبةُ الثّانيةُ ـ آدابِ الاسْتِيقَاظِ مِن النَّومِ :

الْحَمْدُ للهِ ربِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أَمَّا بَعدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ «**بعْضِ آدابِ النَّومِ**» والآنَ حديثِي مَعَكُمْ عَنْ «**شَيْءٍ من آدابِ الاسْتيقاظِ**».

فمِنْ آدابِ الاستيقاظِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ البَدْأُ بالسِّواكِ.

ففي «الصَّحيحَيْنِ» [1] من حديثِ حُذَيْفَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رسولُ اللهِ ﷺ كانَ إذا قَامَ من الَّيْلِ يَشُوْصُ فاهُ بالسِّواكِ.

ومِنْ آدابِ الاستيقاظِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ غَسْلُ اليَدِيْنِ قبلَ غَمسِهِا في إناءِ الوُضُوءِ.

ففي «صَحيحِ مسلمٍ» [2] من حديثِ أَبي هُرَيرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «**إذا اسْتيقَظَ أَحَدُكمْ من نَوْمِهِ، فلا يَغْمِسْ يَدَهُ في الإناءِ حتَّى يَغْسِلَها ثَلاثًا فإنَّهُ لا يَدْرِيْ أَيْنَ باتَتْ يَدُهُ**».

ومِنْ آدابِ الاستيقاظِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ الاسْتِنْثَارُ ثَلاثًا.

ففي «الصَّحيحَيْنِ» [3] من حديثِ أَبي هُرَيرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «**إذا اسْتيقَظَ أَحَدُكم من منامِهِ فَلْيَسْتَنْثِرْ ثلاثَ مراتٍ فإنَّ الشيطانَ يَبِيْتُ على خَياشِيْمِهِ**».

ومِنْ آدابِ النَّوْمِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ ذِكْرُ اللهِ والوُضُوءُ والصَّلاةُ.

---

(1) رَواهُ البُخاريُّ (245)، ومُسلمٌ (255).

(2) رَواهُ مسلمٌ (278).

(3) رَواهُ البُخاريُّ (3295)، ومسلمٌ (238).

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[1] من حديثِ أَبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: **«يَعْقِدُ الشَّيطانُ على قافِيَةِ رَأْسِ أَحَدُكم إذا هُوَ نائِمٌ ثلاثَ عُقَدٍ يضْرِبُ مكانَ كُلِّ عُقْدَةٍ «عليْكَ ليلٌ طويلٌ فارْقُدْ» فإنْ اسْتيقَظَ فَذَكَرَ اللهَ انْحلَّتْ عُقْدَةٌ، فإنْ توضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فإِنْ صَلَّى انْحَلَتْ عُقدَةٌ. فأَصْبَحَ نَشِيطَ النَّفْسِ، وإلّا أصْبَحَ خَبِيْثَ النَّفْسِ كَسْلانَ»**.

اللَّهُمَّ ارْزُقْنا حُسْنَ الاتِّباعِ في الأمُورِ كُلِّها واجْعَلْنا هُداةً مُهتدينَ غيرَ ضالِّيْنَ ولا مُضِلِّينَ.

---

(1) رَواهُ البُخاريُّ (1142)، ومسلمٌ (776).

26 الأخُوَّةُ في اللهِ

الخُطْبَةُ الأُولى :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محَمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران : 102).

ـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء : 1).

ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب :70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ـ ﷺ ـ ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ ـ فحديثي معكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنِ **«الأُخُوّةِ في اللهِ»**.

أَيُّهَا النَّاسُ الأُخُوَّةُ في اللهِ نِعمةٌ كبيرةٌ ومنَّةٌ عظيمةٌ من اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ .

قال اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (آل عمران : 103).

وقال اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ (الأنفال : 62-63).

وهذِهِ الأُخوَّةُ الحاصِلَةُ بَيْنَ المؤمنينَ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ قائِمَةٌ على الحبِّ في اللهِ الذِيْ هُوَ أَوْثَقُ عُرى الإِيمان.

فقد أَخْرجَ الطبرانيُّ في «الكبير» بسَنَدٍ حَسَنٍ حسَّنَهُ الأَلبانيُّ في «الصَّحيحَةِ»[1] منْ حديثِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أوثَقُ عُرَى الإيمانِ: الْمُوالاةُ في اللهِ، والمعادَاةُ في اللهِ، والحبُّ في اللهِ، والبُغْضُ في اللهِ**».

وللأُخُوَّةِ في اللهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - فضائِلُ عظيمةٌ.

فمنْ فَضائِلِ الأُخُوَّة في اللهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ المُتَحابِّينَ في اللهِ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظِلِّ عَرشِهِ يومَ القيامَةِ.

ففي «صَحيحِ مسلمٍ»[2] منْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يقولُ يومَ القيامَةِ: أين المُتَحابُّونَ بِجَلالِيْ؟ اليومَ أُظِلُّهُمْ في ظِلِّيْ يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلِّي**».

وفي «صَحيحِ مسلمٍ»[3] منْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ، (وذكَرَ مِنْهم) ورَجُلانِ تَحابَّا في اللهِ، اجْتَمعا عليهِ، وتَفَرَّقَا عليهِ**».

ومنْ فَضائِلِ الأُخُوَّة في اللهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أوجَبَ محبَّتَهُ للمُتحَابِّين فيه.

ففي مُسْنَدِ أحمدَ بِسنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ»[4] منْ حديثِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وَجَبَتْ مَحَبَّتِيْ لِلْمُتَحَابِيْنَ فِيَّ والمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، والمُتَبَاذِلِيْنَ فِيَّ، والمُتَزاورِينَ فِيَّ**».

---

(1) «**حَسَنٌ**» أخرجَهُ الطبرانيُّ في «الكبيرِ» (11537)، وحسَّنَهُ الألبانيُّ في «الصَّحيحةِ» (998).

(2) رَواهُ مسلمٌ (2566).

(3) رَواهُ البُخاريُّ (660)، ومسلمٌ (1031).

(4) «**صحيحٌ**» أخرجَهُ أحمدُ (5/233- 247)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (4331).

وفي «صَحيحِ مسلمٍ»[1] منْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «**إنَّ رَجُلًا زارَ أَخًا لَهُ في قَرْيَةٍ أُخْرى، فأَرْصَدَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - على مَدْرَجَتِهِ (أَيْ على طَرِيْقِهِ) مَلَكًا، فَلَما أتى عليهِ قال: أَينَ تُرِيْدُ؟ قال: أُرِيدُ أَخًا لي في هذِهِ القِرْيَةِ قال: هَلْ لَكَ من نِعْمَةٍ تُرِبُّها عليه؟ قالَ: لا غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ في اللهِ - تعالى - قال: فإنِّي رسولُ اللهِ إليكَ بأَنَّ اللهَ قدْ أَحَبَّكَ، كما أَحْبَبْتَهُ فِيهِ**».

ومنْ فَضائِلِ الأُخُوَّة في اللهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّها سببٌ لِتَذَوُّقِ حلاوَةِ الإِيمانِ.

ففي «الصحيحَيْنِ»[2] منْ حديثِ أَنَسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**ثلَاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وَجَدَ بهِنَّ حلاوَةَ الإيمانِ: أَن يَكُونَ اللهُ ورسولُهُ أَحَبَّ إليه ممَّا سِواهُما، وأَنْ يُحبَّ المرءَ لا يُحِبُّهُ إلا للهِ، وأَنْ يَكْرَهَ أَن يَعُودَ في الكُفْرِ كما يكرَهُ أن يُقْذَفَ في النَّارِ**».

وفي مُسنَدِ أحمدَ بسنَدٍ حَسَنٍ حسَّنَهُ الألبانيُّ في «صَحيحِ الجامعِ»[3] منْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**من سَرَّهُ أَنْ يَجِدَ حلاوَةَ الإيمانِ فَلْيُحِبَّ المرءَ لا يُحِبُّهُ إلا للهِ - عزَّ وجلَّ -**».

ومنْ فَضائِلِ الأُخُوَّة في اللهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ المُتحَابِّيْنَ في اللهِ لَهُمْ منابِرُ من نورٍ، يجلِسُونَ عَليها يومَ القِيامَةِ.

ففي مسنَدِ أحمدَ بسَنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ»[4] منْ حديثِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**قالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - المتحابُّونَ في جَلالي لَهُمْ منابِرُ من نُورٍ يغْبِطُهم النَّبِيُّونَ والشُّهَدَاءُ**».

(1) رَواهُ مسلمٌ (2567).

(2) رَواهُ البُخاريُّ (16)، ومسلمٌ (43).

(3) «**حَسَنٌ**» أخرجَهُ أحمدُ (2/298)، وحسَّنَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (6164).

(4) «**صحيحٌ**» أخرجَهُ أحمدُ (5/239)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (4312).

وفي مسنَدِ أحمدَ بسَنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صَحيحِ الجامعِ»[1] منْ حديثِ عُبادَةَ بنِ الصَّمِتِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**قالَ الله** - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - **حَقَّتْ (أي: وَجَبَتْ) محبَّتي للمُتحَابِّينَ فِيَّ، وحَقَّتْ محبَّتي للمتواصِلِينَ فِيَّ، وحَقَّتْ محبَّتي للمُتَناصِحِينَ فِيَّ، وحَقَّتْ محبَّتي للمُتَزاوِرِينَ فيَّ، وحَقَّتْ محبَّتي للمتباذِلِينَ فِيَّ، المُتحَابُّون فِيَّ على منابرَ من نُورٍ يغبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ والصِّدِّيقُون والشُّهَدَاءُ**».

ومنْ فَضائِلِ الأُخُوَّة في اللهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ المرءَ يُحشَرُ مع من أَحَبَّ.

ففي «الصحيحَيْنِ»[2] منْ حديثِ أَنَسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رجُلًا سَأَلَ النَّبيَّ ﷺ عن السَّاعَةِ، فقالَ: متى السَّاعَةُ؟ قالَ: «**وما أَعْدَدْتَ لها؟**». قال: لا شَيءَ إلا أَنِّي أُحِبُّ اللهَ ورسُولَهُ. فقالَ ﷺ: «**أَنْتَ مَعَ من أَحْبَبْتَ**». قال أَنَسٌ: فأنَا أُحِبُّ النَّبيَّ ﷺ وأبا بكرٍ وعُمَرَ، وأَرجو أَنْ أكونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إيَّاهم، وإن لَمْ أعملْ بمثْلِ أعمالِهِمْ.

وفي «الصحيحَيْنِ»[3] منْ حديثِ أَبي مُوسى الأشْعَرِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ: جاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالَ: يا رسولَ اللهِ، الرَّجُلُ يُحِبُّ القَوْمَ ولم يَلْحِقْ بِهِمْ؟ فقال ﷺ: «**المرءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**».

قال المباركفورِيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ: «يَعْني من أَحَبَّ قومًا بالإخلاصِ يكونُ في زمْرَتِهِمْ وإن لم يَعْملْ عملَهم لثُبُوتِ التَّقارُبِ بين قُلُوبِهِمْ وربمَّا تُؤَدِّي تلكَ المحَبَّةُ إلى موافَقَتِهِمْ وفيه حَثٌّ على محبَّةِ الصُّلحاءِ والأَخْيارِ رجاءَ اللَّحاقِ بِهِمْ والخلَاصِ من النَّارِ»

أَيُّهَا النَّاسُ تلكَ بعضُ فضائِلِ الأُخُوَّةِ في اللهِ وللأُخُوَّةِ حُقوقٌ لا يتَّسِعُ الحديثَ عنها مقامُنا هذا، ولكنْ نَذْكُرُ بعضًا منها:

---

(1) «**حَسَنٌ**» أخرجَهُ أحمدُ (5/229)، وحسَّنَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (4320).

(2) رَواهُ البُخاريُّ (6388)، ومسلمٌ (2953).

(3) رَواهُ البُخاريُّ (5819)، ومسلمٌ (2639).

فمن حقوقِ الأُخُوَّةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ المُواساةُ. والمُواساةُ الحديثُ عنها ذو شُجونٍ وخُلاصَتُها أَنَّهَا تَنْفِيسُ الأَخِ عن أخيهِ كُرُباتِ الدنيا.

ففي «صَحيحِ مسلمٍ»[1] منْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **«من نَفَّسَ عن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً من كُرَبِ الدنيا، نَفَّسَ اللهُ عنهُ كُرْبَةً من كُرَبِ يومِ القيامَةِ، ومن يَسَّرَ على مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عليهِ في الدنيا والآخِرَةِ، ومَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَترهُ اللهُ في الدنيا والآخِرَةِ، واللهُ في عَوْنِ العبْدِ ما كان العبدُ في عَونِ أخيهِ»**.

ومن حقوقِ الأُخُوَّةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ إِفْشَاءُ السَّلامِ، وإجابَةُ الدَّاعي، وبَذْلُ النَّصيحَةِ وتَشْمِيْتُ العاطِسِ وعيادَةُ المريْضِ، وشهودُ الجنَازَةِ.

ففي «صَحيحِ مسلمٍ»[2] منْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **«حَقُّ المُسلمِ على المُسْلمِ سِتٌّ»**. قِيلَ: ما هُنَّ يا رسولَ اللهِ؟ قالَ: **«إذا لَقِيْتَهُ فسلِّمْ عليهِ، وإذا دَعاك فأَجِبْهُ، وإذا اسْتَنْصَحَكَ فانْصَحْ لَهُ، وإذا عَطَسَ فَحَمِدَ الله فَشَمِّتْهُ، وإذا مَرِضَ فَعُدْهُ، وإذا مات فاتْبَعْهُ»**.

ومن حقوقِ الأُخُوَّةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ التَّودُّدُ والتعاطُفُ والتراحُمُ.

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[3] منْ حديثِ النعمانِ بن بِشْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **«مَثَلُ المؤمنينَ في توادِّهِمْ وتراحُمِهِمْ وتعاطُفِهِمْ كَمَثَلُ الجَسَدِ الواحِدِ، إذا اشْتكَى منهُ عُضْوٌ تداعى له سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى»**.

ومن حقوقِ الأُخُوَّةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ النُّصْرَةُ في المَغِيْبِ والمشْهَدِ.

(1) رَواهُ مسلمٌ (2699).

(2) رَواهُ مسلمٌ (2162).

(3) رَواهُ البُخاريُّ (6011)، ومسلمٌ (2586) واللَّفْظُ لَهُ.

ففي مُسنَدِ أحمدَ وسُنَنِ أبي داودَ بسَنَدٍ حَسَنٍ حسَّنَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ»[1] منْ حديثِ جابرٍ وأبي طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالا: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**ما مِن امْرِىءٍ يَخْذُلُ مُسْلِمًا في موضِعٍ تُنْتَهَكُ فيه حُرْمَتُهُ، ويُنْتَقَصُ فيه من عِرْضِهِ إلَّا خَذَلَهُ اللهُ في موطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ، وما مِن امرِىءٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا في موضِعٍ يُنْتَقَصُ فيهِ من عِرْضِهِ، ويُنْتَهَكُ فيهِ من حُرْمَتِهِ إلَّا نَصَرَهُ اللهُ في موطِنٍ يُحِبُّ فيه نُصْرَتَهُ**».

ومن حقوقِ الأُخُوَّةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنْ يُحِبَّ الأخُ لأخيهِ ما يُحِبُّهُ لنفسِهِ ويكرَهَ لَهُ ما يَكْرهُهُ لِنفْسِهِ.

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[2] منْ حديثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**لا يُؤْمِنُ أحدُكم حتَّى يُحِبَّ لِأَخيه ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**».

ومن حقوقِ الأُخُوَّةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنْ لا يَمَسَّ الأخُ أخاهُ بِسُوءٍ أو ينالُهُ منْهُ مكروهٌ يَكْرَهُهُ أو أَذىً يَلْحِقُ بِهِ

ففي «صَحيحِ مسلمٍ»[3] منْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**كُلُّ المسلمِ على المُسْلمِ حرامٌ دَمُهُ ومالُهُ وعِرْضُهُ**».

ومن حقوقِ الأُخُوَّةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّ يخالِقَ الأخُ أخاه بخُلُقٍ حَسَنٍ، فَيَبْذُلَ لَهُ المعروفَ، ويكفَّ عنه الأَذى ويلاقِيَهُ بوجْهٍ طَلْقٍ، يقْبلُ منه إحسانَهُ، ويعْفُوَ عَنْ إِساءَتِهِ، ولا يكلِّفَهُ ما ليسَ عِندَهُ.

لقولِ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ (الأعراف: 199).

(1) «حَسَنٌ» أخرجَهُ أحمدُ (4)، وأبو دَاودَ (4/271)، وحسَّنَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (5690).
(2) رَواهُ البُخاريُّ (7)، ومسلمٌ (45).
(3) رَواهُ مسلمٌ (2564).

وفي مسنَدِ أحمدَ بسَنَدٍ حَسَنٍ حسَّنَهُ الألبانيُّ في «الصَّحيحَةِ»[1] منْ حديثِ أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**اتَّقِ اللهَ حيثُما كنتَ واتبعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تمحُها وخالِقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ**».

وَأَسْتغْفِرُ اللهَ.

(1) «**حَسَنٌ**» أخرجَهُ أحمدُ (5/153)، وحسَّنَهُ الألبانيُّ في «الصَّحيحَةِ» (1373).

الخُطْبةُ الثّانيةُ ـ مُفْسِداتُ الأُخُوَّةِ في اللّهِ :

الْحَمْدُ للهِ ربِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أَمَّـا بَعدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ «**الأُخُوَّةِ في اللهِ وشيءٍ من حقوقِها**» والآنَ حديثِي مَعَكُمْ عَنْ «**مُفسِداتِ الأُخُوَّةِ**» وهُنَّ كثيراتٌ وسأقْتَصِرُ في هذِهِ العُجالَةِ على بعْضِها.

فمن مفسِداتِ الأخوَّةِ في اللهِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ الطَّمَعُ في الدنيا.

قال اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾ (طه : 131).

فكمْ من أَخَوَيْنِ كانا متحابَّيْنِ تغيَّرَتْ نُفُوسُهُما بعدما تعرَّضا للدنيا وتنافَسَا في النَّيلِ منها ومع ازْديادِ التعلُّقِ بالدنيا يندثِرُ الإيثارُ وتَحُلُّ الأَنانِيَّةُ.

ومن مفاسِدِ الأُخوَّة ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ التَّفريطُ في الطاعَةِ والوُقوعُ في المعصيَةِ.

فقد أخرجَ البُخاريُّ في «الأدبِ المفْرَدِ» بِسَنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحيحَةِ»(1) منْ حديثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**ما توادَّ اثنانِ في اللهِ فيُفَرَّقُ بَيْنَهما إلا بِذَنْبٍ يُحدِثُهُ أَحَدُهما**».

ومن مُفسِدات الأُخوَّة ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنْ يَغتابَ الأخُ أخاه أو يَحْقِرَهُ أو يَعِيبَهُ أو يسْخَرَ منهُ، أو يَنْبِزَهُ بلَقَبِ سُوْءٍ أو يَنُمَّ عنهُ حديثًا للإفسادِ.

---

(1) أخرجَهُ أحمدُ (2/68)، والبُخاريُّ في «الأدبِ المفردِ» (401)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحيحَةِ» (637).

قال اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ﴾ (الحجرات : 12).

وقال اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝١١﴾ (الحجرات : 11).

وفي «صحيحِ مسلمٍ»[1] منْ حديثِ جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ في حِجَّةِ الوَدَاعِ: «**إنَّ دماءَكمْ وأَمْوالَكم وأعْرَاضَكُمْ حَرامٌ عَليكُمْ**».

ومن مُفْسداتِ الأُخوَّة ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنْ يَحْسَدَ الأخُ أخاهُ أو يَظُنَّ بِهِ سُوءًا أو يَبْغَضَهُ أو يَتَجَسَّسَ عليهِ.

قال اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًا﴾.

وفي «صحيحِ مسلمٍ»[2] منْ حديثِ أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**إِيَّاكم والظَّنَّ فإنَّ الظَّنَّ أَكذَبُ الحَديثِ**».

ومن مُفْسداتِ الأُخوَّة ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنْ يَغْدُرَ الأخُ بأخيهِ أو يَخُوْنَهُ أو يَكْذِبَهُ أو يُماطِلَهُ في قضاءِ الدَّيْنِ

قال اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ (المائدة : 1).

وقال اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ۝١٧٧﴾ (البقرة : 177).

---

(1) رَواهُ مسلمٌ (1218).

(2) رَواهُ مسلمٌ (2563).

ومن مُفسِداتِ الأُخوَّة ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَدَمُ عَفْوِ الأخِ عن أَخِيهِ إِذا أَخْطَأَ وقَبُوْلِ عُذْرِهِ.

قال اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ (المائدة : 13).

و قال اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ (النور : 22).

وفي سُنَنِ أبي داودَ وابنِ ماجَةَ بسَنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ»[1] منْ حديثِ أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**مَنْ أقالَ مُسْلِماً، أَقالَ اللهُ عَثْرَتَهُ**».

ومعنى أقال: أي عفا عنه لخطأٍ أو زلَّة.

اللَّهُمَّ أَلِّفْ بَيْنَ قُلوبِنَا وأصلحْ ذاتَ بيننا.

اللَّهُمَّ ربَّنا آتنا في الدُّنيا حَسَنةً وفي الآخِرَةِ حَسَنةً وقنا عذابَ النَّارِ.

---

(1) «**صحيحٌ**» رَواهُ أبو داودَ (3460)، وابنُ ماجَة (2199)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ أبي داودَ» (2954)، و«صحيحِ الجامعِ» (6071).

27 نِعمةُ الهاتَفِ المَحْمُولِ

الخُطْبةُ الأُولى :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ (آل عمران : 102).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ (النساء : 1).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب :70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ـ ﷺ ـ ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بَعْدُ ـ فحديثي معكُمْ ـ أَيُّها النَّاسُ ـ عَنِ **«نعْمَةِ الجَوَّالِ»**.

أَيُّها النَّاسُ اللهُ ـ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ هُوَ الَّذِي خلقنا فأَبْدَعَ ما خَلَقَ وهو الَّذِي خَلقَ فينا العقْلَ، فما أروعَ ما أَبْدَعَ فسبحانَ مَنْ خلقَ فسَوَّى وقدَّرَ فَهدى خلقَ الإنسانَ وسَخَّرَ لَهُ كُلَّ ما في الأرضِ جميعًا مِنْهُ.

قال اللهُ ـ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ (البقرة : 29).

و قال اللهُ ـ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُ﴾ (الجاثية : 13).

ومن جَليلِ حكْمتِهِ وعظيمِ منَّتِهِ أَنَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العَلَق : 5).

وركَّبَ فيه مِنْ وسائِلِ المَعْرِفَةِ من عَقْلٍ وسمْعٍ وبَصَرٍ، وغرَسَ فيه جَبلَةَ التَّرَقِّي وفَتَحَ لَهُ عوالِمَ المُحْدَثاتِ والمخْترعَاتِ، فتَطوَّرَ الإنسانُ عبرَ الزَّمنِ ... وأَصبحَ يَتحكَّمُ في أَقْطارِ الفَضَاءِ ... وأَغْوارِ الأَرْضِ ... وأعماقِ البحارِ ... وفتَحَ بصيرتَهُ كُلَّ يومٍ عن مُخْتَرَعٍ جديدٍ ... فقفَزَ فوقَ المسافاتِ ... وتخطَّى الأوطانَ والقارَّاتِ ونَصَبَ أَجْهِزَةَ الاتِّصالِ ... فجمَعَ أهلَ الأَرْضِ ... حتَّى صارَ مَنْ بأَقْصاها يَتحَدَّثُ مع مَنْ بأَدْنَاها ... ففي كُلِّ جَيْبٍ أُذُنٌ واعِيَةٌ متحفِّزَةٌ للإجابَةِ عن كُلِّ طَلَبٍ ... لا فَرْقَ عندَها بينَ البَعِيدِ والقَرِيْبِ ... لا فَرْقَ عندها بين المُسْتقِرِّ في بيتِهِ ... والسائِرِ في الطَّرِيقِ ... لا فرقَ عندَها بين الرَّاكبِ جَوَّ الفضاءِ ... والغائِصِ في الأعماقِ.

هذِهِ نعمةٌ من نِعَمِ اللهِ ـ جَلَّ وعلا ـ أظْهَرَها للإنْسانِ بفضْلِهِ، وعرَّفَهُ لها بجُودِهِ وكَرَمِهِ ... إنَّهُ الهاتِفُ الجَوَّالُ ... الَّذِي شَغَلَ دُنيا النَّاسِ وملأَ حياتَهُمْ ... اقْتناهُ الغَنِيُّ والفَقِيرُ ... واسْتعْمَلَهُ الكبيرُ والصَّغيرُ.

هو مِنْحَةٌ من اللهِ ورحمةٌ منهُ ... لإنسانِ هذا الزَّمانِ.

قال اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ (البَقَرَة : 143).

وهو كذلِكَ نعمَةٌ من نِعَمِ اللهِ والذي وهَبَنا كُلَّ فَضْلٍ وخَيْرٍ.

قال اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ (النَّحل : 53).

وقال اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ (النَّحل : 18).

وقال اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ (لُقْمَان : 20).

فوا جِبُنا ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنْ نَشكُرَ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ على نِعَمِهِ.

قال اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (إبراهيم : 7).

وقال اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ (الزمر : 7).

ومِنْ شُكْرِ هذِهِ النِّعْمَةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنْ نَسْتَخْدِمَها فيما يُرضِيْ اللهَ.

هذا الهاتِفُ سَهَّلَ للإنْسانِ الكثيرَ من أُمورِ دنياهُ وأعَانَهُ في عبادَتِهِ وتقرُّبِهِ من مولاهُ، فكَمْ مِن صَفْقَةٍ تجاريةٍ أُبْرِمَتْ بالهاتِفِ وكم من سَفَرٍ أُلغِيَ لعدَمِ جَدْوَاهُ بواسِطَةِ الهاتِفِ، وكم أَسعدَ من آباءَ وأمَّهاتٍ حينَ وصَلَهُمْ بأَبْنائِهِمْ رَغْمَ طولِ المسافَاتِ ... وهو أداةُ صِلَةِ الرَّحِمِ، وهو أداةُ إسعافٍ في الحوادِثِ. وأداةُ نجدَةٍ لدفْعِ الكوارِثِ[1].

ومن كُفْرانِ هذِهِ النَّعْمَةِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ استخدامها فيما يُغْضِبُ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ من المُرَاسَلاتِ والمُعاكسَاتِ، والتَّنْسيقِ بين عِصاباتِ الإِجْرامِ، والنَّهْبِ والسَّرِقَةِ والغِيبَةِ والنَّميمَةِ والصُّوَرِ المُحرَّمَةِ وأَذِيَّةِ المُسْلمينَ في مساجِدِهِمْ وفي حالِ صَلاتِهِمْ بتِلْكَ الأَصْواتِ والرَّنَّاتِ الغنائِيَّةِ المحرَّمَةِ فهذا من كُفرانِ النِّعْمَةِ، فضلًا أَنَّ فيها أَذيَّةً للمسلمينَ والتَّشويْشَ عليهم في صَلاتِهِمْ، وسَلْبًا لخُشُوعِهِمْ وإهانَةً لبُيُوتِ اللهِ وعَدمِ المُبالاةِ بتعظِيمِها وتكريمِها وتشْرِيْفِها.

قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ (الحج : 32).

وقالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ (الحج : 30).

(1) انْظُرْ «الجوَّالُ آفاتٌ وآدابٌ» لعَبدِ اللهِ المؤَدِّبِ (ص1).

أَيُّهَا النَّاسُ أُنَبِّهُ من فوقِ هذا المِنْبَرِ إلى أَنَّهُ ينبَغي أَنْ يُبْسَطَ العذْرُ لِمَنْ نَسِيَ إغلاقَ هاتفه أو وَضْعَهُ على الصَّامِتِ داخِلَ بُيُوتُ اللهِ فالإِنْسانُ عُرْضَةٌ للخَطأِ والنسيانِ فلا يُشدَّدُ في النَّكِيرِ عليه والنَّظَرِ شَزْرًا إليهِ ولنَّا في رسُولِ اللهِ ﷺ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ حينما لَطَّفَ بالأَعْرابِيِّ الذِي بالَ في المسْجِدِ، وأَمَرَ أَنْ يُهْراقَ سَجْلٌ أو ذَنُوبٌ من ماءٍ على مكانِ بولِهِ.

ففي «صحيح البُخاريِّ»[1] منْ حديثِ أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قامَ أَعرابيٌّ فبالَ في المَسْجِدِ، فتناولَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبيُّ ﷺ: «**دَعُوهُ، وأَهْرِيقُوا على بولِهِ سَجْلًا مِن مَاءٍ ـ أو ذَنُوبًا من ماءٍ ـ فإنما بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ ولم تُبعَثُوا معَسِّرين**»[2].

ومن كُفْرانِ نِعْمَةِ الهاتف المحمول ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ استعمالُهُ للمعاكساتِ فصارَ دمَارًا على صاحِبِهِ فكمْ خَرَّبَ من أَسَرٍ وكَمْ فَضَحَ من بُيُوتٍ.

قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ (النور: 19).

ومن كُفْرانِ نِعْمَةِ الهاتف المحمول ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ تبادُلُ الصُّوَرِ المحرَّماتِ، وتَصْويرُ الغَيْرِ فكمْ مِن قلوبٍ قَدْ فَسدَتْ وكمْ من بُيُوتٍ قد دُمِّرَتْ فالوَيْلُ لهؤُلاءِ المروِّجِيْنَ من عذابِ اللهِ.

قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (النحل: 25).

ومن كُفْرانِ نِعْمَةِ الهاتف المحمول ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَذِيَّةُ المُسْلمينَ باللِّسانِ أو المُراسَلَةِ أو الاتِّصالِ في ساعاتٍ مُتأَخِّرَةٍ أو إزعاجُهُمْ بأُسلُوبٍ أو بآخَرَ أو بإرسالِ رِسالةٍ فيها غَزَلٌ أو كلامٌ قَبيحٌ وقدْ يُرْفِقُها بصُوَرٍ خَليعَةٍ أو صُورَةٍ لقلبٍ مرْسومٍ.

---

(1) رَواهُ البُخاريُّ (2201).

(2) انْظُرْ «الجوَّال آدابٌ وتنبيهاتٌ» للحَمَدِ (ص1-2).

قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ (الأحزاب : 58).

ومن كُفْرانِ نِعْمَةِ الهاتف المحمول ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ استخدامُهُ وقتَ قيادَةِ السَّياراتِ فَرُبَّما يأْخُذُهُ الحديثُ والانسِجامُ مَعَ المتحَدِّثِ معَهُ فلا ينْتبهُ إلى ما يَعْرِضُ لَهُ أثناءَ سَيْرِهِ في طريقِهِ وقد لا ينْتَبِهُ إلَّا بعدَ أن يقعَ الفأْسُ على الرأْسِ.

قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ : ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (النساء : 29).

ومن كُفْرانِ نِعْمَةِ الهاتف المحمول ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ استخدامُهُ لسَماعِ الأَغاني مَعَ وضوحِ حرْمَتِهِ.

قال الحَسَنُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «نَزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ . في الغِناءِ والمزاميرِ»[1].

وفي سُنَنِ التِّرمِذِيِّ بسَنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الترمِذِيِّ»[2] منْ حديثِ عِمْرَانَ بنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**في هذِهِ الأُمَّةِ خَسْفٌ ومَسْخٌ وقَذْفٌ**».

قال رجلٌ من المسلمينَ: يا رسولُ اللهِ متى ذلِكَ؟

قالَ: «**إذا ظهرَتْ القِيانُ والمعازِفُ وشُرِبَتْ الخُمُورُ**».

ويَدْخُلُ في ذلِكَ استعمالُ نَغْماتٍ موسيقيَّةٍ في الجوَّالِ.

ومن كُفْرانِ نِعْمَةِ الهاتف المحمول ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ تصْويرُ ذواتِ الأَرْواحِ من إنسانٍ أو حَيَوانٍ أو طَيْرٍ أو غيرِ ذلِكَ والأدلَّةُ قدْ جاءَتْ تمنعُ التَّصويرَ عُمُومًا.

---

(1) «تَفْسيرُ ابنِ كثيرٍ» (3/344).

(2) «**صحيحٌ**» أخرجَهُ الترمِذِيُّ (2212)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الترمِذِيِّ» (2185).

ففي «الصَّحِيحَيْن»[1] منْ حديثِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُل مُصَوِّرٍ في النَّارِ يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صوَّرَها نَفْسًا فتُعَذِّبُهُ في جَهَنَّمَ**».

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»[2] منْ حديثِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ الذِينَ يَصْنعُونَ هذِهِ الصُّوَرَ يُعذَّبُونَ يومَ القيامَةِ يُقالُ لهمْ: أَحْيُوا ما خَلَقْتُمْ**».

أَيُّهَا النَّاسُ تلكَ الأحاديثُ واضحةٌ وُضوحَ الشَّمْسِ وبعضُ النَّاسِ يُؤَوِّلُ الأحادِيثَ ويَحْمِلُها على غَيْرِ ظاهِرِها ويقولُ ذلكَ كذا وذلِكَ كَذا.

وقَدْ سُئِلَتْ اللَّجْنَةُ الدائِمَةُ للبحُوثِ العلميَّةِ والإفْتاءِ السُّؤالَ الآتي: هَلْ التَّصويرُ الذي تُسْتَخْدَمُ فيه كاميرا الفِيديُو يَقَعُ حكمُهُ تحت التَّصويرِ الفوتُغْرافيِّ؟

الجوابُ: نَعَمْ حُكْمُ التَّصويرِ بالفِيديُو حُكْمُ التَّصْويرِ الفوتَغْرافِيِّ في المَنْعِ والتَّحْريمِ لعُمُومِ الأَدِلَّةِ[3].

وتَشْتَدُّ الحُرْمَةُ إذا قامَ الرجُلُ بتَصْويرِ محارمِهِ أو زوجَتِهِ في هذِهِ الهواتف وهذا خطأٌ وخطرٌ عظيمٌ؛ لأنَّ الهاتف قَدْ يتعرَّضُ للضَّياعِ وقد ينْساهُ في بيتِ مَنْ لا أمانَةَ لَهُ ولا عَهْدَ.

وأَسْتَغْفِرُ اللهَ!

---

(1) رَواهُ البُخاريُّ (2225)، ومسلمٌ (2110).

(2) رَواهُ البُخاريُّ (5951)، ومسلمٌ (2108).

(3) فَتاوى اللَّجنةِ الدائمَةِ تَحْتَ رَقَمِ (16205).

الخُطْبَةُ الثّانيةُ ـ آدابُ استعمالِ الجوَّالِ :

الْحَمْدُ للهِ ربِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أَمَّـا بَعدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ «**نِعمَةِ الجوال**» والآنَ حديثِي مَعَكُمْ عَنْ «**آدابِ استعْمالِ الجوَّالِ**».

فمِنْ آدابِ استعمالِ الهاتف المحمول ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ التأكُّدُ من الرَّقَمِ المطلوبِ حتَّى لا يَطْلبَ رقمًا خاطِئًا، فلا يُزْعِجَ مَرِيْضًا .. ولا يُوْقِظَ نائِمًا ولا يفاجِيءَ آمِنًا.

وكذلِكَ التأكُّدُ من صحَّةِ الرَّقَمِ حتَّى لا يُرْسَلِ رسالةً لِمَنْ لا يَقْصُدُ إرسَالهَا إليْهِ فيقَعَ في الحَرَجِ.

فإذا كانَ الرَّقَمُ خاطئًا فلا يَعْجَلْ في إِغلاقِ الهاتفِ المحمولِ لِئَلَّا يُساءَ الظَّنُّ وإنَّما يعْتذِرُ اعْتِذارًا بالِغًا ويَعِدُ المتَّصَلَ بِهِ أَنَّ ذلِكَ لَنْ يَتكَرَّرَ منْهُ. ويكونُ ذلِكَ بكلماتٍ طيِّباتٍ وأُسْلوبٍ حَسَنٍ، ويُرْسِلُ رسالَةً لِمَنْ وقعَتْ الرسالَةُ في رقمِهِ بطريقَةِ الخَطَأ.

فإذا بدأَ بالكلامِ جعلَ أوَّلَ كلمةٍ ينطِقُ بها السَّلامُ عليكُمْ وهي تحيَّةُ اللهِ لأَهْلِ الإيمانِ. قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ في أَوَّلِ لقاءٍ بالمؤمنينَ في الجَنَّةِ: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ (الأحزاب : 44). وهيَ تَحِيَّةُ الملائِكَةِ لأهْلِ النَّعِيمِ

قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ (الزمر : 73). وهي تَحِيَّةُ المؤمنينَ في الجَنَّةِ فيما بينهم.

قالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ (يونس : 9-10).

فأَوَّلُ كلامِ المسْلِمِ مع المُسْلِمِ «السَّلامُ عليكُمْ» والبَعْضُ اعْتادُوا أَنْ تكونَ التحيَّةُ بَيْنَهُمْ كَلِمةَ «أَلُو» وأصْلُ هذِهِ الكلمَةِ إنجليزيَّةٌ ومعناها «مَرْحَبًا»، وإذا ختمَ كلامَهُ قالَ «مَعَ السَّلامَةِ» أو «بَايْ بَايْ» وهذا خَطأٌ وفي شَرْعِنا وأَدَبِنا الذي أَدَّبَنا اللهُ بِهِ غِنى عن ذلك.

واللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ يَقُولُ: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ (البَقَرَة: 61).

وَالَّذِيْ يَبْدَأُ السَّلامَ المُتَّصِلُ لِأَنَّهُ كالقارِعِ للبَابِ فيُجِيْبُ المتَّصَلُ بِهِ بمثلِهِ وأَحْسَنَ لقولِ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ (النِّسَاء: 86).

ثُمَّ يُعَرِّفُ نَفْسَهُ بِذِكرِ اسْمِهِ أَوْ لَقَبِهِ للمتَّصَلِ عليهِ حتَّى لا يَظَلَّ المتَّصَلُ عليهِ في حِيرَةٍ مَعَ مَنْ يتكلَّمُ ومَنْ يُرِيدُ.

ومِنْ آدابِ استعمالِ الهاتف المحمول ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ اخْتِصارُ الكلَامِ بِما يَكْفِيْ الحاجَةَ دُونَ إِسْرافٍ ولا تَبْذِيرٍ في المالِ والوقْتِ.

ففي «صحيحِ البُخاريِّ»[1] منْ حديثِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«نِعْمتانِ مَغْبونٌ فيهما كثيرٌ من النَّاسِ الصِّحَّةُ والفرَاغُ»**.

وأَخْرَجَ التِّرمِذِيُّ بِسَندٍ صَحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح الترمِذِيِّ»[2] منْ حديثِ أَبِي بَرْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«لا تَزُولُ قَدَمُ عبدٍ يومَ القيامَةِ حتَّى يُسأَلَ عَنْ أربعٍ: عَنْ عُمرِهِ فيما أَفْناهُ، وعن شَبابِهِ فيما أَبْلاهُ، وعن مالِهِ من أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وفيم أَنْفَقَهُ»**.

---

(1) رَواهُ البُخاريُّ (6412).

(2) **«صحيحٌ»** أخرجَهُ الترمِذِيُّ (2417)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الترمِذِيِّ» (1933).

وفي «صحيحِ البُخاريِّ»[1] من حديثِ خَوْلَةَ الأَنْصاريَّةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالتْ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**إِنَّ رجالًا يَتَخَوَّضُونَ في مالِ اللهِ بِغَيْرِ حَقٍّ فلهُمُ النَّارُ يومَ القيامَةِ**».

فإذا وَجَدَ امْرَأَةً على الخَطِّ تأدَّبَ معها واخْتَصَر الكلامَ وعليْها أَنْ تكلِّمَهُ بِحِشْمَةٍ وَوَقارٍ دونَ الخُروجِ عن مَوضوعِ المكالمَةِ

وقدْ أمرَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ بقولِهِ: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾ (الأحزاب: 32).

ومِنْ آدابِ استعمالِ الهاتف المحمول ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَدَمُ تَسْجيلِ المُكالماتِ أو وَضْعِ الجوَّالِ على مكبِّرِ الصَّوتِ دونَ عِلمِ الآخَرِ لأَنَّ ذلِكَ ضربٌ من الخِيانَةِ أو نوعٌ من النَّميمَةِ.

ومِنْ آدابِ استعمالِ الجوَّالِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عدمُ التَّمادِي في الاتصَّالِ إذا لم يَرُدَّ عليكَ فَبَعضُ النَّاسِ إذا لَمْ نَرُدَّ عليهِ كرَّرَ الاتِّصالَ عِدَّةَ مرَّاتٍ ممَّا يُسَبِّبُ الإزْعاجَ والإيْذَاءَ للآخَرِينَ.

كما أَنَّ تجاهُلَ المتَّصِلِ للمتَّصَلِ بِهِ ويتكَرَّرُ ذلك منهُ في أوقاتٍ مُتَفَرِّقاتٍ دُونَ داعٍ يَدْعو إليهِ دليلٌ على سُوءِ الأَخْلاقِ وانْحطاطِها بَلْ إِنَّهُ ليَبْنِيْ جُسُورًا مِن الوَحْشَةِ وسُوءِ الظَّنِّ وقيامٌ لِسُوقِ العَدَاوَةِ.

ومِنْ آدابِ استعمالِ الهاتف المحمول ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّهُ أداةُ صِدْقٍ فلا يَصِحُّ لمُسْلمٍ أن يكذِبَ على مُسلمٍ فإن كان يتكلَّمُ من مكانٍ فلا يجوزُ لَهُ أن يَكذِبَ أو يُدَلِّسَ على مُتحَدِّثِهِ بأَنَّهُ في مكانٍ آخَرَ.

---

(1) رَواهُ البُخاريُّ (2950).

ومِنْ آدابِ استعمالِ الهاتف المحمول ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ لُزومُ التوَّاضُعِ.

ومن التوَّاضُعِ حُسْنُ المُخاطَبَةِ مَعَ المتَّصل عليهِ ولِيْنُ الكلامِ، وسهولَةُ الأَلْفاظِ واختيارُ الكلماتِ الجميلةَ والبُعْدُ عن الغِلْظَةِ والقَسْوَةِ في الكلَامِ.

ومِنْ آدابِ استعمالِ الهاتف المحمول ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنْ لا يَتَّصِلَ في أوقاتِ الصَّلاةِ وأوقاتِ الأَكْلِ وأوقاتِ النَّومِ وأوقاتِ العَمَلِ أو الاجتماعِ أو الدُّروسِ كما على المتَّصلِ أَنْ لا يُسِيءَ الظَّنَّ إذا لَمْ يَرُدَّ عليهِ صاحِبُهُ وأن يَلْتَمِسَ لَهُ العُذْرَ في عَدَمِ الرَّدِّ.

اللَّهُمَّ أَرِنا الحَقَّ حَقًا وارْزُقْنا اتِّباعَهُ وأَرنا الباطِلَ باطلًا وجنِّبْنا اتَّباعَهُ واجْعَلْنا من الَّذين يَسْتَمِعُونَ القولَ فَيَتَّبِعُونَ أَحسَنَهُ.

28 أُمُّ سُلَيْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

الخُطْبَةُ الأُولى :

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ (آل عمران : 102).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ (النساء : 1).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب :70 – 71).

أَمَّا بَعْدُ، فإِنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ـ ﷺ ـ ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ ـ حديثي معكمْ اليَومَ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ صحابِيَّةٍ جَلِيلَةٍ ومُرَبِّيَةٍ فاضِلَةٍ إِنَّها أُمُّ سُليمٍ واسْمُها الغُمَيْصَاءُ بنتُ مِلحانَ بنِ خالدِ بنِ حرامٍ، أُخْتُ الصحابيِّ الجَليلِ حَرامِ بنِ مِلْحَانَ، وأُمُّ خادِمِ رسولِ اللهِ ﷺ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ، تَزَوَّجَتْ قبلَ الإِسْلامِ بمالِكِ بنِ النَّضْرِ النجارِيِّ، وولَدَتْ منهُ أَنَسًا فلمَّا جاءَ اللهُ بالإِسلامِ كانتْ مِن السَّابِقِينَ.

فقدْ أخرجَ الطَّيالِسيُّ والسِّياقُ لَهُ ومن طريقِ البَيْهَقِيِّ، وابنِ حِبَّانَ وأحمدَ بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «الجنائزِ»[1] منْ حديثِ أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ مالِكُ أَبُو أَنَسٍ لامْرأَتِهِ أُمِّ سُلَيمٍ إنَّ هذا الرَّجُلَ ـ يعني النَّبيَّ ﷺ ـ يُحرمُ الخَمْرِ فانْطلَقَ حتَّى أتى الشَّامَ فهَلَكَ هناكَ فجاءَ أبو طَلْحةَ، فخَطَبَ أُمَّ سليمٍ، فكلَّمها في ذلِكَ، فقالتْ: يا أبا طَلْحَةَ! ما مِثْلُكَ يُرَدُّ، ولكنَّكَ امْرؤٌ كافِرٌ، وأنا مُسْلمةٌ لا يَصْلُحُ لي أَنْ أَتزَوَّجَكَ!

فقالَ: ما ذَاكَ دَهْرَكِ قالتْ: وما دَهْرِيْ؟ قال: الصَّفراءُ والبَيْضَاءُ! ـ أَي الذَّهَبُ والفِضَّةُ ـ قالت: فإنِيِّ لا أُريدُ صَفراءَ ولا بَيْضاءَ أُريدُ منكَ الإسلامَ، (فإِنْ تُسلِمْ فذاكَ مَهْرِي، ولا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ)، قالَ: فَمَنْ لي بِذَلِكَ؟ قالت: لَكَ بذلِكَ رسولُ اللهِ ﷺ فانْطَلَقَ أبو طلحَةَ يُريدُ النَّبِيَّ ﷺ ورسولُ اللهِ ﷺ جالِسٌ في أصحابِهِ، فلما رآهُ قال: «**جاءَكُمْ أبو طلحَةَ غُرَّةُ الإسلام بين عَيْنَيْهِ**»، فأَخْبَرَ رسولَ اللهِ ﷺ بما قالتْ أُمُّ سُلَيم، فتَزَوَّجها على ذلِكَ.

قال ثابتٌ (وهو البَنَانيُّ أحَدُ رُواةِ الحديثِ عن أَنَسٍ): فما بَلَغَنا أَنَّ مهرًا كانَ أعظَمَ منهُ أَنَّها رَضِيَتْ الإسلامَ مَهرًا.

وفضائِلُ أُمِّ سُلَيمٍ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ ما لا يَحْتَمِلُها مُقامُنا هذا.

فمِنْ فَضائِلِها ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّ الرَّسُولَ بَشَّرَهَا بالجَنَّةِ.

ففي «صحيحِ مُسلم»[2] منْ حديثِ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**رَأَيْتُ الجنَّةَ فَرَأَيْتُ امْرأةَ أَبي طَلْحَةَ ثُمَّ سمِعْتُ خَشْخَشَةً أمامي فإذا بِلالٌ**».

---

(1) (صحيحٌ) أخرجَهُ الطيالِسيُّ (2056) واللَّفْظُ لَهُ، من طريقِ البيهَقِيِّ (4/65-66)، وابنِ حِبانِ (725)، وأحمدَ (3/105-106)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «أَحكامِ الجنائِزِ» (ص38).

(2) رَواهُ مسلمٌ (2457).

وفي «صحيحِ مُسلمٍ»[1] ـ أَيْضًا ـ منْ حديثِ أَنَسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**دَخَلْتُ الجنَّةَ فسمِعْتُ خَشْفَةً فقلتُ مَنْ هذا؟ قالُوا: هذِهِ الغُمَيْصَاءُ بِنتُ مِلحانَ أُمُّ أَنَسِ بنِ مالِكٍ**».

ومن فضائِلِ أُمِّ سُلَيْمٍ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ـ عَجِبَ من صَنِيعِها بِضَيْفِها.

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[2] منْ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ: جاءَ رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فأَرْسَلَ إلى بعْضِ نِسائِهِ فَقالتْ: والذي بَعَثَكَ بالحقِّ ما عندِي إلَّا ماءُ، ثُمَّ أرسَلَ إلى أُخرى، فقالتْ مِثلَ ذلِكَ حتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مثلَ ذلِكَ: لَا، والذي بَعَثَكَ بالحقِّ ما عندِي إلَّا ماءٌ، فقالَ: «**مَنْ يُضيفُ هذا الليلَةَ، رحِمَهُ اللهُ**»، فقامَ رَجُلٌ من الأَنْصارِ فقالَ: أَنا يا رسُولَ اللهِ، فانْطَلَقَ بِهِ إلى رحْلِهِ، فقالَ لامْرَأَتِهِ: هل عِندَكِ شيْءٌ؟ قالتْ: لا، إلَّا قُوتُ صِبْيَاني. قالَ: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ، فإذا جاءَ ضَيْفُنا فأَطْفِيءِ السِرَاجَ وأَرِيهِ أَنَّا نأْكُلُ، فإذا أَهوَى لِيَأْكُلَ فَقُومِي إلى السِّراجِ حتَّى تُطْفِئِيْهِ، قال: فقَعَدُوا وأَكَلَ الضَّيْفُ، فلمَّا أصْبَحَ غَدا على النَّبيِّ ﷺ فقالَ: «**قد عَجِبَ اللهُ من صنيعِكُما بضَيْفِكما الليلةَ**».

وهذا الرَّجُلُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ هو أبو طَلحَةَ زوجُ أمِّ سُلَيمٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا كما في رِوايَةِ مُسْلمٍ.

ومن فضائِلِ أُمِّ سُلَيْمٍ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّهُ لَمَّا سَكَنَ رسولُ اللهِ ﷺ في بَيْتِهِ أَهْدَتْ لَهُ ابْنَها أَنَسًا لِيَخْدُمَهُ.

---

(1) رَواهُ مُسلمٌ (2456).

(2) رَواهُ البُخاريُّ (4889)، ومسلمٌ (2054).

ففي «صحيحِ البُخاريِّ»[1] منْ حديثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ على أُمِّ سُلَيمٍ، فأَتَتْهُ بتَمْرٍ وسَمْنٍ، قالَ: «**أَعِيدُوا سَمْنَكُم في سقائِهِ، وتمْرَكُم في وِعائِهِ، فإنِّي صائِمٌ**»، ثُمَّ قامَ إلى ناحِيَةٍ من البَيْتِ فصَلَّى غَيْرَ المكتُوبَةِ، فدعا لِأُمِّ سُلَيْمٍ وأَهْلِ بَيْتِها، فقالتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: يا رسُولَ اللهِ، إنَّ لي خُوَيْصَةً قالَ: «**ما هِيَ؟**» قَالتْ: خادِمُكَ أَنَسٌ، فما تَرَكَ خَيْرَ آخِرَةٍ ولا دُنْيا إلَّا دَعا لي بِهِ قالَ: «**اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ مالًا وَوَلَدًا وبارِكْ لَهُ**»، فإِنِّيْ لَمِنْ أَكْثَرِ الأَنْصَارِ مَالًا.

فانْظُرُوْا ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ الحَصِيْفَةَ العاقِلَةَ أُمَّ سُلَيْمٍ أَتَتْ بوَلَدِها ليَخدُمَ رسولَ اللهِ فَخَدَمَهُ لعَشْرِ سِنينَ، وتَخَرَّجَ على يَديْهِ، فماذا تَظُنُّونَ أَنْ يكونَ

ففي سُنَنِ الترمِذِيِّ بسَنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ مختَصرِ الشَّمائِلِ»[2] عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سنينَ فما قالَ لي أُفٍ قَطُّ، وما قال لي لِشَيْءٍ صنَعْتُهُ لِمَ صنعْتَهُ ولا لِشَيْءٍ تركْتُهُ لِمَ تركْتَهُ، وكان رسولُ اللهِ ﷺ من أحسَنِ النَّاسِ خُلُقًا ولا مَسَسْتُ خَزًّا ولا حَرِيرًا ولا شَيئًا كان أَلْيَنَ من كَفِّ رسولِ اللهِ ﷺ ولا شَمَمْتُ مِسْكًا قطُّ ولا عِطْرًا كانَ أطْيَبَ من عَرَقِ رسولِ اللهِ ﷺ.

فمَنْ كانَ هذا النَّبِيُّ ﷺ أستاذَهُ فكيفَ سيكُونُ؟!

ومن فضائِلِ أُمِّ سُلَيْمٍ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ حِرْصُها على العِلمِ ولم يَمْنَعْها الحياءُ من سُؤالِ رسولِ اللهِ ﷺ حتَّى في أَدَقِّ المسائِلِ.

ففي «الصَّحيحَيْنِ»[3] من حديثِ أُمِّ سلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالتْ: جاءَتْ أُمُّ سليمٍ امْرَأَةُ أَبي طَلْحَةَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقالتْ: يا رسولَ اللهِ! إِنَّ اللهَ لا يَسْتَحِيْ من

---

(1) رَواهُ البُخاريُّ (1982)، ومُسلمٌ (2481).

(2) «**صَحيحٌ**» أخرجَهُ التِّرمِذِيُّ (2015)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ مُختَصَرِ الشمائِلِ المحمَّدِيَّةِ» (296).

(3) رَواهُ البُخاريُّ (130)، ومسلمٌ (313).

الحقِّ هَلْ على المرأَةِ من غُسُلٍ إذا هي احْتلَمَتْ؟ قال رسولُ اللهِ ﷺ : «**نَعَمْ إِذا رَأَتِ الماءَ**».

ومن فضائِلِ أُمِّ سُلَيْمٍ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّها شَهِدَتْ مَعَ النَّبيِّ ﷺ حُنَيْنًا وأُحُدًا.

ففي «صحيحِ مُسلمٍ»[1] منْ حديثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أُمَّ سُلَيْم اتَّخَذَتْ يَومَ حُنَيْنٍ خِنْجَرًا فكانَ معَها فرآها أبو طلحَةَ فقالَ: يا رسولَ اللهِ هذه أُمُّ سُلَيْمٍ معها خِنْجَرٌ فقالَ لها رسولُ اللهِ ﷺ : «**ما هذا الخِنْجَرُ؟**» قالتْ: اتَّخَذْتُهُ إِنْ دَنا مِنِّي أَحَدٌ من المُشْرِكِيْنَ بَقَرتُ بَطْنَهُ. فَجَعَلَ رسُولُ اللهِ يَضْحَكُ. قالتْ: يا رسولَ اللهِ أَقْتُلُ مَنْ بَعْدَنا من الطُّلَقاء انهَزَمُوا بِكَ؟ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «**يا أُمَّ سُلَيْمٍ إِنَّ اللهَ قدْ كَفَى وأَحْسَنَ**».

وأستَغْفِرُ اللهَ.

(1) رَواهُ مُسلمٌ (1809).

الخُطْبَةُ الثّانيةُ ـ صلابَةُ أُمِّ سُلَيْمٍ في دِيْنِها وصَبْرِها[1] :

الْحَمْدُ للهِ ربِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أَمَّـا بَعدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ «**شَيءٍ من مناقِبِ أُمِّ سُلَيْمٍ**» والآنَ حديثِي مَعَكُمْ عَنْ «**صَلابَةِ أُمِّ سُلَيْمٍ في دِيْنِها وصَبْرِها**».

فمِنْ صلابَتِها في دِيْنِها ما جاءَ في «صحيحِ البُخاريِّ»[2] من حديثِ أُمِّ عَطِيَّةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا قالتْ: «بَايَعَنَا النَّبيُّ ﷺ فقرأَ علَينا: ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾. ونَهانا عن النِّياحَةِ فَقَبَضَتْ امْرأَةٌ مِنَّا يَدَها فقالتْ: فُلانَةٌ أَسْعَدَتْنِيْ وأَنا أريدُ أَنْ أجْزِيَها فلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، فَذَهَبَتْ ثُمَّ رَجَعَتْ فما وفَتْ إمْرَأَةٌ إلَّا أُمُّ سُلَيمٍ وأُمُّ العَلاءِ وابْنَةُ أَبِي سَبْرَةَ امْرأَةُ مُعَاذَ أو ابْنَةُ أَبِي سَبْرَةَ وامْرَأَةُ مُعاذَ».

والشَّاهدُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّها التَزَمتْ وَوَفَتْ لما بايَعَتْ عليهِ رسولَ اللهِ ﷺ.

ومن صَبْرِها، ما جاءَ في «الصَّحيحَيْنِ»[3] من حديثِ أَنَسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ: ماتَ ابْنٌ لأبي طَلْحَةَ مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ، فقالتْ لأهْلِها: لا تُحَدِّثُوا أبا طَلْحَةَ بابْنِهِ، حتَّى أَكُونَ أَنا أُحَدِّثُهُ.

فلمَّا جاءَ أبو طَلْحَةَ قالَ: كيفَ الغُلامُ؟ قالتْ: قَدْ هَدَأَتْ نَفْسُهُ، وأَرْجُو أَنْ يَكونَ قد اسْتراحَ، وظَنَّ أبو طلحَةَ أَنَّها صادِقَةٌ (أَيْ باعْتبارِ ما فَهِمَ هُوَ) ولكنَّها كانتْ تَقْصُدُ: هَدَأَتْ نفسُهُ واستراحَ في الجنَّةِ إنْ شاءَ اللهُ.

---

(1) استفدتُ في إعدادِ هذه الخُطْبَةِ من كتابِ «جَنَى اللُّبابِ فيما وردَ في الصَّبرِ والاحْتسابِ» للزَّوجَةِ الوافِيَةِ أُمِّ الفَضْلِ أَمَةِ الرَّحمنِ بنتْ عليِّ الفَقيهِ جزاها اللهُ خَيرًا.

(2) رَواهُ البُخاريُّ (7215).

(3) رَواهُ البُخاريُّ (1301)، ومسلمٌ (107/2144) واللَّفْظُ لَهُ، وما بَيْنَ المعْكُوفَيْنِ للبُخارِيِّ.

قالَ: فجاءَ فَقَرَّبَتْ إليهِ عَشَاءً فأَكَلَ وشَرِبَ، فقالَ: ثُمَّ تصنَّعَتْ (أي تَزَيَّنَتْ) لَهُ أحْسَنَ ما كانتْ تَصنَّعُ قَبْلَ ذلِكَ، فوَقَعَ بِهَا (أَيْ: جامَعَها)، فلمَّا رَأَتْ أنَّهُ قَدْ شَبعَ وأصابَ منْهَا، قَالَتْ: يا أبا طَلْحَةَ أَرَأَيْتَ لَوْ أنَّ قَومًا أعَارُوا عارِيتَهُمْ أَهْلَ بَيْتٍ، فَطَلَبُوا عارِيَتَهُمْ، أَلَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ؟ قال: لَاْ. قالتْ: فاحْتَسِبِ ابْنَكَ! قال: فغَضِبَ. وقال تَرَكْتِنيْ حتَّى تلَطَّخْتُ ثُمَّ أَخْبَرْتِني بابْني! فانْطَلَقَ حتَّى أَتى رسولَ اللهِ ﷺ فأَخْبَرَهُ بما كانَ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**بارَكَ اللهُ لكُما في غَابِرِ لَيْلَتِكُما**».

قالَ: فَحَمَلَتْ، قالَ: فكانَ رسولُ اللهِ ﷺ في سَفَرٍ وهي مَعَهُ. وكان رسولُ اللهِ ﷺ إذا أَتَى المَدِيْنَةَ من سَفَرٍ لا يَطْرُقُها طُروقًا (أي: لا يَدْخُلُها لَيْلًا) فَدَنَوْا من المدِينَةِ فَضَرَبَها المخَاضُ (أَيْ: طَلْقُ الوِلَادَةِ)، فاحْتَبَسَ عليها أبو طلحةَ وانْطَلَقَ رسولُ اللهِ ﷺ.

قالَ: يقولُ أبو طلْحَةَ: إِنَّكَ تعلمُ - يا رَبِّ - أَنَّه يُعْجِبُنِيْ أَنْ أَخْرُجَ مَعَ رَسُولِكَ إذا خَرَجَ، وأَدْخُلَ مَعَهُ إذا دَخَلَ، وقد احْتَبسْتُ بما تَرى.

قالَ: تَقُولُ أمُّ سُلَيمٍ: يا أَبا طلْحَةَ، ما أَجِدُ الذي كُنْتُ أجِدُ؛ فانْطَلِقْ. فانْطَلَقْنَا.

قالَ: وضَرَبَها المخَاضُ حينَ قَدِمَا، فَوَلَدَتْ غُلامًا، فقالتْ لي أُمِّي: يا أَنَسُ لا يُرْضِعُهُ أَحَدٌ حتَّى تَغْدُوَ بِهِ إلى رسُولِ اللهِ ﷺ.

قالَ: فصادَفْتُهُ ومَعَهُ مِيسَمٌ، فلما رآني قال: «**لَعَلَ أُمَّ سُلَيْمٍ وَلَدَتْ؟**».

قُلْتُ: نَعَمْ، فوَضَعَ الميسَمَ، قالَ: وجِئْتُ بِهِ فَوَضَعْتُهُ في حِجْرِهِ، ودَعا رسولُ اللهِ ﷺ بعَجْوَةٍ من عَجْوَةِ المدِيْنَةِ، فلاكَها في فِيْهِ حتَّى ذابَتْ ثُمَّ قَذَفَها في فِيِّ الصَّبِيِّ، فجَعَلَ الصَّبيُّ يتلمَّظُها. قالَ: فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**انْظُرُوا إلى حُبِّ الأَنْصارِ التَّمْرَ**».

قالَ: فَمَسَحَ وَجْهَهُ وسمَّاهُ عَبْدَ اللهِ.

قال سُفْيانُ: قالَ رجلٌ من الأَنْصَارِ: فَرَأَيْتُ لهما تِسْعَةَ أولادٍ كُلُّهُمْ قَدْ قرأَ القُرآن.

يعني من أولادِ عبدِ اللهِ المدْعُو لَهُ بالبَرَكَةِ الذي وُلِدَ من جماعِ تِلْكَ اللَّيلَةِ التي ماتَ فيها أبُو عُمَيْرٍ الَّذي كان النَّبِيُّ ﷺ يداعِبُهُ قَائلًا لَهُ: :«**يا أَبَا عُمَيْرٍ ما فَعَلَ النُّغَيْرُ**».

ففي «الصَّحيحَيْنِ» [1] من حديثِ أَنَسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ: كانَ النَّبيُّ ﷺ مِن أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، وكان لي أَخٌ يُقَال لَهُ أبو عُمَيْرٍ، وكانَ النَّبِيُّ ﷺ إذا جاءَ يقولُ لَهُ: «**يا أَبَا عُمَيْرٍ ما فَعَلَ النُّغَيْرُ**».

والنُّغَيْرُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هو طائِرٌ أَحْمرُ المِنْقارِ يشْبِهُ العُصفُورَ كان يلْعَبُ بِهِ فماتَ فَحَزِنَ عليهِ، فكانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَسْتَقْبِلُهُ، ويقولُ لَهُ ذلِكَ مازِحًا ومُداعِبًا.

أَيُّهَا النَّاسُ قد دَلَّ الحديثُ على صبرِ أُمِّ سُلَيْمٍ وعِظَمِ إيمانِها وكمالِ دِينِها وعَقْلِها، فهِيَ لَمْ تَجْزَعْ ولَمْ تَهْلَعْ كعادَةِ النِّساءِ عندَ المصائِبِ، ولكنْ تَصَبَّرَتْ وتَجَلَّدَتْ، فكانَ جَزاؤها أَنْ بارَكَ اللهُ لها في ذُرِّيَتِها.

كما في مُسنَدِ أحمدَ بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الوادِعِيُّ في «الصَّحيحِ المُسْنَدِ» [2] عن رَجُلٍ من الصَّحابَةِ من أَهْلِ البادِيَةِ قالَ: أَخَذَ بِيَدِيْ رسولُ اللهِ ﷺ فجعَلَ يُعَلِّمُني مما علَّمَهُ اللهُ - تبارَكَ وتعالى - ، وقال: «**إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا اتِّقَاءَ اللهِ - عزَّ وجَلَّ - إِلَّا أَعْطاكَ اللهُ خيرًا مِنْهُ**».

قال النَّوَوِيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ : «وفي هذا الحَديثِ مناقِبُ لِأُمِّ سُلَيْمٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا : مِن عِظَمِ صَبْرِها وحُسْنِ رِضاها بِقَضَاءِ اللهِ - تعالى - وجزالَةِ عَقْلِها في إِخْفَائِها مَوْتَهُ على أَبِيْهِ في أَوَّلِ اللَّيلِ؛ لِيَبِيْتَ مُسْتَرِيحًا بلا حُزْنٍ، ثُمَّ عَشَّتْهُ، وتَعَشَّتْ، ثُمَّ تَصَنَّعَتْ لَهُ،

(1) رَواهُ البُخاريُّ (6129)، ومسلمٌ (2150).

(2) «**صحيحٌ**» أخرجَهُ أحمدُ (5/78)، وصحَّحَهُ شيخُنا الوادِعِيُّ في «الصحيحِ المُسنَدِ» (1489).

وعَرَّضَتْ لَهُ بإصابَتِهِ، فأَصَابَها. وفيهِ اسْتعمالُ المعارِيضِ عند الحَاجَةِ؛ لقَوْلِها: «هو أَسْكَنُ ممَّا كَانَ» فإنَّهُ كلامٌ صحيحٌ مع أَنَّ المفْهومَ مِنْهُ أَنَّهُ قد هانَ مَرَضُهُ وسَهُلَ وهو في الحياةِ وشَرْطُ المعاريْضِ المُباحَةِ أَلَّا يَضِيْعَ بِهِ حَقُّ أَحَدٍ، واللهُ أَعْلَمُ»[1].

وقالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وضَرْبُها لِمَثَلِ العَارِيَةِ دَليلٌ لكمالِ عِلْمِها وفَضْلِها، وعِظَمِ إِيْمانِها وطُمَأْنِينَتِها»[2].

اللَّهُمَّ ارْضَ عَن أُمِّ سُلَيْمٍ ووَلَدِها أَنَسٍ وعبدِ اللهِ وزَوْجِها أَبي طلحَةَ واجْمَعْ بينَهم مَعَ أَبي عُمَيْرٍ في الفِرْدَوسِ الأَعْلى.

اللَّهُمَّ بِحُبِّنا لَهُمْ فِيك احْشُرْنا مَعَهُمْ.

(1) «شرحُ مسلمٍ» (ص1347).

(2) «شرحُ مسلمٍ» (ص1493).

29 سعيدُ بنُ المسَيَّبِ[1]

الخُطْبةُ الأُولى :

إنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أَنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محَمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ (آل عمران : 102).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ (النساء : 1).

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب :70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ـ ﷺ ـ ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ ـ حديثي معكمْ اليومَ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ عالمِ أهْلِ المدينةِ وسيِّدِ التَّابِعِينَ في زمانِهِ إِنَّهُ سعيدُ بنُ المُسَيَّبِ تلميذُ الصَّحابَةِ وُلِدَ لِسَنَتَيْنِ مَضَتا مِن خلافَةِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ .

قال الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ عنْهُ: رَأَى عُمَرَ، وسمِعَ عُثمانَ وعليًّا، وزيدَ بْنِ ثابتٍ، وأبا موسى، وسعْدًا وعائشَةَ، وابنَ عبَّاسٍ، ومحمدَ بْنَ مَسْلَمَةَ وخلْقًا سواهم ـ رَضِيَ اللهُ عنهم أَجمعين ـ .

(1) انظرُ «الطَّبَقَاتِ» لابنِ سعدٍ، و«تاريخَ الإسلامِ» للذَّهَبِيِّ، و«البِدايَةَ والنِّهايَةَ» لابنِ كَثيرٍ، و«السِّيَرُ» للذَّهَبِيِّ.

وقالَ: وكانَ مِمَّنْ بَرَزَ في العلمِ والعَمَلِ.

أَيُّهَا النَّاسُ لقدْ كانَ سعيدٌ مِنَ المُمْتَحَنين امْتُحِنَ فلَمْ تأخُذْهُ في اللهِ لومَةُ لائِمٍ، صاحِبُ عِبادةٍ وجماعَةٍ وعِفَّةٍ وقناعَةٍ وكان كاسْمِهِ بالطَّاعاتِ سعيدًا، ومن المعاصِي والجهالاتِ بعيدًا.

أَيُّها النَّاسُ سأَقْتَصِرُ معكم على ذكرِ جَوانِبَ مُشْرِقَةٍ من حياةِ هذا الإمامِ.

فمِنْ تِلْكَ الجوانِبِ المشرقَةِ في حياةِ سعيدِ بنِ المَسَيَّبِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ حرصُهُ على العِلْمِ فَقَدْ أَنْفَقَ عُمُرَهُ في تحْصيلِ العِلْمِ.

يقولُ عن نَفْسِهِ: «إن كنتُ لَأَسيْرُ الأيامَ والليالِيَ في طلبِ الحَديثِ الواحِدِ».

وفي كَنَفِ الصَّحابَةِ أَخَذَ ينْهَلُ من نبعِ العِلْمِ الصَّافي كما كان زواجُهُ من ابْنَةِ الصَّحابِيِّ الجَليلِ أبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المنْحَةَ الرَّبَّانِيَّةَ الَّتي هيَّأَتْ لَهُ الفرصَةَ لسَماعِ مِئاتِ الأحاديثِ من ذاكرةِ الوَحْيِ حتَّى صارَ أَثْبَتَ النَّاسِ وأَعلَمَهُمْ بحَديثِ أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، كما كان مُغْرَمًا بِتَتَبُّعِ أَقْضيَةِ عُمَرَ وتَعَلُّمِهَا حتَّى قِيلَ لَهُ (رَاوِيَةُ عُمَرَ). وكان عبدُ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يُرسِلُ إليهِ يسأَلُهُ عنها.

قالَ أبو طالبٍ: قلتُ لأَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ: سعيدُ بنُ المَسَيَّبِ عَنْ عُمَرَ حُجَّةٌ؟

قالَ: هوَ عندَنا حُجَّةٌ قد رأَى عُمَرَ وسمِعَ منهُ إذا لَمْ يُقْبَلْ سعيدٌ عن عُمَرَ فمَنْ يُقْبَلُ؟!

ومع طولِ المُثَابَرَةِ والجِدِّ والاجْتهادِ صارَ سعيدٌ عالمَ أهلِ المدينَةِ بِلا مُدافَعةٍ وإِمامَ فُقهَائِها السَّبْعَةِ الَّذِينَ كانوا الواصِلَ الحقيقيَّ بينَ عصرِ الصَّحابَةِ وعصورِ المذاهِبِ الفقهيةِ فيقولُ: «ما أَحَدٌ أعلمُ بقَضَاءٍ قَضَاهُ رسولُ اللهِ ﷺ ولا أبو بَكْرٍ ولا عُمَرُ مِنِّيْ».

وقالَ عنهُ قَتَادَةُ: «ما أَحَدٌ أعلمُ من سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ».

وعن مَكْحُولٍ قالَ: «طُفْتُ الأَرْضَ كُلَّها في طلبِ العِلمِ فما لَقِيْتُ أعلمَ مِنْ سعيدٍ».

وسألَ رَجُلٌ القاسِمَ بنَ مُحَمَّدٍ عن شَيْءٍ فقالَ: أَسِأَلْتَ أَحَدًا غَيْرِيْ؟

قالَ: نَعَمْ، عُرْوَةَ وفُلانًا وسعيدَ بنَ المَسَيَّبِ.

فقالَ: أَطِعْ ابْنَ المسَيَّبِ فإنَّهُ سيِّدُنا وعالِمُنا.

وكانَ عبدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا إذا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ يُشْكِلُ عليهِ يقولُ: «سَلُوا سعيدَ بْنَ المسَيَّبِ فإِنَّهُ كانَ يُجلسُ الصَّالحِيْنَ».

وقالَ عليُّ بنُ المدِيْنِيِّ: «لا أَعْلَمُ في التَّابِعِينَ أَوْسَعَ عِلمًا مِنْهُ، وإذا قالَ سعيدٌ مَضَتِ السُّنَّةُ فَحَسْبُكَ بِهِ».

وقالَ أبو حاتمٍ: «ليسَ في التَّابِعينَ أَنْبَلُ منهُ».

أَيُّهَا النَّاسُ لا بُدَّ لنا أَنْ لا نُغْفِلَ حَقِيْقَةً هامَّةً هي أَنَّ العِلمَ الذي رَفَعَ سعيدَ بْنَ المسَيِّبِ إلى سماءِ المَجْدِ بَلْ ورَفَعَ أَيَّ أُمَّةٍ لا بُدَّ أن يكونَ اللَّبِنَةَ الأُولى في صَرْحِ تَقَدُّمِنا المنْشودِ؛ فالعِلْمُ الشَّرعِيُّ المُسْتَقَى من رياضِ الكتابِ وصَحيحِ السُّنَّةِ طَرِيْقُنا إلى إمامَةِ الدُّنيا والدِّينِ!

واعْلمُوا ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ أَنَّ أَيَّ رُقِيٍّ بدونِ علمٍ وهمٌ وسَرابٌ ﴿كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا﴾ .

ومن الجوانِبِ المُشْرِقَةِ في حياةِ سعيدٍ بن المسَيَّبِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ حِرْصُهُ على الصَّلاةِ في جماعةٍ

فقدْ كانَ حَريصًا على الصَّلاةِ في الجماعَةِ فلمْ تَفُتْهُ صَلاةٌ ولِهذا رفَعَهُ اللهُ وبارَكَ في علمِهِ.

فها هُوَ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ يقولُ عن نَفْسِهِ: «ما فاتَتْنِيْ الصَّلاةُ في الجماعَةِ مُنْذُ أَرْبَعين سَنَةً».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «مَنْ حافَظَ على الصَّلَواتِ الخَمْسِ في جَماعةٍ فَقَدْ ملأَ البَرَّ والبَحْرَ عِبادةً».

وقالَ: «ما أَذَّنَ المُؤَذِّنُ منذُ ثَلاثِين سَنَةً إلّا وأَنا في المَسْجِدِ».

وعن مَيْمُونَ بنِ مَهْرَانَ قالَ: «إنَّ سعيدَ بنَ المُسَيَّبِ مَكَثَ أَرْبعينَ سَنةً لم يَلْقَ القومَ قدْ خرجُوا من المسْجِدِ وفرَغُوا من الصَّلاةِ».

وعن بُرْدٍ مولى ابنِ المسَيَّبِ قالَ: «ما نُودِيَ للصَّلاةِ مُنْذُ أَرْبعين سنةً إلّا وسعيدُ في المسْجِدِ».

وعَنْ إسماعيلَ بنِ أُمَيَّةَ عن سعيدِ بنِ المسَيَّبِ قالَ: «ما دَخَلَ عَلَيَّ وقْتُ صَلاةٍ إلَّا وقدْ أَخَذْتُ أُهْبَتَها ولا دَخَلَ عليَّ قضاءُ فَرْضٍ إلَّا وأنا إِلَيْهِ مُشْتاقٌ».

وعن قَتَادَةَ قالَ: قالَ سعيدُ بْنُ المسَيَّبِ ذاتَ يومٍ: «ما نَظَرْتُ في أَقْفاءِ قومٍ سَبقُونِي بالصَّلاةِ منذُ عِشرِيْنَ سَنةً».

ومن الجوانِبِ المُشْرِقَةِ في حياةِ سعيدٍ بن المسَيَّبِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ حِرْصُهُ على صلاةِ اللَّيْلِ. فما تَركَ قيامَ الَّيلِ منذُ عَرَفَ الإسلامَ حتَّى لُقِّبَ (رَاهِبَ قُرَيْشٍ).

وكانَ يُكْثِرُ من قَولِ: «اللَّهُمَّ سلِّمْ سَلِّمْ».

فإذا دَخَلَ اللَّيْلُ خاطَبَ نفسَهُ قائلًا: «قُوْمِي يا مَأْوى كُلِّ شَرٍّ واللهِ لأَدَعَنَّكِ تَزْحَفِينَ زَحْفَ البَعيرِ».

فكانَ إذا أصبحَ وقَدَماه منْتَفِخَتانِ يقولُ لنَفْسِهِ: «بِذا أُمِرْتُ ولِذا خُلِقْتُ».

وعنْ عبدِ المنْعِمِ بنِ إِدْريسَ عن أبيهِ قالَ: «صلَّى سعيدُ بنُ المسَيَّبِ الغَداةَ بوُضوءِ العَتمَةِ خمْسِينَ سَنَةً».

ومن الجوانِبِ المُشْرِقَةِ في حياةِ سعيدٍ بن المسَيَّبِ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ زُهْدُهُ في الدُّنْيا.

فقدْ كانَ يعيشُ من كَسْبِ يَدِهِ لَهُ أربعُمائَةِ دينارٍ يَتَّجِرُ بها في الزَّيْتِ ويقولُ عَنْ هذا المالِ: «اللَّهُمَّ إِنَّك تعلمُ أَنيِّ لَمْ أَمْسِكْهُ بُخْلًا ولا حِرْصًا عليه ولا محبَّةً للدُّنيا ونيلِ شَهَوَاتِها وإِنَّما أُرِيدُ أنْ أصونَ بِهِ وَجْهِيْ عن بَنِي مرْوانَ حتَّى أَلْقى اللهَ فيَحْكُمَ فيَّ وفِيهم وأَصِلَ مِنْهُ رَحِمِيْ وأُؤَدِّيَ منهُ الحُقوقَ الَّتي فيهِ وأَعودَ منهُ على الأَرْمَلَةِ والفقيرِ والمسكِينِ واليتيمِ والجارِ».

وكانَ من أَوْرَعِ النَّاسِ فيما يدخُلُ بيتَهُ وبَطْنَهُ.

فعنْ طَلْحَةَ الخُزاعِيِّ قالَ: «كانَ في رمضانَ يُؤْتَى بالأَشْرِبَةِ في مسْجِدِ النَّبيِّ ﷺ فَلَيْسَ أَحَدٌ يطمَعُ أنْ يَأْتِيَ سعيدُ بنُ المسَيَّبِ بشرابٍ فيَشْرَبَهُ فإنْ أُتِيَ من منْزِلِهِ بِشَرابٍ شَرِبَهُ وإنْ لم يُؤْتَ من منزِلِهِ بِشَيْءٍ لم يَشرَبْ شيئًا حتَّى ينْصَرِفَ».

ومنْ أَقْوالِهِ: «من اسْتَغْنى باللهِ افْتَقَرَ النَّاسُ إِليْهِ».

وقولِهِ: «الدُّنيا نَذْلَةٌ وهيَ إلى كُلِّ نَذْلٍ أَمْيَلُ وأَنْذَلُ منها من أَخَذَها من غيرِ وَجْهِهَا ووَضَعَها في غَيْرِ سَبِيْلِها».

وأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

الخُطْبَةُ الثَّانيةُ ـ كيفَ زَوَّجَ سعيدُ بنُ المسَيَّبِ ابْنَتَهُ؟![1] :

الْحَمْدُ للهِ ربِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أَمَّـا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الحديثُ معكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عن سعيدِ بنِ المسَيَّبِ وبعْضٍ من الجوانِبِ المشْرِقَةِ في حياتِهِ، والآنَ حَديثي معكم عن قِصَّةِ زَواجِ سعيدِ بنِ المسَيَّبِ ابنَتَهُ بِدِرْهَمَيْنِ.

أَيُّها النَّاسُ لقد تزوَّجَ سعيدُ بنُ المسَيَّبِ بابْنَةِ أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فكان صِهْرَهُ وكانَ إذا رَآهُ قالَ: «أسألُ اللهَ أَنْ يجمَعَ بَيني وبينَكَ في سُوقِ الجَنَّةِ».

وقد أَكْثَرَ عن الروايَةِ عنهُ ولمَّ نَبَغَ في الحديثِ والفِقْهِ جلسَ للتَّدْرِيْسِ وتَتَلْمَذَ عليه كبارُ علماءِ زَمَانِهِ ومنهُمْ سالمُ بنُ عبدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ومحمدُ بنُ شِهابِ الزُّهْرِيُّ، وقَتَادَةُ، وعَمْرُو بنُ دِينارٍ، وكانَ مِنْ بينِهِمْ تلميذٌ يُدْعى كُثَيِّرِ بنَ أَبي وداعةَ فَفَقَدَهُ أَيَّامًا ثم جَاءَ ولْنَدَعْهُ يحكيْ لنا قصَّتَهُ كما جاءَتْ في طبقَاتِ ابنِ سَعْدٍ وحِلْيَةِ الأَوْلياءِ وسِيَرِ أَعلامِ النُّبَلاءِ.

قال ابنُ أَبي وداعَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ : «كُنْتُ أُجالِسُ سعيدَ بنَ المسَيَّبِ فَفَقَدَنيْ أَيَّامًا، فلما جِئْتُهُ قالَ: أَينَ كُنْتَ؟

قلتُ: تُوُفِّيَتْ أَهْلِلْ فانْشَغَلْتُ بِها!

فقال: ألا أَخْبَرْتَنا فَشَهِدْناها، ثُمَّ أَرَدْتُ أَنْ أقومَ فقالَ: هل اسْتَحْدَثْتَ امْرأَةً؟

فقلتُ: يرحَمُكَ اللهُ، ومن يُزَوِّجُنِيْ وما أَمْلِكُ إلا دِرْهَمَينِ أو ثَلاثَةَ؟

فقال: أنا.

(1) انظرُ الطبقاتِ لابنِ سعدٍ (5/ 138) وحليةَ الأَوْلياءِ (2/ 16)، السِّيَرَ (4/ 217).

فقلتُ: أَوَ تَفْعَلُ؟

قال: نَعَمْ.

ثُمَّ حَمِدَ اللهَ وصَلَّى على النَّبيِّ ﷺ وزَوَّجَنِيْ على دِرْهَمينِ أو قال: ثَلاثَةٍ.

قالَ: فقمتُ وما أَدْرِيْ ما أَصْنَعُ من الفَرَحِ، فَصِرْتُ إلى مَنْزِلي وجعَلْتُ أتفكَّرُ مِمَّنْ أَخُذُ ومِمَّنْ أَسْتَدِيْنُ، فَصَلَّيْتُ المغرِبَ وانْصَرَفْتُ إلى منزلي، واسْتَرَحْتُ، وكُنْتُ وحْدِي صَائِمًا فَقَدَّمْتُ عَشائِيْ أُفْطِرُ وكان خُبزًا وزيتًا، فإذا بآتٍ يَقْرَعُ، فقلتُ: مَنْ هذا؟

قال: سعيدٌ.

قال: فَفَكَّرْتُ في كُلِّ إنسانٍ اسْمُهُ سعيدٌ إلَّا سَعيدَ المُسَيَّبِ، فإِنَّهُ لَمْ يُرَ مُنْذُ أربعينَ سَنةً إلَّا بينَ بَيْتِهِ والمسْجِدِ، فقمتُ فخرجْتُ فإذا سعيدُ بنُ المسَيَّبِ، فظَنَنْتُ أَنَّهُ قد بَدَا لَهُ الرُّجُوعُ عن زَواجي، فقلتُ: يا أَبا مُحَمّدٍ إلا أَرْسلْتَ إليَّ فَاتِيَكَ؟

قال: لَا، أَنْتَ أحَقُّ أَنْ تُؤْتَى، فقال: إِنَّكَ كُنْتَ رَجُلًا عَزَبًا لا زَوْجَ لَكَ، فكَرِهْتُ أَنْ تَبِيْتَ اللَّيْلَةَ وحْدَكَ وهذِهِ امْرأَتُكَ فإذا هي قائِمَةٌ مِنْ خَلْفِهِ في طُولِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِها فَدَفَعَها بالبابِ ورَدَّ البَابَ، فَسَقَطَتْ المَرْأَةُ من الحياءِ، فاسْتَوْثَقْتُ من البابِ ثُمَّ تَقَدَّمْتُ إلى القَصْعَةِ التي فيها الزَّيْتُ والخُبْزُ فَوضَعْتها في ظِلِّ السِّراجِ لِكَيْلا تَراها ثُمَّ صَعَدْتَ إلى السَّطْحِ فناديتُ الجِيرانَ. فَجاؤُنِيْ وقالُوا: ما شَأْنُكَ؟ ويحَكُمْ زَوَّجَني سعيدُ بنُ المسَيَّبِ ابنَتَهُ اليَومَ، وقدْ جاءَ بها إليَّ على غَفْلَةٍ، وها هي في الدَّارِ، فَنَزَلُوا إليها في دارِيْ فَبَلَغَ أُمِّيَ الخَبَرُ فجاءَتْ وقالَتْ: وَجْهي من وَجْهِكَ حَرامٌ إِنْ مسَسْتَها قبلَ أَنْ أُصْلِحَها إلى ثلاثَةِ أَيَّامٍ - تعني تُزَيِّنُها اسْتعدادًا للدُّخولِ بها - قالَ: فأَقَمْتُ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ دَخلتُ بها فإذا هي مِن أَجْمَلِ النِّساءِ وأَحْفَظِهِنَّ للقُرآنِ، وأَعْلَمِهِنَّ بسُنَّةِ النَّبيِّ ﷺ وأَعْرَفِهِنَّ بِحَقِّ الزَّوجِ، ومَكَثْتُ شَهرًا لا يأتيني سعيدُ بنُ المسَيَّبِ ولا آتِيْهِ فَلمَّا أَنْ كانَ قَرُبَ الشَّهْرُ أَتَيْتُ سَعيدَ في حَلَقَتِهِ، فسَلَّمْتُ

عليه فَرَدَّ عليَّ السَّلامَ، ولم يُكَلِّمْني حتَّى تَفَوَّضَ ـ تَفَرَّقَ ـ المَجْلِسُ، فلَمْ يَبْقَ غَيرِيْ، فقالَ: ما حالُ ذلِكَ الإنْسانِ؟

فقلتُ: خيرًا يا أَبا مُحَمَّدٍ على ما يُحِبُّ الصَّديقُ ويَكْرَهُ العَدُوُّ، فانْصَرَفْتُ إلى منزلي فَوَجَّهَ لي بعشرين أَلْفِ دِرْهَمٍ».

قالَ عبدُ اللهِ بنُ سُليمانَ: وكانَتْ بنتُ سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ قَدْ خَطَبَها عبدُ المَلِكِ بنِ مَرْوانَ لابْنِهِ الوَلِيدِ حينَ ولَّاهُ العَهْدَ، فَأَبَى سعيدُ أَن يُزَوِّجَها وزَوَّجَها بأَحَدِ طُلَّابِهِ!

30 نورُ الدِّينِ محمودُ[1]

الخُطْبةُ الأُولى :

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، ومِنْ سيِّئَاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ. وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ.

ـ ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران : 102).

ـ ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء : 1).

ـ ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب :70 – 71).

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ـ ﷺ ـ ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، حديثي معكمْ اليومَ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ عَلَمٍ من أَعْلامِ الإسلامِ وعن قائدٍ من قادتِهِ العظامِ من أهلِ الهِمَمِ القويَّةِ والعزَائِمِ المَرْضِيَّةِ إِنَّهُ المَلِكُ العادِلُ نُورُ الدِّينِ محمودُ أميرُ المؤْمنينَ وتَقِيُّ المُلُوكِ ولَيْثُ الإِسلامِ كما وَصَفَهُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ[2].

وقال عنهُ الحافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : «وُلِدَ وقتَ طُلوعِ الشَّمْسِ من يْومِ الأَحَدِ السَّابعَ عَشَرَ من شوَّالَ سنةَ إِحْدَى عَشْرَةَ وخَمْسِمِائَةٍ بِحلَبَ، ونَشَأَ في كفالَةِ والدِهِ صاحِبِ حَلَبَ، والمَوْصِلَ، وغيرِها من البُلدانِ الكَثيرةِ الكَبيرَةِ. تَعَلَّمَ القُرآنَ،

(1) انظرُ «الهمة العالية» لمحمد بن إبراهيم الحمد فقد استفدتُ منهُ في إعداد هذه الخُطبةِ جزاه الله خيرًا.

(2) «السِّيَرُ» (531/20).

والفُروسِيَّةَ، والرَّمْيَ، وكانَ شَهْمًا، شُجاعًا، ذا هِمَّةٍ عالِيَةٍ، وقَصْدٍ صالحٍ، وحُرْمَةٍ وافِرَةٍ، ودِيانَةٍ بَيِّنَةٍ»[1].

أَيُّهَا النَّاسُ لقَدْ جَمَعَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ لِنُورِ الدِّينِ من المَناقِبِ الشيءَ الكَثِيرَ، وآتاهُ من مُهَيِّئاتِ النُّبُوغِ، ومُقَوِّماتِ الأَلْمَعِيَّةِ ما يَجْعَلُهُ يَتَبَوَّأُ مَكانَةً عالِيَةً ومنزِلَةً سامِيَةً في تاريخِ الأُمَّةِ الإِسْلامِيَّةِ.

فمِنْ تلكَ الصِّفاتِ التي اتَّصَفَ بها نورُ الدِّينِ مَحْمودُ التَّقْوى والصَّلاحُ.

فلقَدْ كانَ نورُ الدِّينِ تقِيًّا، صَالحًا، وَرِعًا زاهِدًا ذا تأَلُّهٍ وعِبادَةٍ، وأَوْرادٍ، وقِيامٍ.

قال ابنُ الأَثِيرِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُتَحدِّثًا عن نورِ الدِّينِ: «فمِنْ ذلك زُهْدُهُ، وعبادَتُهُ وعِلْمُهُ، فإِنَّهُ كان لا يَأْكُلُ ولا يَلْبِسُ ولا يَتَصَرَّفُ إِلَّا في الَّذيْ يَخُصُّهُ مِنْ مُلْكٍ كان لَهُ قَدِ اشْتراهُ من سَهْمٍ من الغَنيمَةِ ومن الأموالِ المُرْصَدَةِ لِمَصالِحِ المسْلمِينَ ولَقَدْ شَكَتْ إِلَيْهِ زوجَتُهُ من الضَّائِقَةِ، فأَعْطاها ثَلاثَةَ دكاكِينَ في حِمْصَ، كانتْ لَهُ يَحْصُلُ لَهُ منها في السَّنَةِ نَحْوَ العشرِينَ دِينارًا.

فلما اسْتَقَلَّتْهَا قالَ: لَيْسَ لي إِلَّا هذا، وجَمِيعُ ما بِيَدِيْ أَنا فِيْهِ خازنٌ للمُسْلمينَ فِيْهِ، ولا أَخُوضُ نَارَ جَهَنَّمَ لِأَجْلِكِ.

وكانَ يُصَلِّي كَثيرًا باللَّيْلِ، ولَهُ أورادٌ حَسَنَةٌ، وكانَ كما قِيلَ:

جَمَعَ الشَّجاعَةَ والخُشُوعَ لِرَبِّهِ ○●○ ما أحسَنَ المِحْرابَ في المِحْرابِ

وكذلِكَ كانتْ زوجَتُهُ عِصْمَتُ الدِّينِ خَاتونُ تُكْثِرُ القيامَ في اللَّيلِ.

فَأَلْبَسَ اللهَ هَاتِيْكَ العِظامَ وإِنْ ○●○ بَلِيْنَ تَحْتَ الثَّرَى عَفوًا وغُفْرانَا

(1) «البدايَةُ والنِّهايَةُ» (12/ 299).

سَقَى ثَرَىً أَوْ دِعُوْهُ رَحْمَةً مَلَأَتْ ○●○ مَثْوَى قُبورِهِمُ رَوْحًا ورَيْحَانَا»[1]

وقال الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «كانَ نورُ الدِّينِ مَليْحَ الخَطِّ، كَثِيرَ المطالَعَةِ، يُصَلِّيْ في جَمَاعَةٍ، ويَصُومُ، ويتلُو، ويُسَبِّحُ، ويَتَحرَّى في القُوْتِ، ويَتَجَنَّبُ الكِبْرَ، ويَتَشَبَّهُ بالعُلماءِ والأَخْيارِ، ذَكَرَ هذا ونحْوَهُ الحافِظُ ابنُ عَساكِرَ»[2].

وقال سِبْطُ ابنِ الجَوْزِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «كانَ لَهُ عجائِزُ، فكانَ يَخِيْطُ الكَوافِي، ويَعْمَلُ السَّكاكِرَ، فَيَبِعْنَها سِرًّا، ويُفْطِرُ على ثَمَنِها»[3].

ومن تِلْكَ الصِّفاتِ التي اتَّصفَ بها نورُ الدِّينِ محمودُ - أَيُّهَا النَّاسُ - العَدْلُ.

فكان مُتَحَرِّيًا للعَدْلِ في كافَّةِ أُمورِهِ يُضْرَبُ بِهِ المَثَلُ في العَدْلِ بَلْ إِنَّهُ كانَ يُسَمَّى الملِكَ العادِلَ.

قال ابنُ الأَثِيرِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وقدْ طَبَقَ الأَرْضَ بِحُسْنِ سِيرَتِهِ، وعَدْلِهِ، وقدْ طالَعْتُ سِيَرَ المُلُوكِ المتقدِّمِين فلَمْ أَرَ بعْدَ الخُلفاءِ الرَّاشِدينَ وعُمَرَ بنِ عبدِ العَزيزِ أَحسَنَ من سِيْرَتِهِ، ولا أكثرَ تَحَرِّيًا مِنْهُ للعَدْلِ»[4].

وقال الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «صاحِبُ الشَّامِ الملِكُ العادِلُ نورُ الدِّينِ»[5].

وقالَ : «وكانَ نورُ الدِّين حامِلَ رايَتَيْ العَدْلِ والجِهادِ قَلَّ أَنْ تَرى العُيونُ مِثْلَهُ»[1].

---

(1) انظرْ «الكامِلَ» لابنِ الأَثِيرِ (6/125)، و«البدايَةُ والنِّهايَةُ» لابنِ كَثيرٍ (12/300).

(2) «السِّيَرُ» (20/533).

(3) «السِّيَرُ» (20/537).

(4) «السِّيَرُ» (20/538).

(5) «السِّيَرُ» (20/531).

(6) «السِّيَرُ» (20/532).

وقال ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وكانَ يَقُوْمُ بِأَحْكامِهِ بالمَعْدَلَةِ الحَسَنَةِ، واتِّباعِ الشَّرْعِ المُطَهَّرِ، ويعْقِدُ مجالسَ العَدْلِ، ويتولَّاها بِنَفْسِهِ، ويَجْتَمِعُ إِلَيْهِ في ذَلِكَ القاضِيْ والفُقَهاءُ والمفْتُونَ منْ سائِرِ المَذاهِبِ.

ويَجْلِسُ يومَ الثُّلاثَاءِ في المسْجِدِ المُعَلَّقِ الَّذِي بالكُشْكِ؛ لِيَصِلَ إِليهِ كُلُّ واحدٍ من المسْلِمينَ وأَهْلِ الذِّمَّةِ حتَّى يُسَاوِيَهُمْ»[1].

ومن تِلْكَ الصِّفاتِ التي اتَّصفَ بها نورُ الدِّينِ محمودُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ الغِيْرَةُ الصَّادِقَةُ.

فقد كانَ ذا غِيَرةٍ صادِقَةٍ على دينِ اللهِ وعلى محارِمِ المُسْلِمينَ، فلقَدْ تَفَتَّحَتْ عَيناهُ على أَحْوالِ المسْلمينَ المُتَرَدِّيَةِ، وعلى هَزائِمِهِمُ المتلاحِقَةِ، وكانَ ذلِكَ يُؤْلِمُهُ أَشَدَّ الأَلَمِ فكانَ قَلِيلَ الابْتسامِ فلَّما وَعَظَهُ إِمامُهُ أَنَّ الابْتِسامَ مِنْ وَصَايا النُّبوَّةِ قال لَهُ نورُ الدِّينِ: لا تُؤَاخِذْني ـ أَيُّهَا الشَّيْخُ ـ كيفَ أبتسِمُ وآلافُ المُسْلِماتِ سَبايا عِندَ كفَّارٍ لا يَتَّقُونَ ولا يَرْحَمُونَ؟ وكيْفَ أَبتسِمُ والمسْجِدُ الأَقْصى يُدَنِّسُهُ العَدُوُّ؟[2].

ومن تِلْكَ الصِّفاتِ التي اتَّصفَ بها نورُ الدِّينِ محمودُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ الهمَّةُ العالِيَةُ.

فقد كانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذا هِمَّةٍ عالِيَةٍ، ونَفْسٍ كبيرةٍ طمَّاحَةٍ.

لَـهُ هِمَـمَ لا مُنْتَهـى لِكِبارِهـا ○●○ وهِمَّتُهُ الصُّغْرى أَجَلُّ من الدَّهْرِ

فقدْ كانَتْ كُلُّ أُمْنِيَتِهِ فَتْحَ بَيْتِ المقْدِسِ وتَطْهِيرِها من رِجْسِ الصَّلِيبِ.

ومما يَدُلُّ على عُلُوِّ همَّتِهِ أَنَّهُ كانَ في حَلَبَ وَقْتَ تَسَلُّطِ الصَّلبيِّينَ وسيطَرَتِهِمْ على بَيْتِ المَقْدِسِ أَنَّهُ قَامَ بعَملِ مِنْبَرٍ عَظيمٍ وبالَغَ في تحْسِيْنِهِ وإِتْقَانِهِ وقالَ: هذا عَمِلْنَاهُ؛ لِيُنْصَبَ في بيتِ المقْدِسِ.

---

(1) «البدايَةُ والنِّهايَةُ» (12/ 299).

(2) انظرْ «أبطالٌ ومواقِفُ» (ص434) بواسِطَةِ «الهمَّةِ العالِيَةِ» (283).

وقد حقَّقَ اللهُ لَهُ أُمْنِيَتَهُ، فَفُتِحَتْ بَيْتُ المَقْدِسِ على يَدِ تلميذِهِ صلاحِ الدِّيْنِ ونُصِبَ فيها المِنْبَرُ وذلكَ بَعْدَ وَفَاةِ نورِ الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

قالَ ابنُ الأَثِيْرِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ نُورَ الدِّينِ محمودًا كانَ قَدْ عَمِلَ بحَلَبَ مِنْبَرًا أَمَرَ الصُّنَّاعَ بالمبالَغَةِ في تَحْسِيْنِهِ وإِتْقَانِهِ وقالَ: هذا عَمِلْنَاهُ؛ لِيُنْصَبَ بالبَيْتِ المُقَدَّسِ، فَعَمِلَهُ النَّجَّارُونَ في عِدَّةِ سِنينَ لَمْ يُعْمَلْ في الإسلامِ مِثْلُهُ، فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ، فَحُمِلَ مِنْ حَلَبَ، ونُصِبَ بالقُدْسِ. وكانَ بَيْنَ عَمَلِ المِنْبَرِ وحَمْلِهِ ما يَزِيْدُ على عِشْرِينَ سنَةً، وكانَ هذا مِن كَراماتِ نُورِ الدِّينِ وحُسْنِ مَقَاصِدِهِ»[1].

ومن تِلْكَ الصِّفاتِ التي اتَّصفَ بها نورُ الدِّينِ محمودُ - أَيُّهَا النَّاسُ - الشَّجَاعَةُ.

قال ابنُ الأَثِيْرِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأَمَّا شجاعَتُهُ فإِلَيها النِّهايَةُ وكانَ في الحَرْبِ يأْخُذُ قَوسَينِ وتُرْكُشَيْنِ (أَيْ: جَعْبَةُ السِّهامِ) ليُقاتِلَ بها.

فقالَ القُطْبُ النَّيْسَابُورِيُّ الفَقِيهُ: باللهِ علَيكَ لا تُخاطِرْ بنَفْسِكَ وبالإِسْلامِ؛ فإِنْ أُصِبْتَ في المعْرَكَةِ لا يَبْقى من المسْلِمينَ أَحَدٌ إلا أَخَذَهُ السَّيْفُ.

فقالَ لَهُ نُورُ الدِّين: ومَنْ محمودُ حتَّى يُقالَ هذا؟ مِنْ قَبْلِيْ حَفِظَ اللهُ البِلادَ والإسلامَ ذلِكَ اللهُ الَّذي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ»[2].

وقال ابنُ قَسِيمٍ يَصِفُ شجاعَتَهُ:

تبدو الشَّجاعَةُ في طلاقَةِ وجْهِهِ ○●○ كالرُّمْحِ دَلَّ على القَسَاوةِ لِيْنُهُ
وَوَرَاءَ يُقْظَتِهِ أَناةُ مُجَرِّبٍ ○●○ للهِ سطْوَةُ بأْسِهِ وسكونُهُ[3]

(1) «الكامِلُ» لابنِ الأَثيرِ (9/184، 185).
(2) «الكامِلُ» لابنِ الأَثيرِ (9/125).
(3) الرَّوضَتينِ (1/57)، وانظر «الأدب العربي» (ص70).

وقالَ الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وكانَ بطلًا شُجاعًا، وافِرَ الهَيْبَةِ، حَسَنَ الرَّمْيِ، مليحَ الشَّكْلِ، ذا تَعَبُّدٍ وخَوْفٍ وَوَرَعٍ، وكانَ يَتَعرَّضُ لِلشَّهادَةِ سَمِعَهُ كاتِبُهُ أبو اليُسْرِ يَسْأَلُ اللهَ أن يَحْشُرَهُ من بُطُونِ السِّباعِ وحَواصِلِ الطَّيْرِ»[1].

وقالَ: «قال ابنُ واصِلٍ: كانَ مِن أَقْوى النَّاسِ قَلْبًا وبَدَنًا، ولَمْ يُرَ على ظَهْرِ فَرَسٍ أَحَدٌ أَشَدُّ مِنْهُ، كَأَنَّما خُلِقَ عليهِ لِيَتَحَرَّكَ»[2].

وقال الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وكانَ يقولُ: طالما تَعَرَّضْتُ للشَّهادَةِ فلَمْ أُدْرِكْها. قلتُ ـ أَيْ الذَّهَبِيُّ ـ قدْ أَدْرَكها على فِراشِهِ، وعلى أَلْسِنَةِ النَّاسِ: نُورُ الدِّينِ الشَّهيدُ »[3].

ومن تِلْكَ الصِّفاتِ التي اتَّصفَ بها نورُ الدِّينِ محمودُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ الهَيْبَةُ الوافِرَةُ والتَّواضُعُ الجَمُّ. فقد كانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مَهِيْبًا وَقُورًا، وفي الوقْتِ نفسِهِ كان جَمَّ التَّواضُعِ لَطِيفَ المعْشَرِ، وتِلْكَ هِيَ أَخْلاقُ العُظَماءِ.

قالَ ابنُ الأَثِيْرِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وكانَ وَقُورًا مَهِيبًا مَعَ تواضُعِهِ وبالجُمْلَةِ فَحَسَنَاتُهُ كَثِيرَةٌ، ومناقِبُهُ غَزِيرَةٌ لا يَحْتَمِلُها هذا الكتابُ»[4].

وقال الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ابْنِ عَسَاكِرَ: «وكانَ مَنْ رآهُ شَاهَدَ مِنْ جَلالِ السَّلْطَنَةِ وَهَيْبَتِهِ ما يُبْهِرُهُ فإذا فَاوَضَهُ رَأَى مِن لَطَافَتِهِ ما يُحَيِّرُهُ، حَكَى مَنْ صاحَبَهُ حَضَرًا وسَفَرًا أَنَّهُ ما سَمِعَ مِنْهُ كَلِمَةَ فُحْشٍ في رِضاهُ ولا في ضَجَرِهِ»[5].

وقال الحافِظُ ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وقدْ كانَ مَهِيبًا وَقُوْرًا شَدِيدَ الهَيْبَةِ في قُلوبِ الأُمَراءِ لا يَتَجاسَرُ أَحَدٌ أَنْ يَجْلِسَ بينَ يَدَيْهِ إلا بِإِذْنِهِ.

---

(1) «السِّيَرُ» (20/532).

(2) «السِّيَرُ» (20/537).

(3) «السِّيَرُ» (20/537).

(4) «الكامِلُ» (9/126).

(5) «السِّيَرُ» (20/533).

لمْ يَكُنْ أَحَدٌ من الأُمراءِ يَجْلِسُ بلا إِذْنٍ سوى الأَميرِ نَجْمِ الدِّينِ أَيُّوبَ، وأَمَّ أَسَدُ الدِّينِ شِيرَكُوْهُ، ومَجْدُ الدِّينِ بنِ الدَّايَةِ نائِبُ حَلَبَ وغَيْرُهُما من الأَكابِرِ فكانُوا يَقِفُوْنَ بينَ يَديْهِ. ومَعَ هذا كانَ إذا دَخَلَ عليهِ أَحَدٌ من الفُقَهاءِ أو الفُقَراءِ قامَ لَهُ، ومَشَى خُطُواتٍ، وأَجْلَسَهُ مَعَهُ على سَجَّادَتِهِ في وَقارٍ وسُكونٍ.

وإذا أُعْطِيَ أحَدٌ منهم شيئًا مُسْتَكْثَرًا يقولُ: هَؤلاءِ جُنْدُ اللهِ، وبِدُعائِهِمْ نُنْصَرُ على الأعداءِ، ولهمْ في بيتِ المالِ حَقٌّ أَضْعافُ ما أُعْطِيهِمْ، فإذا رَضُوْا بِبَعْضِ حَقِّهِمْ فلَهُمُ المِنَّةُ عَلَينا»[1].

ومن تِلْكَ الصِّفاتِ التي اتَّصفَ بها نورُ الدِّينِ محمودُ - أَيُّهَا النَّاسُ - الحِرصُ على اتِّباعِ السُّنَّةِ. فقدْ كانَ حَرِيْصًا على اتِّباعِ السُّنَّةِ، ونَشْرِها والعَمَلِ بِها.

قال الحافِظُ ابنُ كَثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَظْهَرَ السُّنَّةَ وأَماتَ البِدْعَةَ»[2].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قَدْ سَمِعَ عليهِ جُزْءَ حَدِيثٍ وفِيْهِ: فخَرجَ رسولُ اللهِ ﷺ مُتَقَلِّدًا السَّيْفَ، فجَعَلَ يَتعجَّبُ من تَغَيُّرِ عَاداتِ النَّاسِ لما ثَبَتَ عنهُ ﷺ وكيفَ كان يربِطُ الأَجْنادُ والأُمَراءُ على أَوْساطِهِمْ، ولا يَفْعَلُونَ كما فَعَلَ رسولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ أَمَرَ الجُنْدَ بأَنْ لا يَحْمِلُوا السُّيُوفَ إلا مُتَقَلِّدِيْها ثُمَّ خرجَ هُوَ في اليومِ الثَّاني إلى المَوكِبِ، وهو مُتَقَلِّدٌ السَّيْفَ، وجَميعُ الجيشِ كذلِكَ، يُريدُ بذلك الاقْتِدَاءَ برسولِ اللهِ ﷺ»[3].

ومن تِلْكَ الصِّفاتِ التي اتَّصفَ بها نورُ الدِّينِ محمودُ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَحَبَّةُ العِلْمِ والعُلَماءِ والصَّالحينَ. فقد كانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُحِبًّا للعِلمِ والعُلَماءِ والصَّالحينَ.

---

(1) «البدايَةُ والنهايَةُ» (12/302).

(2) «البدايَةُ والنهايَةُ» (12/299).

(3) «البدايَةُ والنهايَةُ» (12/302 - 303).

قال ابنُ الأَثِيرِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وكان يُكْرِمُ العُلماءَ، وأَهْلَ الدِّينِ، ويُعَظِّمُهُمْ، ويَقُومُ إِليهمْ، ويَجْلِسُ مَعَهم، ويَنْبَسِطُ مَعَهُمْ، ولا يَرُدُّ لَهم قَولًا، ويُكاتِبُهُمْ بِخَطِّ يَدِهِ»[1].

قال ابنُ عساكِرَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «رَوى الحَديثَ، وأَسْمَعَهُ بالإِجازَةِ»[2].

وأَمَّ جهادُهُ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ فكَأَنَّهُ لم يُخْلَقْ إِلَّا لِذلكَ.

قال الموَفَّقُ عبدُ اللَّطيفِ: «كانَ نورُ الدِّينِ لم يَنْشَفْ لَهُ لِبَدٌ من الجِهادِ»[3].

وقال ابنُ الأَثِيرِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وكانَ قَدِ اتَّسَعَ مُلكُهُ جِدًا، وَخُطِبَ لَهُ بالحَرَمَيْنِ الشَّرِيْفَيْنِ، وباليَمَنِ»[4].

وقالَ الحَافِظُ ابنُ كَثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «أَقامَ الحُدودَ، وفَتَحَ الحُصونَ، وكَسَرَ الفِرَنْجَ مِرارًا عَديدَةً واسْتَنْقَذَ من أَيْدِيهِمْ مَعَاقِلَ كَثِيرةً»[5].

وقالَ ابنُ الجُوزِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «جاهَدَ وانْتَزَعَ من الكُفَّارِ نَيِّفًا وخَمْسينَ مَدِينَةً وحِصْنًا، وبَنَى بالمَوْصِلِ جَامِعًا غَرِمَ عليهِ سبعينَ أَلْفَ دينارٍ، وتركَ المُكُوسَ قَبْلَ مَوتِهِ، وبَعَثَ جُنودًا ففَتَحُوْا مِصْرَ، وكان يَمِيلُ إلى التَّواضُعِ وحُبِّ العُلماءِ والصُّلحاءِ، وكاتَبَنِيْ مِرَارًا، وعَزَمَ على فَتْحِ بَيْتِ المقْدِسِ فَتُوُفِيَ في شوالَ سنةَ تِسْعٍ وستِّينَ وخَمْسِمِائَةٍ»[6].

قلتُ: قَدْ حقَّقَ اللهُ لَهُ أُمْنِيَتَهُ وفُتِحَتْ بيتُ المقْدِسِ على يَدِ تلميذِهِ صلاحِ الدَّينِ الأَيُّوبِيِّ رَحِمَ اللهُ الجَميعَ.

وأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

---

(1) «الكامِلُ» (9/125).

(2) «السِّيَرُ» (20/533).

(3) «السِّيَرُ» (20/534).

(4) «الكامِلُ» (9/125).

(5) «البدايَةُ والنهايَةُ» (12/299).

(6) «السِّيَرُ» (20/535 – 536).

الخُطْبَةُ الثّانيةُ ـ ما أكْرَمَ اللهُ بِهِ نورَ الدِّينِ مَحْمودَ :

الْحَمْدُ للهِ ربِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمعينَ.

أَمَّـا بَعدْ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ عَنْ «**سِيْرَةِ نورِ الدِّينِ محمودَ** رَحِمَهُ اللَّهُ» والآنَ حديثِي مَعَكُمْ عَنْ «**بَعْضِ ما أكرَمَهُ اللهُ بِهِ**».

أيُّها النَّاسُ إنَّ أعظَمَ ما أكْرَمَ اللهُ بِهِ نُورَ الدِّينِ محمودَ تِلْكَ الرُّؤْيا الظَّاهِرَةُ العظيمَةُ إِنَّهُ رأى في المنَامِ رسولَ اللهِ ﷺ في نومِهِ وهُوَ يُشِيْرُ إلى رَجُلَين أَشْقَرَيْنِ، ويقولُ: أَنْجِدْني أنْقِذْني من هَذَيْنِ، فاسْتَيْقَظَ فَزِعًا وصلَّى ونامَ فَرأَى المنامَ بِعَينِهِ فاسْتَيْقَظَ وصلَّى ونَامَ فَرَآهُ ـ أَيضًا ـ مَرَّةً ثالِثَةً، فاسْتَيْقَظَ وقالَ: لم يَبْقَ نَومٌ. وكانَ لَهُ وَزِيْرٌ من الصَّالحينَ يقالُ لِهُ جَمالُ الدِّينِ المَوْصِليُّ فأرسَلَ خَلْفَهُ لَيلًا وحَكَى له جميعَ ما اتَّفَقَ لَهُ فقالَ لَهُ: وما قُعودُكَ اخْرُجِ الآنَ إلى المدينَةِ النَّبَوِيَّةِ واكْتُمْ ما رَأَيْتَ. فَتَجَهَّزَ في بَقِيَّةِ لَيْلَتِهِ وخَرَجَ على رَواحِلَ خَفِيْفَةٍ في عشْرينَ نَفَرًا وصُحْبَتُهُ الوَزيرُ المذكورُ ومالٌ كثيرة فقدِمَ المدينَةَ في سِتَّةَ عَشَرَ يومًا فاغْتَسَلَ خارِجَها ودخَلَ فصَلَّى بالرَّوضَةِ وزَارَ ثُمَّ جَلَسَ لا يدْرِيْ ماذا يَصْنَعُ. فقالَ الوَزيْرُ وقد اجْتَمعَ أهلُ المدينَةِ في المسْجِدِ: إنَّ السُّلطانَ قَدْ قَصدَ زِيارَةَ النَّبِيِّ ﷺ وأَحْضَرَ مَعَهُ أموالًا لِلصَّدَقَةِ فَاكْتُبُوا مَنْ عِندَكُمْ فَكَتَبُوا أَهْلَ المدينَةِ كُلَّهُمْ وأَمَرَ السُّلطانُ بحُضُورِهِمْ، وكُلُّ مَنْ حَضرَ لِيأْخُذَ يَتَأَمَّلُهُ لِيَجِدَ فِيْهِ الصَّفَةَ الَّتيْ أَرَاها النَّبيُّ ﷺ فلا يَجِدُتِلكَ الصِّفَةَ فَيُعْطِيْهِ ويَأْمُرُهُ بالانْصِرافِ إلى أَنْ انْفضَّ النَّاسُ، فقالَ السُّلطانُ: هَلْ بَقِيَ أَحَدٌ لَمْ يَأْخُذْ شَيئًا مِن الصَّدقَةِ، قالُوا: لا، فقال: تَفَكَّرُوا وتَأَمَّلُوا، فقالُوا: لم يَبْقَ أَحَدٌ إلَّا رَجُلَينِ مَغْرِبِيَّيْنِ لا يَتَناوَلانِ مِن أَحَدٍ شيئًا وهُما صَالحانِ غَنِيَّانِ يُكْثِرانِ الصَّدَقَةَ على المحاويجِ، فانْشَرَحَ صدرُهُ وقالَ: عَليَّ بِهِما. فأُتِي بهما فَرَآهُما الرَّجُلَينِ اللَّذَينِ أَشارَ النَّبيُّ ﷺ إليهما بقَوْلِهِ: «أنْقِذْني من

هَذَيْنِ».فَقَالَ لَهُما: مِنْ أَينَ أَنْتُما؟ فَقَالا: مِن بِلادِ المَغْرِبِ جِئْنا حاجَّيْنِ فاخْتَرْنا المجاوَرَةَ في هذا العَامِ عندَ رسولِ اللهِ ﷺ فقال: أَصْدُقاني، فَصَمَّما على ذلِكَ، فقالَ: أَيْنَ منزِلهُما؟ فأُخبِرَ بِأَنَّهُما في رِباطٍ بِقُرْبِ الحُجْرةِ فأَمْسَكَهُما وحَضَرَ إلى منزِلهِما فَرَأَى فيهِ مالًا كثيرًا وخَتْمَتَيْنِ وكُتُبًا في الرَّفائِقِ ولَمْ يَرَ فيهِ شيئًا غَيْرَ ذلِكَ فأَثْنَى عليهما أَهْلُ المدينَةِ بخَيْرٍ كَثيرٍ وقالُوا: إِنَّهُما صائِمانِ الدَّهْرَ مُلازِمانِ للصَّلاةِ في الرَّوْضَةِ الشَّرِيفَةِ وزيارَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَزِيارَةِ البَقِيْعِ كُلَّ يَوْمٍ بُكْرَةً وَزِيارَةِ قُباءَ كُلَّ يومِ سَبْتٍ ولا يَرُدَّانِ سائِلًا قَطُّ بحَيْثُ سَدَّا خُلَّةَ أَهْلِ المدينَةِ هذا العامَ المُجْدِبَ، فقالَ السُّلطانُ: سبحانَ اللهِ، ولم يُظْهِرْ شيئًا مِمَّا رآهُ. وبقي السُّلطانُ يطوفُ في البَيْتِ بِنَفْسِهِ فَرفَعَ حَصِيْرًا فَرأَى سِرْدابًا مَحْفُورًا يَنْتَهِيْ إلى صَوْبِ الحُجْرَةِ الشَّرِيْفَةِ.

فارْتَاعَ النَّاسُ لذلِكَ وقالَ السُّلطانُ عندَ ذلِكَ: اصْدُقانِيَ حالَكُما، وضَرَبَهُما ضَرْبًا شديدًا فاعْتَرَفا بِأَنَّهُما نَصْرانيَّانِ بَعَثَهُما النَّصارى في زَيِّ الحُجَّاجِ المغارِبَةِ وَأَمْوَلُوهُما بأَمْوالٍ عَظِيمةٍ وأَمَرُوهُما بالتَّحَيُّلِ على شَيءٍ عَظِيمٍ خيَّلَتْهُ لهم أَنْفُسُهُمْ وتَوَهَّمُوا أَنْ يُمَكِّنَهُمُ اللهُ مِنهُ وهو الوُصُولُ إلى الجَنَابِ الشَّرِيْفِ ويَفْعَلُوا بِهِ ما زَيَّنَهُ لَهَمْ إِبْليسُ في النَّقْلِ وما يَتَرَتَّبُ عليه فَنَزَلا في أَقْرَبِ رِباطٍ إلى الحُجْرَةِ الشَّرِيْفَةِ وفَعَلا ما تَقَدَّمَ وصَارا يَحْفِرانِ لَيْلًا ولِكُلٍّ منهما مِحْفَظَةُ جِلْدٍ على زَيِّ المغارِبَةِ، والَّذِيْ يَجْتَمِعُ من التُّرَابِ يَجْعَلُهُ كُلٌّ منهُما في مِحْفَظَتِهِ ويَخْرُجانِ لإِظْهارِ زِيارَةِ البَقِيعِ فَيُلْقِيَانِهِ بينَ القُبورِ وأَقاما على ذلِكَ مُدَّةً فلمَّا قَرُبا من الحُجْرَةِ الشَّرِيفَةِ أَرْعَدَتِ السَّماءُ وأَبْرَقَتْ وحَصَلَ رَجِيفٌ عظيمٌ بِحَيثُ خُيِّلَ انْقِلاعُ تِلْكَ الجِبالِ فَقَدِمَ السُّلطانُ صَبِيحَةَ تِلكَ اللَّيلَةِ واتَّفَقَ إِمْساكُهُما واعْتِرافُهما فلمَّا اعْتَرَفا وظَهَرَ حالُهما على يَدَيْهِ ورأَى تأْهِيلَ اللهِ لَهُ لذلِكَ دُونَ غيرِهِ بَكَى بُكاءً شَدِيدًا وأَمَرَ بِضَرْبِ رِقابِهِما فَقُتِلا تَحْتَ الشُّبَّاكِ الَّذي يَلِي الحُجْرَةَ الشَّرِيفَةَ وهو مِمَّا يلي البَقِيعَ ثم أَمَرَ بإحضارِ رصاصٍ عظيمٍ وحَفَرَ

خَنْدقًا عظيمًا إلى الماءِ حَوْلَ الحُجْرَةِ الشَّرِيْفَةِ كُلِّها وأُذِيْبَ ذلك الرَّصاصُ ومَلأَ بِهِ الخَنْدَقَ فصارَ حولَ الحُجْرَةِ الشَّرِيْفَةِ سُورًا رصاصًا إلى الماءِ، ثُمَّ عادَ إلى مُلْكِهِ وأَمَرَ بإِضْعافِ النَّصارَى وأَمَرَ أَنْ لا يُسْتَعْمَلَ كافِرٌ في عَمَلٍ مِنَ الأَعْمالِ وَأَمَرَ مَعَ ذلك بِقَطْعِ المُكُوسِ جَمِيْعِها[1].

والحمدُ للهِ أَوَّلًا وأَخيرًا وظاهِرًا وباطِنًا.

اللهُمَّ ارْحَمْ نورَ الدِّينِ محمودَ واغْفِرْ لَهُ ذَنْبَهُ اللهُمَّ انْصُرْ دِيْنَكَ وأعْلِ كلمتَكَ واجْعَلْنا من أَنصارِ دِينِكَ وخُذْ بأَيْدِينا إلى ما فِيهِ رِضاكَ اللهُمَّ أَعِنَّا على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبادَتِكَ.



(1) ذكرَها المحدِّثُ حَمودُ التُّويجِريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابِهِ «الرُّؤيا» (ص100-102).

وذكَرَ مَصْدَرَها هناكَ عَنِ ابنِ النَّجّارِ في كتابِهِ «ذَيْلُ تاريخ بَغْدادَ» والفاسِيُّ في كتابِهِ «العِقْدُ الثَّميْنُ في تاريخِ البَلَدِ الأَمِينِ» وابنُ الجَزْرِيِّ في كتابِهِ «إتحافُ الورى بأخبارِ أُمِّ القُرى» والسَّمْهودِيُّ في كتابِهِ «وفاءُ الوَفاءِ بأخبارِ دارِ المصْطَفى».

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع — الصفحة

الموضوع **الصفحة**

